أكمام الحب والغضب

أكمام الحب والغضب

اثنا عشر وسماً من عشرية الربيع وانكساراته

سامر حيدر المجالي

٢٠١٩

• أكمام الحب والغضب

(اثنا عشر وسماً من عشرية الربيع وانكساراته)

• سامر حيدر المجالي

• الناشر: هبه ناشرون وموزعون
عمّان - الأردن

00962795769812
E-mail: heba.pub@gmail.com

• الإخراج الفني: سمير اليوسف 00962799677569
• رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٣٩٣٩/ ٧ / ٢٠١٩)
• (ردمك): ISBN 978-9923-731-25-3

• جميع الحقوق محفوظة للمؤلف: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من المؤلف.

• All rights reserved. No part of this book may be reproduced. stored in a retrieval system. or transmitted in any form or by any means without the prior written permission of the author.

تقديم

بقلم/ الأستاذ إبراهيم العجلوني

تتيح تقنيات الاتصال الحديثة لذوي المواهب المتميزة أن يبتعثوا أدب "مقالة" خاصا بهم، فائق الفاعلية والانتشار، وإذا كان يمكن العودة بالمقالة على نحو ما استقرت عليه في الأزمنة الحديثة إلى "الفصل" على نحو ما عرفه العرب في كتبهم الأدبية والفكرية التي تقسّمت فصولا وتوزّعت أبوابا، أو إلى الشذرة التي عرفها الإغريق كما تُقرأ في "شذرات هيراقليطس" ومن نحا نحوه، أو إلى "الـــمَثَل" على نحو ما عرفه العرب وغيرهم من الأمم، أو إلى "الخطبة" المكثفة والقول الحكيم كما نراهما في "نهج البلاغة" للإمام علي كرّم الله وجهه.

إذا كانت تلك كلها أصولا يمكن تتبعها في مسار التاريخ إلى يوم الناس هذا، فإن في كتاب صديقنا الأستاذ سامر المجالي هذا ما يؤكد حسن انتفاعه بهذا التراث الزاخر، مع فرادة ذات اكتناز معرفي تقفه عند نقطة التقاطع بين العلم والفلسفة من جهة، وبين العلم والتصوف من جهة أخرى، فهو في مكان سوىً بين ألوان من النظر قد تبدو متباينة بادي الرأي، لكنها توشك، وقد شملها الكاتب برؤية توحيدية، أن تنصهر في بوتقة وعي يحيط بها ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة منها، إلا وقد بوأها مكانها في نسق لا يملك من يتوسمه إلا أن يحمد للكاتب قدرته على ابتنائه وعلى نفخ روحه في أرجائه. ولعل

قيمة الكتاب أن تكون متأتّية، إلى ما فيه من معطيات معرفية وذوقية وعلمية، من كونه كتاب "رؤية ناقدة" لا "رؤية جمالية" حسبُ، فهو بهذه المثابة كتاب يزعج، بقصدية واضحة المستنيمين إلى أحلامهم وأوهامهم وألوان القصور الذاتي الذي يعيشون، ولعل هذا أن يفسر ذلك "الغضب النبيل" الذي يتصف به، وغلو العبارة الذي تبدو منه بوادر بين حين وحين..

على أن الكاتب مسكون بهموم أمته، وبهموم الإنسان حيثما كان، ولا نملك إلا أن نلتمس له العذر في تشديد النكر على الجهل والغباء والفساد والرياء، وعلى ما يحول بين أمته وبين أن تستعيد مكانتها اللائقة بها، أو أن تعي رسالتها في العالمين. ولئن كنا نختلف مع الكاتب في بعض رؤاه، ولا نوافقه في بعض إطلاقاته، إلا أننا لا نملك إلا الإعجاب بغير حساب بألوان المناجاة الروحية التي يزدان بها الكتاب والتي تذكرنا بالإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي، وبمواقف النفري، وبتراثنا الصوفي بوجه عام.

ثم إن هذا الكتاب شاهد صدق وبرهان حق على ما كان كاتب هذه المقدمة قد توسمه في الكاتب من مواهب لدنّيّة وقدرات معرفية تؤهله لأن يكون أحد بناة الوعي في بلادنا، بل أحد أذكى المشتغلين بالفلسفة فيها، تاركـًا لقراء هذا الكتاب القيّم أن يتمتعوا به كما تمتعت، وأن يفيدوا منه كما أفدت.

وبالله وحده سبحانه التوفيق.. وعليه التكلان

والحمد لله رب العالمين

تمهيد

أما بعد:

فلا بد من توضيح لبنية الكتاب، ذلك أن كثيرا من فقراته قد نُشرت في وسائل التواصل الاجتماعي؛ الفيسبوك وتويتر، فاكتست بصورة ذلك العالم وتطبعت بطباعه. ومن المعلوم أن الهاشتاغ الذي يُرمز له هكذا: (#)، هو أحد أهم الوسائل التي يلجأ إليها المستخدمون والمدونون من أجل تبويب وأرشفة المعلومات. إذ هو وسيلة تجميعية يسهل بها على أي مستخدم أن يعود إلى كل ما كُتب حول موضوع بعينه.

وقد قام الدكتور عبد الله الغذامي بترجمة كلمة هاشتاغ الإنجليزية إلى كلمة "وسم" العربية، فأجاد باعتماده هذه الترجمة؛ فالوسم تمييز لشيء عن غيره مما يشابهه أو هو داخل في طائفته. من ذلك وسم الدواب؛ إذ به توضع علامة على دواب قبيلة بعينها كي تتميز عن دواب قبيلة أخرى. ومن ذلك اشتُقت كلمات مثل اسم، ووسيم، ووسام، وموسم، وكلها تشير إلى معنى التميز عن الشبيه والنظير. فالاسم يدل على الهوية الشخصية لحامله التي تميزه عن باقي الناس، والجندي إنما يُقلَّد وساما لشجاعة بز بها أقرانه، والرجل الوسيم هو رجل مثل الرجال إلا أن العين تقع عليه دون غيره لملاحة في وجهه وبنيته. والموسم زمن كباقي الأزمان لكنه يختلف عنها بأنه وعاء لحدث ما، فلا يكون هذا الحدث ولا يكتمل إلا فيه.

لهذا السبب قمت بنقل المواد التي كتبتها هناك مع أوسامها، فقد سهَّلَتْ هذه الطريقة عليَّ جمع وتبويب ما كُتب خلال سنوات عديدة. وقلت في نفسي لعل في هذه الطريقة كذلك تجديدا لم يعهده القارئ، فيتجنب الرتابة، ويتشجع على اقتفاء أثر الأوسام وسما تلو وسم. ثم إني رأيت أن لا أسرد كل وسم من أوله إلى آخره، بل أجعل الفقرات متداخلة، فأورد فقرة من وسم "وجدانيات"، تليها أخرى من وسم "إنسانيات" ثم ثالثة من وسم "عمّانيات" وهكذا حتى نهاية الكتاب، فيكون في ذلك مزيد من شحذ ذهن القارئ، وتحبيب المادة إليه.

هذا على مستوى الشكل، أما المضمون فإنه مما يعسر عليَّ وصفه لأنه ثمر نبت في أكمامه، وشاءت له الإرادة الباقية أن يكون الربيع زمن ولادته. أقصد بذلك الربيع العربي؛ أي تلك الثورات التي أطلقها شباب عرب نشدوا لأوطانهم العزة والكرامة، وأرادوا الحرية لأنفسهم وللأجيال القادمة، لكن حائلا ما قد حال بينهم وبين أمانيهم، فتأجلت أحلامهم طورا بثورات مضادة، وطورا بخلل داخلي، وطورا بتدخل أجنبي، لكن المؤكد أن شعلة أحلامهم لن تنطفئ، فقد وسموا تاريخ أمتهم بما لا تمحوه أعتى الديكتاتوريات أو أخفى المؤامرات.

الربيع عائد. هذا هو الحلم الذي يحمله كل غيور. لا بد من هزات ومن نبوات ومن كبوات لكن التاريخ يتقدم إلى الأمام والزبد يذهب جفاء. فإن وجدتني أيها القارئ الكريم أتحدث في

السياسة أو الحب أو المناجاة، أو أهجو ظاهرة ثقافية، أو أطلعك على أمر شخصي، فاعلم أن ذلك كله ثمرة نفسية اختلط فيها العام بالخاص فعــبَّــرَتْ عن واحد من الناس عاش في هذه العشرية وكان شاهدا عليها من داخلها.

إنها اثنا عشر وسما، هي لا على الترتيب: #إنسانيات #كلام_مُسيَّس #في_معضلة_الثقافة #في_قراءة_الواقع #وجدانيات #شؤون_شخصية #بنات_الفلسفة #في_معضلة_التنوير #شؤون_قرآنية #مناجاة #الدين_القيِّم #عمّانيات

فارجو لك وقتا طيبا مع هذا الكتاب.

سامر حيدر المجالي

أنا لستُ مسؤولا عن شيء إلا عن أشواقي المعرفية وضميري الهاتف بي تلوينا وإثراء. ولستُ مُحاسَبا إلا أمام الذي أودع في نفسي هذا الضمير وتلك الأشواق. حياتي اليوم تمهيد لوقفة الحساب تلك، وبشريتي طوق نجاة إن لم تحد عن تواضعها في مسارات شوقها....

#إنسانيات

ما الكتابة؟

الكتابة، هذا الفعل الملتبس، تشبه أشياء لا تخطر على البال....

تشبه الطعام؛ إذ لا يكفي أن تشتري أجود المكونات، وتستعين بأمهر الطباخين. لا بد من جوع حارق كي تشعر بالتوق وتنال المتعة....

تشبه النساء؛ إذ ليس الجمال وحده ما يقذف فيك الرغبة. تحتاج قبل الجمال لاشتعال بدنك وغليان روحك، عندها يصبح الحب وطنا نهائيا...

تشبه المقامرة؛ لأنها جنى عمرك تجعله بضاعة في سوق لا يعرف الفرق بين الذهب والنحاس....

وتشبه المشي في الليل؛ فالنور قادم، غير أنك لا تدري أتدركه أم يقصر بك العمر عنه.....

‘‘‘

#إنسانيات

الرومي

"إن سمحنا لأنفسنا بالاستسلام للنوم فمن سيداوي هؤلاء التعساء النيام؟ لقد تعهدت برعايتهم أمام الله كي أوصلهم إلى الكمال".... جلال الدين الرومي

لا أعرف نوع العهد الذي أبرمه الرومي مع الله. إنه يتحدث عن عهد مستور لا شكل له ولا متى ولا أين. هو فقط إحساس بالمسؤولية، حقيقي غالبا، وإن كانت تشبهه أشياء أخرى تنتسب إلى الوهم أو، ربما، إلى جنون العظمة. الأهم من ذلك هو شرعية الحديث عن تعاسة البشر وتكالبهم على توليد أسباب الشقاء. الرومي الذي أحس بذلك حارب بكل نبل. امتلك رؤية ثاقبة لكنه لم يفرض شيئا على بني جنسه. هو فقط غنى وعشق وساح ودرّس، ثم رحل كما يليق بعارف جليل.

هؤلاء العارفون أصحاب الرؤية الكونية يشتغلون على العقول. يصفّونها من الكدر ويرتقون بها. ذاك "فن توليد العقول" كما سمته إيفا ميروفيتش ونسبته إلى الرومي ومن هم مثله. هؤلاء ليسوا خارجين على النص، بل هم النص الأصلي الرائق الذي يولد غريبا ويموت غريبا....

إنها دنيا، ونحتاجهم، مهما كان الذي قيل فيهم.

‘‘‘

#كلام_مُسَيَّس

حقوق إنسان

هذا مجال من الكلام قيلت فيه مجلدات، غير أننا سنقتصر هنا على ومضة سريعة...

يقوم مبدأ "حقوق الإنسان" على حرية الفكر وحق الملكية، وكلاهما خاضع للقانون الطبيعي الذي هو تهذيب لنوازع الإنسان البدائية بهدف خدمة الجماعة. القانون الطبيعي هو بالضبط ما خلص إليه المفكرون من الأسس التي قامت عليها الدول الحديثة، كالعقد الاجتماعي والدساتير والقوانين...

المهم، إذا أردت أن تعرف نصيبك من حقوق الإنسان فلا تنظر إلى الهيكل الخارجي؛ أي دع الدساتير والقوانين وعد إلى الأصل؛ إلى حريتك في التفكير وإبداء الرأي والملكية. ناقش الأعراف السائدة، خالف الكاهن في معبدك ولا تصفق لزعيمك بعد كل جملة. افعل ذلك كله بشكل سلمي، احترم القانون الطبيعي كما يليق بشخص متحضر، ولا تعتدِ في كلامك على كرامة الآخرين.

إن مرت الأمور بسلام، نفسيا وجسديا، فلم يتعرض أحد لشخصك، ولم يشكك مخالف في نواياك، ولم تُرمَ بالجنون أو الخيانة، ولم يغضب عليك أهل الحل والعقد، فاعلم أنك عضو في مجتمع يجلس على قمة هرم حقوق الإنسان. وإن حصل غير

ذلك، فاحذر من بنيان منقوض الأساس وإن زخرفوه بأحسن القوانين.....

‘‘‘

#في_معضلة_الثقافة

أدونيس

تصدق المشاعر أم تكذب؟ ليس هذا هو السؤال المهم قياسا على سؤال آخر يمكن طرحه عن ماهية المشاعر وحقيقة تكوينها....

قرأت منذ أيام شيئا عابرا لأدونيس يهاجم فيه الطاغية؛ أي طاغية مستعد لقتل شعبه كله من أجل بقائه فوق كرسي الحكم. حالة أدونيس هذه ليست خداعا صرفا؛ فإن كثيرا من الناس تخدعهم نفوسهم عن حقيقة نفوسهم فتصبح معضلة الثقافة فيهم مركبة. الذي يبدو أن مشاعر أدونيس نوع مختلف عما يوحي به ظاهر الفكرة التي نعرفها عن المشاعر؛ حيث تقول الحدوتة أن المرء يقف أحيانا في منطقة رمادية بين الحقيقة والوهم، والصدق والكذب.

ناقشت آمي كايند أستاذة الفلسفة في كلية كلاريمنت بولاية كاليفورنيا هذه الفكرة ضمن شيء اسمه "نظرية الإسقاط" التي

تفسر علاقة الإنسان بالموضوع الذي يُسقط عليه مشاعره. حين يشاهد أحدنا فيلما سينمائيا فإنه ينفعل بالأحداث، وربما تكونت لديه مشاعر خوف أو حزن أو شفقة تجاه أبطال الفيلم، مع علمه بأن الأحداث ليست حقيقية، والأشخاص الذين يتعاطف معهم مجرد أشخاص وهميين. نظرية الإسقاط تقول أن مشاعرنا في هذه الحالة تتجه إلى الانطباعات التي تولدت فينا جراء تلك الأحداث وليس إلى الأحداث نفسها لأننا نعرف أنها محض خيال. وهي تزول متى عدنا إلى الواقع وابتعدنا عن تلك القصة المشاهدة.

ما علاقة هذا بأدونيس، بل بجمهور المثقفين العرب الذين تتناقض كتاباتهم مع حقيقة مواقفهم؟ الذي يبدو أن هذا النوع من المثقفين يخاطب حالات ذهنية فحسب. يهجو الطاغية فوق الورق ويدعمه في الواقع. يمارس التنوير في وسائل التواصل ويلعق عسل الطاغية. يدعم المرأة في سجالاته ويضطهدها في بيته. هناك أمثلة كثيرة تؤكد أن هؤلاء الناس يتسلون أو يهوّمون، لكنهم في الواقع عبء على كل شيء يدافعون عنه. وربما كان خلقهم تلك الحالات الذهنية نوعا من التطهير الذاتي لضمائر معذبة لا تمارس التطهير إلا فوق الورق وبأقل قدر ممكن من التكاليف.

‘‘‘

#في_قراءة_ الواقع

إبراهيم الكوني

خطر ببالي اليوم عند شرائي رواية "سلفيوم" لإبراهيم الكوني أنه لماذا لم تظهر روايات هذا الكاتب الاستثنائي في مسابقة الجائزة العالمية للرواية العربية "البوكر" إلا مرة واحدة في العام ألفين وتسعة ثم اختفت بعد ذلك؟ فالكوني حالة متفردة لا تشبه أحدا ولا أحد يشبهها، وهي متفوقة فنيا على معظم الحالات التي فازت بنفس الجائزة أو رُشحت لها في قائمتيها الطويلة والقصيرة، بل إن هذه التجربة الفذة بمجملها تستحق ما هو فوق "البوكر" بكثير. لقد استطاع الكوني في عديد من رواياته أن يقدم سحرا حلالا ذا لغة سلسة وفكر متدفق ونفس روائي جذاب، فأدخل القارئ إلى عوالم بدوية بكر، ووجّه الأنظار إلى تراث الطوارق الذي كان مجهولا بالنسبة للمثقف العربي والأجنبي على حد سواء. أذكر على سبيل المثال: "قابيل أين أخوك هابيل" و "أين أنت أيها الملك"، وغيرهما كثير.....

ليست هناك إجابة واضحة لهذا السؤال فإبراهيم الكوني شخص متحفظ دائما في تصريحاته، لكن الذي يبدو من خلال سيرته أنه ليس من أولئك الكتاب الذين يسعون وراء جوائز المسابقات، خصوصا إذا مثّلت المسابقات حالات جدلية يعفُّ عنها كل مبدع حقيقي.

أنا لا أقصد أن أذم أحدا بهذا الكلام فهناك مبدعون أفاضل فازوا بهذه الجائزة لكن الشيء الذي أنا متأكد منه هو أن إبراهيم الكوني شخص يحترم نفسه.....

‘‘‘

#وجدانيات

الكلمة المرأة

تشبه الكلمةُ المرأةَ، والمرأةُ الكلمةَ. بل تتقمص إحداهما الأخرى رأفة بذاك الوجود العطشان، التائه، الذي اسمه الرجل.....

وما يكتمل الرجل إلا أن تكون له خديجته تؤويه وتعطف عليه. تمنحه القوة إذ تغدو مهبط السلام من سمائه لأرضه. الله يقرؤكِ السلام ياخديجة، ويمن على من كان ضآلا فاهتدى، بكِ، وبالكلمات. أنتِ معجزة زمانه، والكلمات حياة تنطق بالمعجزة بعد زمانه. كأنما كنتِ الرحم والبركة، فما غاض الرحم ولا انقطعت البركة....

والكلمات التي نقولها نحن هي شكل انتمائنا للعالم. وأصحاب الكلمات البكر هم الخالدون حقا. الكلمات حواسنا، السمع والبصر والفؤاد، تنصت للغة القادمة من أعماق الوجود. فإن حسنَ الإنصات وطابت الأنفس حملنا أسرار الجمال إلى غيرنا وانتشينا بلقائها. الكلمات الهمس والصخب، واللغة التي

تتفجر، والمراوغة اللذيذة، ووقار الرغبة، والإحساس الذي يسيل، كل ذلك لا يختلف في شيء عن رجل في حضن امرأة. إذ ثمة سر لم يفصح عن نفسه بعد، سر غرامنا بكن، وانفراد كل حاسة من الحواس بما يخصها من شأنكن....

نقول الكلمات كي نهب المعرفة، ونتصل بكن كي نهب الحياة. نفرجّ عن غضبنا هنا ونقاوم بؤسنا هناك. هذا حضن وهذا حضن. والكلمة امرأة، والمرأة أم اللغة.....

‘‘‘

#شؤون_شخصية

عقاب التوت

أخشى الذهاب إلى الفراش. اللحظات التي تسبق استغراقي في النوم غريبة بعض الشيء، سأحدثكم عن واحد من وجوه الغرابة....

يتكرر كثيرا أن أفقد القدرة على تحديد المكان الذي أنا نائم فيه بالضبط. أظنني لوهلة نائما في بيتنا القديم حيث تحفُّ أغصان التوت جدارنا الحجري، وتتهامس فيما بينها همسا لا يفقه معناه إلا من أَلِف الحياة مع الشبابيك العمّانية المشرعة.... هذا الشيء الغريب أسمّيه عقاب التوت. كنا زاهدين بالشجرة العملاقة، ندوس ثمرها المتساقط على الأرض بأقدامنا. لم يسقها أحد منا،

ولا مرة واحدة طوال خمسة وعشرين عاما، ماء المطر كان يزورها فترتوي من تلقاء نفسها. غادرناها حين غادرنا بلا كلمة وداع أو نظرة محبة. مع ذلك لم تتوقف عن همسها؛ ما زالت تبوح للجدار هناك، ولي هنا، بأشياء كثيرة....

‘‘‘

#في_قراءة_الواقع

الوردي

وقع بين يديّ بحث صغير للدكتور علي الوردي عنوانه "دراسة في سوسيولوجيا الإسلام"، وهو عبارة عن رسالة أكاديمية نال الكاتب عليها شهادة الماجستير في العلوم الاجتماعية عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين.

ما يلفت النظر في الكتاب الذي هو تدشين لأبحاث الوردي اللاحقة أن الزاوية التي يرى بها الباحث إلى الأشياء ليست خاضعة للعادات والمرويات وتراث الأسلاف. يناقش الكاتب الاختلاف بين السنة والشيعة من زاوية أن السنة والشيعة تجسيدان لرؤيتين مختلفتين للعالم؛ رؤية واقعية وأخرى مثالية. وهاتان الرؤيتان، الكامنتان في بنية العالم، تتضادان بشكل جلي كلما حدثت ثورة أو انبثق دين جديد؛ ذلك أن أي حدث كبير يولّد صراعا بين ما يجب أن يكون وما هو كائن فعلا؛ والتاريخ حافل بالأمثلة، وتاريخ الإسلام واحد من هذه التجليات.

المذهب السني برأيه نشأ في أحضان الملك العضوض، ملازما للضرورة السوسيولوجية حيث الروح البدوية التي تحركها العصبية والغلبة وإخضاع الخصوم. تلك هي صيغة الملك في العصور الوسطى، بل هي الشكل الوحيد الممكن لنشوء الممالك والدول. بذلك تحوّل هذا المذهب إلى (رفيق) للمستبد، يضفي عليه شرعية الضرورة، ويستنبط له من الدين موجباتها، وينخرط مستفيدا أو غير مستفيد في عملية الاستبداد وترويض العامة عليها.

أما المذهب الشيعي فهو نزوع للمثال؛ إنه الحسين بن علي وسبعون رجلا إلى جانبه يقاتلون جيشا من خمسة عشر ألف مقاتل من أجل قضية لا يختلف منصفان على عدالتها. غير أن للمثالية المجردة سوءاتها؛ فهي تتحول مع الأيام إلى خزعبلات عقلية، وتفتح المجال واسعا للهرطقة، وربما لجأت إلى الرمز تسبغ عليه حاجاتها فتؤلهه وتمنحه سلطة على الواقع. عندئذ يزدهر الوهم ويرتبك الواقع ارتباكا كبيرا.

هذه النظرة تشكّل جزءا من الحقيقة ولا يمكن الركون إليها في تفسير كل شيء؛ فثمة عوامل ثقافية وسياسية وديموغرافية لعبت دورا كبيرا في تاريخ المذهبين. غير أنها جديرة بالاهتمام لما تشكله من إضافة قيمة للقضية السنية الشيعية، خصوصا ما يموج به هذا العصر من كراهية طاغية يقابل بها كل من الغريمين غريمه. تلك الكراهية التي لا تقف عند حدود العامة وما ينبثق عنهم من دواعش وحشد شعبي وحركات دموية، بل إنها تشكل موقفا أعقد، هو بين

السياسي والعقدي، فيحكم علاقات الدول ببعضها، ويفضي إلى تحزبات يشارك فيها أفراد لا ناقة لهم ولا جمل في الخلاف؛ هذا إذا أخذنا الأمر على ظاهره العقدي فقط.

في قضية الممانعة والاعتدال يبرز موقف مربك؛ ففي الجانب الأول يقف التشيع مؤيدا بقوى تسانده، ومنها قوى لا علاقة لها بالدين من أساسه كاليسار بكل أطيافه. وعلى الجانب الآخر تعتدل الأغلبية التي تجسد عصبية سنية على شكل دول وقادة وأحزاب. الطرف الأول طوباوي وصاحب مفرقعات كلامية مدوية، وبه يمكن لنا أن نفهم ما يجمع الشامي بالمغربي؛ أي ما يجمع الشيعي المتشدد باليساري المتحلل من كل قيد ديني سوى ما تفرضه عليه أيديولوجيته من طوباوية ذاتية تلقي به في حضن من يشابهه. الفريقان المتوحدان في فريق واحد يلتقيان على كره الطرف الآخر، الواقعي والمعتدل؛ أو المنبطح إذا أردنا وصف الأمور وصفا صحيحا، والمستبد بآلته العسكرية المدججة، وذخيرته الفقهية الجاهزة للدعم والمساندة.

المهم في الموضوع أن اللعبة في النهاية لعبة براغماتية؛ فالممانعة بشكلها المضحك الجالب للكوارث، مطية لأنظمة سياسية تاجرت بالمثاليات ولم تقدم مساهمة واحدة من أجل إصلاح الواقع السيء، بل إنها كانت معولا من معاول الهدم المستمر. هذا يخرج فكرة الممانعة من مجال الكذبة إلى مجالات أخرى؛ فهي عند المغفلين حلم يمثل رؤيتهم للعالم، وعند الأبالسة وسيلة

للتجارة وتحقيق امتيازات فئوية أو ثارات قومية راكدة منذ زمن قديم.

أما الاعتدال وفقهه وزبانيته فهو مجرد استبداد بكل ما يحمله الاستبداد من قبح. إنه استمرار للغلبة وقوانين العصور القديمة، ومعه تقف نخب مستفيدة، وآخرون بسطاء ضالون وجهويون وطائفيون وفسفيسائيون. ومن نفسه يلد نفسه، ونفسه الأخرى تكفير وقطع رؤوس...

‘‘‘

#بنات_الفلسفة

سر الإرادة

ربما لم يعلم زينون الآيلي، المولود عام ٥٠٠ قبل الميلاد، أن نظريته عن قوانين الحركة ستمهد لما عُرف من بعده بوحدة الوجود. زينون الذي أنكر الحركة، وعدَّها وهما من الأوهام، كان في أول أمره قد طرح معضلة السهم الذي يتحرك من النقطة أ إلى النقطة ب. تقول هذه المعضلة أنه لا يمكن تجزئة الحركة إلى أجزاء أصغر منها؛ فإذا أخذنا حركة السهم مثالا فإن المخيلة توهمنا أنه يمكن افتراض نقاط تماس على طول القوس الذي يسير خلاله السهم، وأن تواجد السهم في كل نقطة من نقاط التماس هذه يحتّمُ سكونه فيها قبل أن يستأنف الحركة إلى النقطة التي تقع بعدها. هذا

الاعتقاد، بحسب رأي زينون، يوقعنا في مغالطة عقلية شنيعة؛ ذلك أن سكون السهم يعني توقفه التام عن الحركة، ومن ثم استحالة انتقاله إلى نقطة تالية، ما يعني أننا نُعرِّف الحركة بالسكون؛ أي النقيض بنقيضه. لكننا برغم ذلك نتّبع عاداتنا العقلية ونستخدم هذا الوهم لتحليل الحركة، وفهمها في واقع حياتنا العملي.

وبعد حجاج منطقي طويل يصل زينون إلى لبِّ فكرته الذي يقول أن الحركة كلٌ واحد لا يتجزأ، وأنها بكليتها، ونتائجها، مختزلة في الزمان والمكان اللذين يسبقان نقطة الانطلاق مباشرة، فلا حقيقة إلا حقيقة المشيئة الغامضة المودعة في الأحداث قبل حصولها، ولا قيمة بعد ذلك لما نتوهمه من حالات وسطية تندرج داخل الحدث موضوع الملاحظة.

انتهى الكلام عن معضلة زينون، وبقيت وجاهة ما أدلى به الفيلسوف قبل ألفين وخمسمائة عام، فالكلام يفتح آفاقا غير مطروقة من قبل. مثلا، العلاقة بين الإرادة وسريان الفعل، أو النية والمآلات، أو المشاعر الخفية والأحداث. وأخطر من هذا كله لو قلنا أن الخلق من أوله إلى آخره هو حركة كبيرة تتولد منها حركات أصغر منها؛ فكل ما كان ويكون وسيكون هو مختزل في لحظة نفسية سبقت انبثاق المادة وظهور الكائنات.

يا لهذا الطريق ما أطولَه، وما ألذَّ السّيرَ فيه.....

‘‘‘

#في_معضلة_التنوير

احذروا

ينبغي الحذرُ من الآن فصاعداً عند استخدام كلمة "تنويري" فإنّ ما يفهمه بعض الناس عنها لا يتعدى حدود الاحتقار الذي يقدمونه لمجتمعاتهم. فأين النور إذن، وعلى من تشعُّ طلعتهم غير البهية؟

هؤلاء يعيشون حالة من التهويم الذي لا يتعدى حدود ما يشاهدونه في أفلام الآكشن أو ما يعرفونه عن مؤخرة كيم كاردشيان؛ لا سيما أن أكثرهم لا حظّ له في إتقان لغة أجنبية واحدة، فضلاً عن أن يقرأ بها، فضلاً عن أن يطّلع على ما أنتجه أهلها من تراث أدبي وفلسفي....

التنوير فكر وهؤلاء لا يقدمون فكراً، بل يمارسون فعل النكرات الذين يبحثون عن موطئ قدم؛ يسلقون المجتمع بألسنة حداد ويشحون بالخير ويمنّون على الناس... صدق الله العظيم في عليائه.

ثم من قال لكم أصلا أن جوقة التنويريين العرب تعبر عن موقف إنساني. إياكم وشرب هذا المقلب. الإنسانيون في بلادنا إما في سجن أو منفى أو قبر طُمست معالمه. أما هؤلاء فإن أقصى ما ينشدونه من وراء الإنسانية هو العرق الأبيض والنبيذ وأشياء أخرى تعرفونها جيدا....

‘‘‘

#شؤون_قرآنية

الفرقان

"يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم" الأنفال ٢٩

هذه الآية متصلة بما سبقها من آيات في سورة الأنفال. ذلك أن ثمرة الاستجابة لدعاء الله هي أن يفيض الله على الإنسان موهبة الحكم، أي التفرقة بين الحق والباطل والغث والسمين، فتنكشف له جواهر الأمور؛ ما كان منها حقا فحق، وما كان منها باطلا فباطل.

والميزان هو التقوى التي محلها القلب، وعكسه النسيان والإعراض. فبالتقوى يحضر الله، وذاك هو سر ذكره؛ ذكر الحضور لا ذكر اللسان. فحكم القلب حكمه، ومراده بوصلته، ولا فرار منه إلا إليه. فإن أعرض الإنسان وُكّل إلى أهواء قلبه وأطماع نفسه وأوهام عقله. عندئذ يعم الظلم باسم الدين، وتزدهر الشعائر على حساب الحق والعدالة.

ولأن القلب عقل وفهم فإن المشكاة تهب كل طالب حق بحسب استعداده؛ فالنور واحد والوسائل إليه متعددة. قال القشيري في لطائف الإشارات: "الفرقانُ ما به يُفرَّق بين الحق والباطل مِن علم وافر وإلهام قاهر، فالعلماء فرقانُهم مجلوبُ برهانِهم، والعارفون فرقانهم موهوب عرفانهم؛ فأولئك مع مجهود أنفسهم، وهؤلاء بمقتضى جودِ ربهم". انتهى كلام القشيري.... والكل في رحلة

إليه؛ أهل الذوق عرفانهم خاطف ودليلهم متوجه نحو الحق مباشرة، وأهل البرهان تقوى لديهم "ملكة الحكم" ويسعون إليه بالعقل والدليل.

كذلك، أشار الطبري وابن كثير عن ابن اسحق إلى أن هذا الفرقان القلبي مخرج ونجاة ومقدمة للنصر والتمكين. أما الزمخشري فعده ظهورا كظهور الفجر في السماء، آخذا ذلك من قول العرب "سطع الفرقان" أي طلع الفجر. فأي إسلام ذاك الذي صار بسببنا لا نجاة فيه ولا نصر، وأي سطوع ذاك الذي رآنا به العالم آلات قتل وترهيب؟ علينا أن نبحث عن الإجابة في قلوبنا، ونسأل تقوانا؛ فإنما نفوس الناس مرايا لنا؛ إن كنا على خير صفت، وإن كنا على غير ذلك رد الناس إلينا بضاعة نفوسنا.

‘‘‘

#شؤون_قرآنية

من سورة الأنعام

"قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**لا شريك له وبذلك أُمرتُ وأنا أول المسلمين" الأنعام ١٦٢-١٦٣

هذا إخلاص في العمل وإقرار بالخضوع عند طائفة من المفسرين مثل الرازي والشعراوي؛ فالعمل من صلاة ونسك اختيار، والحياة والموت جبر. وكلاهما؛ أي الجبر والاختيار، لله؛ فالمؤمن مقبل على ربه وخاضع لمشيئته في جميع أحواله....

أما أهل العرفان من المفسرين مثل إسماعيل حقي في "روح البيان" فيجعلون مدار الآيات متعلقا بأفعال العبد وأحواله؛ فالحياة المقصودة هنا هي حياة القلب والروح، والموت موت الإرادة. فالله حاضر في وجدان العبد حضورا يستغرقه في كل حالاته؛ في أفعال جوارحه الظاهرة، وفي أحوال قلبه الباطنة.

يفسر القشيري هذا المعنى بأبلغ عبارة فيقول: "من علم أنه بالله علم أنه لله، فإذا علم أنه لله لم يَبقَ فيه نصيب لغير الله؛ فهو مستسلمٌ لحكم الله، لا معترض على تقدير الله، ولا معارِضٌ لاختيار الله، ولا مُعْرِضٌ عن اعتناق أمر الله"

هذا المعنى شديد الصلة بمفهوم الإسلام من حيث هو عبودية لله، وندية مع باقي خلقه. وقد أفاض الشيخ رشيد رضا في شرح هذه النقطة في "المنار" فبين أن الإسلام ليس رابطة دم، ولا مجموعة من الطقوس أو الروابط الاجتماعية. ولا مكان للظلم فيه، ولا يجوز باسمه أن يخضع الناس للطغيان أو الجبروت. بل هو حق وميزان عدل، وجهاد يبدأ من النفس ويثمر في المجتمع وفي واقع الحياة.

‘‘‘

#مناجاة

أعوذ بكَ من ادعاء وجحود

اللهمَّ إنّي أعوذُ بكَ من ادّعائي ما ليس بي، ومن جحودي ما قدَّرتَه أن يكون لي؛ فإنّ نقصي في عينِ بقائك كرامةٌ، وكمالي في أوهام خَلقكَ جهالة.....

اللهمَّ اجْعلني ممّنْ إذا شهدوا كلَّ مشهودٍ شهدوك، وإذا خَلَوا إلى أنفسهمْ راقبوك، ومعَ كلِّ نَفَسٍ وبينَ نَفَسٍ ونَفَسٍ ذكروك.....

اللهمَّ اجعلْ سرّي كعلانيتي فلا يسوقني طمعٌ إلى معصيةٍ ولا عيبٌ إلى خديعة. وآمنْ روحي وطهّرْ قلبي، وامزجْ لطائفَ هذا بأثيرِ تلك فلا يختلفان.....

سبحانك، ما عرفك منْ لم يتشبَّهْ بك. وإنّها لا تعدلُ عندك جناحَ بعوضة، فاجعلْ خروجَها من قلبي سبباً إلى عرفانك فحبّك فحمدك فشكرك فلقائك على ما يكونُ فيه رضاك.....

‘‘‘

#الدين_القيِّم

مشكاة واحدة

لم تكن معجزة المسيح، عليه السلام، شيئا سوى وجوده في هذا العالم. صحيح أنه مشى فوق الماء، وأنه أحيا الموتى، وشفى أمراضا مستعصية؛ غير أن تلك الخوارق كانت مجرد مكملات لظاهرة عيسى المسيح، الإنسان الذي جاء بغير أب، وخاطب قومه في المهد بكلام كبير.

وإذا أردنا أن نفهم وجه المعجزة تماما وجب علينا أن نمد طرفنا لنرصد معجزة الإسلام أيضا؛ أي القرآن الكريم. فمعجزة المسيحية هي عيسى، ومعجزة الإسلام هي القرآن. شخص هنا

وكتاب هنا، ولا عجب في ذلك إذ لكل رسالة أدواتها التي تمكنها من بلوغ غاياتها. ويجب علينا كذلك أن نرصد في الحالتين ما يرشدنا إلى المصدر المشترك الذي صدر عنه نور الرسالتين. فالأشباه تأتلف، والمختلفات تتنافر، ولن ننتهي إلى قول يرضي الجميع ما دام لكل فريق فلسفته الخاصة. هذا يؤمن بإله يتجلى في التاريخ، وذاك يؤمن بإله يتجسد. الفرق كبير بين التجلي والتجسد، والفلسفات في العادة لا يطيب لها أن تقدم تنازلات.

أما عيسى عليه السلام فكلمة من الله أُلقيت في أرض بكر فكانت المعجزة. إنه ابن مريم العذراء التي لم يمسسها بشر وضُربت مثلا أعلى لكل المؤمنين من لدن آدم حتى قيام الساعة. لماذا كان المسيح ابن عذراء؟ ربما هذا شرط من شروط المعجزة؛ فكلمات الله لا يقدر على حملها إلا أنقى الجواهر وأصفاها وأجدرها بأداء الأمانة. هكذا حُملت الكلمة الشخص، فلما آن أوان الكلمة الكتاب، القرآن المعجز، وجب كذلك أن يحمل الكلمات من هو سيد البشر، صدقا وأمانة وخلقا، ومن هو كذلك أرض بكر؛ أي رجل أمي، لا يقرأ ولا يكتب، لكنه يحمل ويؤدي إلى البشر أبلغ كلمة، وأجل لفظ، وأطهر مخطوط.

عذرية مريم وأمية محمد، نور على نور، والمشكاة واحدة.

،،،

#وجدانيات

النفيس الغالي

اعلم يا أخي الحبيب وأختي الحبيبة أن كل شيء كانت آلته الزمن فهو وهم وإن طال أمدُه، وأن الصور التي تراها أطياف، والأحوال خدع، وما الحياة في حقيقة أمرها إلا ظنون آثمة....

إنك ذات؛ غير أن الذي يتراءى لك منك هو قشرة فانية كدرتها العلل؛ فقصرت خطاك حين حاصرك المكان، وأفسدك الجسد الغارق في الزمان، وتاه منك الفكر في حبائل الأسباب. ولو أنك أمعنت النظر ببصيرة قلبك، وتطهرت من الجوع والطمع والجبن، لتراءى لك النفيس الغالي فحزتَ شرف نفسك وكنت في قلب السعادة.

أتدري ما النفيس الغالي؟ إنه ما لا يزول؛ أنت طاهرا. رعشة في قلبك إذ يغمره الحب، أو شهقة للجمال، أو كلمة تنسج معنى كان خافيا فأشرقت به نفسك. أو شوق للحرية، أو تحدٍ لظالم، أو شعور صادق يمتزج بدمعة فيضيئان كونك كله....

أيها الحبيب، إنك ترجمانها لولا أنك اخترت أن تكون أبكم فملأتها بالزعيق.....

‘‘‘

#وجدانيات

الخطر

عطفاً على شيء سابق هو تكرار لجملة قلتها قبل عام؛ لا يتركك الناس حتى يحاصروك بما يظنونه تفسيرا مقبولا لحالتك.... لكنْ، وأنت بغنى عن ذلك، لن يحترق معك أحد، ولن يكون لـ "ذوقك" شريك. ولعل شأنك مغنيك عن أن تبوح بشيء ينبغي أن يبقى طيَّ الكتمان....

بالمناسبة، حين أردت أن أرجم هذا العالم بوردة حمراء، كما فعل الجنيد حين رجم قبر الحلاج، فعلت، ولكن أخذني رعب شديد، فقد غرقت في بحر من الأشواك ثم خرجت منه سالما بعد أن ظهر وجه من وجوه الحقيقة لم أعره من قبل اهتماما يليق به. حدثت تلك التجربة بحذافيرها. ونالني رعب عاد وارتد بي غبطة؛ ذلك أنني كنت بها في قلب من كشف لي عن نفسه تخويفا بعد أن ملأ حياتي من قبل جلالا وجمالا....

رحماك فلست أقوى على شيء من هذا، وكفى بي شرفا أن تهتم لأمري مهما كانت طريقتك في الإفصاح....

‘‘‘

#في_قراءة_الواقع

حسرة فوق الرفوف

ذهبتُ إلى المكتبة قاصداً رفوف اللغة العربية، وفي ظني أن فوقها ما يشكل إضافة للموضوع الذي أرغب بالقراءة عنه، فأذهلني فقر الرفوف وعدت صفر اليدين يراودني السؤال المؤلم: أي هوة حضارية تفصلنا عن الغرب وعن علومه وآدابه؟؟

منذ يومين أنهيت كتابة البحثين المطلوبين لإتمام الفصل الأول من برنامج الماجستير في إدارة الأعمال الذي انتسبت إليه في أحد الجامعات البريطانية. وكنت أمضيت شهرين شاقين منقبًا داخل المراجع المكتوبة باللغة الإنجليزية. قرأت عشرين مرجعًا؛ نصفها كتب ونصفها الآخر خليط من المقالات الأكاديمية والدوريات العلمية والدراسات المبثوثة في مواقع الإنترنت المتخصصة بالموضوعين المطلوبين.

فلما فرغت وسَكَنَت نفسي، ووجدت لديَّ فسحة من الزمن تسمح لي بمزيد من الاطلاع على روية، قلت: إن من الحكمة الآن أن اقرأ عن ذات الموضوعين أشياء كُتبت باللغة العربية، لعلي أستدرك أفكاراً فاتتني أثناء انهماكي بقراءة المراجع الإنجليزية؛ ذلك أن أحدنا مهما بلغ من درجات إتقان اللغات الأجنبية فإنه يبقى أمامها على غير ثقة بتمام إحاطته ودقة إلمامه وحدّة تيقظه....

ثم إن نفسي كانت قد تاقت للسان العربي توقَ من هجر وطنه

إلى أرض غريبة عنه، فلما تراخت قيوده عاد على أجنحة شوقه وفي النفس من السرور ما يجل عن التبيان....

المهم أنني غزوت رفوف المكتبات باحثًا عن مرادي، مقلبًا صفحات (كتب) يفترض فيها أنها ذات صلة بما أبحث عنه. ويا لخيبة مسعاي؛ فما وجدت في (الكتب) مضمونًا ولا شكلاً ولا سببًا من الأسباب جاذبًا. هالني أولاً فقر المحتوى فقد كان ما كُتب مجرد تلاخيص كتلك التي كنا نقتنيها في الثانوية العامة. وهالني سوء الطباعة وقبح الخط وسذاجة التسلسل وانعدام الترابط، وغياب الإرادة عند معظم من كتبوا في أن يقدموا شيئًا ذا قيمة يخدم القارئ....

قارنتها بتلك المراجع الأجنبية فوجدت الفرق شاسعًا، كفرق أي قيمة في الدنيا حين تقسمها على الرقم صفر، أو كالفرق بين المرسيدس والحنطور؛ فإن الفرق بين هاتين الوسيلتين من وسائل النقل هو الفرق تماما بين مراجع الخواجات ومراجعنا....

في المراجع الأجنبية تجذبك الصفحة حتى إنك تتمنى أن لا تخرج منها. يشرحون بالكلام المباشر والصور والفيديوهات ودراسات الحالة والإحصاءات، ولا يتركون وسيلة من وسائل الإيضاح إلا لجأوا إليها تبيانًا للفكرة واحترامًا للقارئ وجذبًا له. ثم إنهم لا يكتفون بوجهة نظر واحدة، بل إن جل اهتمامهم ومنطلقهم في أي تحليل أو شرح هو التفكير النقدي (Critical Thinking) حتى إن أساتذتنا في الجامعة يخصصون جزءاً كبيراً

من العلامة للتفكير النقدي الذي يتناول الرأي والرأي المضاد، ولا يستسلم لقول عالم واحد، أو طائفة من العلماء اتفقت على قول، مهما علا شأن هذه الطائفة في ميدان العلم ذي الصلة.

كما أنهم في كتبهم يهتمون بالجذب البصري، فالصفحة لوحة من الألوان، والرسومات إبداعات هندسية، والصور واضحة، وتوزيع الفقرات سلس، والفصول مرتبة بعناية، والتنوع مبهر، والأمانة العلمية في أقصى درجات الاحترام؛ إذ لا يُنقل رأي إلا ويُشار إلى اسم صاحبه وتاريخ كتابه ورقم الصفحة التي نُقل منها الرأي....

فأين هذا كله مما وجدته في الكتب العربية؛ في تلك التلاخيص المملة، المنفرة للعين، التي لا تراعي ترابطًا في الأفكار، ولا أمانة علمية، ولا تؤسس إلا لمزيد من الانحدار الثقافي....

إنها حسرة في النفس تجبر القارئ منا على إحصاء خسائره المعرفية التي تكبدها في كل الميادين التي قرأها باللغة العربية؛ الفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع والآداب؛ خسائر كبيرة، تجبرنا على مراجعة خياراتنا الثقافية إن كان فينا بقية من مثقفين يسعون لإعادة الهيبة إلى لغتهم والنهضة بها، والانضمام من جديد إلى ركب البشرية...

‘‘‘

#في_قراءة_الواقع

Black Friday

شاهدت قبل قليل مجموعة فيديوهات تحتوي مشاهد عنيفة عراكًا بين المتسوقين اللاهثين وراء عروض الـ(Black Friday) في أميركا. وقد خرجت باستنتاج مفاده أن الارتقاء في أطوار الحضارة لا يغير شيئا جوهريا في النفس البشرية؛ فالطمع هو نفس الطمع، والفرد الذي يعيش في بلد متحضر يكون دنيئا أو فاضلا بنفس درجة الدناءة أو الفضيلة التي يجسدها شخص يعيش في بلد من البلدان ذات الحظ القليل من الحضارة. الفروقات الفردية بين البشر شبه معدومة، والتمايز جماعي؛ فالإنسان بالفعل كائن اجتماعي، والنظام العام هو الذي يأخذ بيده صعودا أو انحدارا.....

شيء شبيه بالـ(Black Friday) عشته قبل فترة وجيزة، فقد أعلنت إحدى المجموعات التجارية الكبرى عن تنزيلاتها السنوية، واستمر العرض ساريا لأربعة أيام. وقد كنت من المبتلين بتلك التنزيلات لأن بيتي يقع خلف أحد فروع المجموعة مباشرة. عشت أوقاتا عصيبة في تلك الأيام، وكان الدخول إلى بيتي أو الخروج منه يشكل معاناة كبيرة. السيارات تقف بالطوابير، والمتسوقون يغلقون الممرات ويعتدون على الأرصفة، فلما انتهت أيام التنزيلات زال عني كابوس ثقيل وعادت حياتي إلى طبيعتها. ولن أدخلكم في تفاصيل مملة، لكن يكفي أن تعلموا أن

زجاج سيارتي كُسر في واحدة من تلك الدخلات على يد بعض الزبائن لأسباب ما زلت أجهلها حتى هذه اللحظة....

على كل حال، الإنجاز الكبير الذي حققته الحضارة الغربية هو أنها حيدت الجانب الشخصي من كل مسألة عامة؛ أي أنها لم تقضِ على ما في طباع البشر من تهافت وطمع ووحشية، لكنها أخرجتَ هذه الطباع من مجال التأثير العام وجعلتها محصورة في نطاق ضيق يحكمه قانون وتهذبه عدالة. ولأن الشخصي خارج الموضوع صارت الأشياء موضوعية وقابلة للقياس، لم يعد العلم يأبه بانطباعات البشر، لكنه زودهم بما يساعدهم على التكيف وتقدير الأخطار. الكيلوغرام مثلا هو كيلوغرام عند كل الملل والنحل، والشبهة الوحيدة التي تدور حوله إنما هي دقة قياسه، وهي شبهة يتفق عليها العلماء ويسعون جميعهم إلى تقليلها ما أمكن. نفس الشيء ينطبق على الدرجة المئوية والمتر الطولي والمتر المكعب والقوة والسرعة وترددات الطيف، وأشياء أخرى كثيرة غدا الخوض في أمرها خارج قوانين العلم ضربا من ضروب الخبل....

والعلم بصيغته هذه أدى خدمة كبرى للبشرية؛ فقد انتقل من الكيف إلى الكم ودشن عصر الموضوعية. لا يهم إن كنت تشعر بالحر أو البرد، لا تزعجنا بانطباعاتك التي تستطيع أن تقي نفسك منها بالطريقة التي تراها مناسبة، المهم أن درجة الحرارة خمسٌ وعشرون درجة مئوية في هذه اللحظة، ولك الخيار بعد ذلك....

الغربيون، كمجتمع، صنعوا هذا العلم وقطفوا ثماره. وهنا يكمن الفرق بينهم وبين مجتمعات ما زالت تخلط الشأن العام بالشأن الشخصي، وتقدم الثاني على الأول في كل موقف يتطلب الحكمة والموضوعية. هذا النوع من المجتمعات تحركه العواطف غير العقلانية فيصبح ملعبا للأوغاد ومكانا مناسبا لممارسة النصب والاحتيال. ويستطيع فيه أي مخادع كاريزمي له لسان على شيء من بلاغة القول، أن يفعل من الأباطيل ما يعجز عنه كبار الأبالسة. ويستطيع أيٌّ كان أن ينهش ويؤذي، ويمكن ممارسة شتى أنواع الادعاءات. ومن السهل أن تبرهن على العاطفة بلسان ذلق، ومن الممكن أن تنقضها بنفس اللسان، وللمكر ملعب واسع، وللضمير من مساحات الإبهام ما يجعل الأمر على غاية من التعقيد.

حين يصبح الأشخاص هم محور الحياة تكون مبادئ القياس باطلة وترتبك الأفكار؛ إذ لا يبقى من وسائل البرهنة عليها إلا حسن النوايا. عندئذ يحدث انتهاك خطير للعقل، وتسقط الإنسانية سقوطا كبيرا، فيقتل طاغية سفاح نصف مليون بني آدم من أبناء شعبه ثم يفلت من المسؤولية، بل ويُصطنَع رمزا من رموز الفضيلة الممانعة. وفي نفس العالم، تقتل القوى الاستعمارية من نفوس قومك ملايين النفوس، وتخرب المدن، وتغتصب النساء، وتسرق نفطك، وتجني حرثك، ثم يدعوك داع أخرق إلى تقمص قيمها الحضارية، والولوج إليها جنة لا يظلم عندها أحد. وفيه يصعد سلم المسؤولية رجل أبله، نصف معاق، وشبه أبكم، ويقتل في

طريقه آلافا من الناس، ثم يكون مخلّصا، بل إلها يعبد من دون الواحد الأحد...

يكفي هذا.

‘‘‘

#إنسانيات

أنتيكات

يخلط أكثر الناس بين مهارة اليد ومهارة العقل، فيفضلون القديم على الجديد في الحالتين، وهم في ذلك غاشمون تماما...

ربما كانت الأنتيكات أتقن وأجود؛ فإن يد الإنسان تعطي صنعتها ما لا تعطيه الآلة، وتجعل للروح انسيابا في الصنعة يمنحها سحر الخلود. هذا يصدق على المنتجات المادية، لكنه لا يصدق على ما ينتجه العقل من فكر؛ فأنتيكات الأفكار لا تصلح أن تقارن بجديد العقول، وما رسب في القاع هو حتما دون ما علا في القمة. إن التراكم والنضوج والخبرة والعلم تأخذنا جميعها إلى حيث نستطيع فهم عالمنا بشكل أفضل....

سيغضب السلفيون من هذا الكلام ويمارسون عليك (حقهم) في الحرمان. وللسلفية أشكال متعددة، منها الديني والحزبي والمهني والعشائري. سيلقون عليك لعنة القرون الأولى التي هي خير القرون؛ فإما أن تقر بنقصك (أيها الحثالة!!) وما أنت بحثالة، وإما أن تطرد من جنة العاجزين...

العاجز معجب بعجزه وتستهويه القبور....

ومضة: إذا تساوت العقول كان المتاخرون من أهل كل صناعة أكمل في صناعتهم من المتقدمين.... عن ابن النفيس بتصرف...

‘‘‘

#إنسانيات

سلطان الوعي

لا يبلغُ المرءُ حريتَهُ إلّا باكتمالِ وعيِهِ؛ فلا حريةَ لجاهلٍ، ولا أفقَ لمحجوبٍ.....

والوعيُ يشبهُ العلمَ ولا يشبهُه! إنَّهُ الموقفُ الروحيُّ/ الفلسفيُّ/ الأخلاقيُّ من الوجودِ. هو فوقَ العلم بالمحسوساتِ فذاكَ مجالُ العلوم التجريبيةِ، ولا يُكتَسبُ بالتلقَينِ لأنَّهُ ضميرٌ محضٌ. إنَّهُ إشراقَاتٌ ومجاهداتٌ، وتفكّرٌ وتدبُّرٌ، وعشقٌ غيرُ مدفوعٍ....

والوعيُ من العلم كالتمثالِ منْ صخرتِهِ أو الجنينِ منْ نطفتِه. هو اختلافٌ في الدرجةِ كلِّها وليسَ في الكمِّ. ولنا أنْ نَعُدَّهُ عروجًا من أديم الأرضِ صوبَ السماواتِ. إنَّهُ رحماتٌ سابغاتٌ ينالُها الذينَ لَا خوفٌ عليهمْ ولا همْ يحزنونَ. وكيفَ يحزنُ منْ إذا سألَ وجَدَ، وإذا تفكَّرَ أدْرَكَ، وإذا تمنَّى نالَ؟! هناكَ كلُّ الخياراتِ والاحتمالاتِ والبدائلِ طوعُه. الوعيُ يبلغُها على جناحِ الشوقِ حينَ يخترقُ كلَّ حجابٍ.....

والوعيُ سلطانٌ، وكلُّ حرٍّ سلطانٌ، والحريةُ تكونُ حيثُ الاختيارُ، ولا حريةَ مع جهلِ الاختيارِ. ذاكَ عدمٌ أو بهيميَّةٌ.

والوعيُ وعيُ فردٍ أو جماعةٍ. والطغاةُ لا يمنحونَ الخياراتِ، ويقتلونَ الوعيَ في مهدِهِ. ولهمْ ذرائعُ تنطلي على العقولِ البليدةِ. عمرانُهم خرابٌ، وسنواتُهم نكساتٌ، وأمنُهمْ موتٌ، وحبرُهمْ طلاسم....

ما صنعَ بالدُّنيا سلطانُ العلم إلّا قليلاً، فما بالُكمْ بما يصنعُهُ سلطانُ الوعيِ؟ أيُّ أمنياتٍ تمكثُ هناكَ وهُنا؟

‘‘‘

#في_محفلة_الثقافة

يستحقون الشفقة

يستحقون الشفقة؛ أولئك الذين يغازلون السلطة طمعا في رضاها. السلطة يا أعزائي وحش جبار لا يعترف بكم، ويضحك ملء فمه على أحلام يقظتكم.

كمبدأ، لا تصلح حياةُ الإنسان بغير طموح يعلو به. غير أنَّ للطموح وجهين؛ وجها شرعيا ووجها فاسدا. أحد وجوه الفساد أن يكون الطموح لا أصالة فيه، محكوما بشروط الآخرين، ويكثر فيه الهذيان والسماجة.

لا يصلح أن يكون زعيما من يشق طريقه بالاستكبار. أن تكون ضئيلا في ناحية ومنتفخا في ناحية ثانية يعني أنك ستتحول عما قريب إلى خرقة بالية. عندها حتى آليات "مماسح الزفر" لن ترضى بك.

في وسائل التواصل ثلاثة أنواع من الشخصيات، الوحش المُضمَر، الرجل العادي، والملاك. الوحش المضمر هو نفسه الملاك حين يصدران عن روح بائسة....

بحسب إريك هوفر في "المؤمن الصادق"، يمر كل مثقف بلحظة يكون فيها على استعداد للتصالح مع السلطة إذا عرفت السلطة كيف ترضي غروره. تلك هي أثمان الرجال، ولكل رأس ثمن. للمتيمين أقول: إذا قررتم البيع فلا تصرحوا بأثمانكم. حافظوا على ماء وجوهكم بالتمويه على حقيقة سقوفكم الهابطة.....

‘‘‘

#إنسانيات

في فنون الحياة الرديئة

للتكرار خطر عظيم في حياتنا، ليس لأنه يُعلِّم الشطار، وإنما لصلته المباشرة باعتيادنا على أبشع الأشياء....

الأمر يستوجب الرثاء، خصوصا إذا امتلكنا عينا ناقدة تستطيع القفز فوق مسافات الزمن. قبل مئة عام شكا الكاتب التشيكي جوهن من "الوحوش ذات المحركات الانفجارية"، كان يقصد

السيارات وضجيجها الذي جعل حياته جحيما. أما اليوم فلم يعد الإنسان يشكو من ضجيج الوحوش رغم أن عددها تكاثر ألف مرة. بل إن حياتك لن تكون طبيعية إن لم تته بينها وتألف ما كان قبل قرن جحيما لا يطاق!!

حتى الأذن النظيفة تستطيع الاعتياد على النشاز. تلك هي العبرة من الرواية.

ربما كان الاعتياد على الرداءة يحجب عنك حقيقة موقفك. يقارن بعض الكتاب المعاصرين، مثل جابر عصفور، بين سوءات الاستبداد السياسي والجمود الديني في مجتمعاتنا بما ينتج عنهما من ذوق رديء. حين يُحـــرَم العقل من مادة حياته وأوكسجين أفكاره تنحدر كل ملكاته إلى الحضيض، ويفقد بالتدريج قدرته على التمييز بين ما هو كائن وما يجب أن يكون. عندئذ تصاب القيم الأخلاقية بالعطب فيتفشى الفساد في قاعدة الهرم قبل قمته. ويمتد نفس الفساد إلى الذائقة العامة فيهبط مستوى الفنون، وتتكوم النفايات جبالا فوق الأرصفة، وتغرق المدن بسبب مصارفها المهترئة. كل هذه الأشياء مترابطة؛ إنها سيمفونية من المناظر المقرفة والروائح العفنة والموسيقى الرديئة والنفاق الصارخ والإنشاء الزائف والوطنية المنحرفة. إنها للأسف حياتنا!!

الشيء المهم هنا هو قضية التدرج والاعتياد؛ فما كان مستهجنا قبل سبعين عاما صار عاديا اليوم. من رأى منكم صور القاهرة في أربعينيات القرن العشرين؟ أو عاش مجد عمّان في السبعينيات

والثمانينيات؟ من يستطيع أن يخبرنا إن كنا انتقلنا بمحض إرادتنا من "دوالي" توفيق النمري إلى قناوي ورشاشات الأردن الجديد؟ كيف استيقظنا بلا ميعاد على هذا الهول الطائفي، ولماذا ارتدت عشائرنا قرونا للوراء؟ لا بد أننا لم نشعر بشيء من هذا، بل تسرب إلينا على حين غفلة. هكذا، قطرة فقطرة تشكل هذا الوحل المخيف. المدن النظيفة اختفت بالتدريج، والبنية التحتية تآكلت ببطء. والموسيقى صارت بلا وجه، والشعر بلا غاية....

أما الوطنية فصارت بلا قلب....

‘‘‘

#في_محفلة_الثقافة

خسر البيع

احذروا من أن تكونوا أدباءَ، فأكثر الأدباء في بلادنا عطّالون بطّالون؛ ذلك أن الحروف هنا لا تطعم خبزا، ولا تفي بأقساط المدارس، ولا تضمن لكم سكرة فاخرة. إن وقعتم في هذا ستضطرون إلى بيع الشيء الوحيد الذي تمتلكونه؛ أي كلماتكم. ستبيعونها لمن يدفع أكثر ويضمن لكم حياة هانئة في الطابق التاسع والثلاثين من برج إسمنتي يطل على نخلة لا تنبت تمرا، لكنها مضاءة بالهالوجين....

احذروا لأنكم بعد البيع ستنفصمون انفصاما لا التئام بعده؛ ستعشقون بغداد في الليل، وتنطلقون في الصباح لتنظيف الروث

من تحت خيول هولاكو. ستحرقون المدينة التي خطرتم يوما في أزقتها باحثين عن معشوقة لها شعر يشبه السنابل. ستبصقون على العشق وعلى السنابل وتبيعون كل ذكرى بمتعة من متع العالم الجديد الذي يسلبكم بهاء وجوهكم. ستشعلون سيجاركم الكوبي بالورق الذي دونتم عليه قصائدكم القديمة. ستتحولون إلى كنّاسين ومتعهدي محارق، وربما نبتت لكم أنياب، وتبرأتم من والديكم، ولعنتم مهد الطفولة الذي شهد عليكم أيام كنتم بشرا لم تلوثهم عبادة الدراهم...

أنتم يا من تمتلكون حرفة اكسبوا رزقكم من عرق جبينكم. ستحققون كل تلك المتع بضمير مرتاح. وستحتفظ ذكرياتكم بجمالها، وتظلون قادرين على التواصل مع جداتكم. لن تفقدوا قطعة من قلوبكم، ولن تموتوا منسيين في غرفة مخنوقة في حضيض الطابق التاسع والثلاثين....

‘‘‘

#في_قراءة_الواقع

مقبرة العقلاء

يدخل في باب مضحكات مبكيات أولئك الذين لا يحسنون شيئا سوى تقليب الـمُقلَّب وتقمص الأفكار. إن النزعة الشكية والحس النقدي ليسا ترادادا أصم لما يوافق الهوى، وكل نقد لا يرتقي فوق النقد الأساسي الذي اقتبس منه إنما هو تقليد أعمى، أو

انحدار بالأصل يفضي إلى جهالة؛ هذا إذا أخذنا الأمور بنية حسنة وتغاضينا عن الهوى وصفحنا عن سذاجة النفوس المتضخمة....

التراث بضاعة رائجة للراغبين بالشهرة لكنه ليس مادة لينة يقربها من هب ودب، وعلى الكاتب الذي يحترم نفسه أن يفرق بين أصول المعرفة ومخرجات الحوارات التلفزيونية الموجهة. والذكي من وقف عند حده أو استكمل أدوات المعرفة. إن أكثر الذين يتحدثون إليكم أبواق إعلام مُلمَّعون على عفن، ويشار إليهم بالبنان في دائرة يشكلها فراغ. أو راكدون في فضاء ثقافي يجتر نفسه، أو ذاهلون أمام كلام كبير ينتهي بهم إلى كسر رقابهم.

الأمر مضحك إلى الدرجة التي تنفجر عندها المرارة؛ رجال من طول وعرض، أبعاد ثنائية ليس لها عمق، وأسماء بالبنط العريض، وشاعرات كئيبات يختبئن خلف صور ممنتجة، وإضاءات، وميزانيات، لكنَّ الجمل مرتبكة، واللعاب سائل، والشبق طاغٍ، والذعر بادٍ، والأحلام نتنة، وبالباب سياف....

إياك أن تسبح مع التيار فبلادنا هذه مقبرة للعقلاء، وعصفورية لمن سواهم.....

‘‘‘

#في_قراءة_الواقع

مواقع إلكترونية

تستطيع أن تمتلك موقعا إلكترونيا، وتحقق له نجاحات جيدة ما دمت طفلا مؤدبا لا يزعج الثعالب في أوكارها. عليك أن تكون مدجنا في الليل والنهار، وأن تسبح مع التيار، وترضى بالأوامر العرفية تلقى إليك كلما أفقت على نهار جديد....

تستطيع بعد ذلك أن تعبر عن مواهبك، لكن عليك أن تكون حذرا، فثمة مساحات بعينها هي المسموح لك باقتحامها. أولئك الذين تلتقط منهم الفتات لا يقولون أشياء واضحة بهذا الخصوص، إنهم يمارسون الصمت حيال المناطق المسموح بها، ولأنك لـمّاح وتعرف أصول الخنوع فإنك تغتنم تلك الفرص السانحة لتتجبر كما يليق بصحفي سقفه حذاء ثعلب من ثعالب السلطة....

الكرة في ملعبك الآن. لا بد أن تحارب خيباتك، ولا بأس إن قصمت ذاك الضلع القاصر الذي اسمه مجتمعك وهويتك. لا بد أن تتقمص دورا يسمح لك بأن تمتد خارج تلك المساحة الواقعة تحت حذاء الثعلب. تلك هي، أنت مثقف كبير، تمارس التنوير على جموع من الجهلة الذين لا يتقنون الإملاء ولا يعرفون أصول الأفكار العميقة التي يعج بها رأسك. لكن مهلا؛ أنت وأنا نعرف الحقيقة، ونعلم أن دروس الإملاء لا تصنع كاتبا كبيرا، وأن أفكارك العميقة مجرد شتات حفظته من هنا وهناك يوم أدركت أنك

لا تستطيع أن تقرأ كتابا من الجلدة إلى الجلدة، ولا أن تستوعب تأويلا، أو تتلمس للمعرفة أصولا وتراكما وامتدادات.

أنت تحارب الجهل، هذا ادعاء لا يمكن نقضه ما دام الأمر سيان؛ تلعن الجهلة، وتلم جموعا منهم حولك. لكن أخبرني، كيف تحارب الجهل بمزيد منه؟ وأين حصاد أفكارك الذي يشفع لك فيخرجك من زمرة الجاهلين؟ لا بد أنك تمزح معنا إن عددت سيل المقالات الذي يعبر عن آراء شخصية لك نتاجا أدبيا أو نقديا أو فلسفيا. إنها مزحة ثقيلة لا يمكن احتمالها أكثر من ذلك. إن هذه الفوضى الإلكترونية تسمح لك بمزيد من الصفاقة إذ يجتمع حولك مئة أو مائتان من أولئك الذين تخاطب نزواتهم فيرتادونك استمدادا لمزيد من القذارة. أما خصومك فما زالوا في نظرك جهلة لا يتقنون الإملاء. هل تتقن أنت شيئا مع الإملاء سوى كذبك وخنوعك؟ خصومك أيضا دواعش ينتظرون رأسك على سنان رمح. هل قرأت خصومك أيها الولد المستكبر؟

المنبر لك لأن الأحرار ليس لهم منابر، والفلاسفة ملعونون في أوكار الثعالب. صفِّ حساباتك مع المجتمع، اقتل فيه حبيبة لفظتك يوم لم تقنعها كرجل، أو عقَّ فيه أبا رباك على الحرمان. كن تنويريا، لكن مهما فعلت لن تتخلص من ظلمة نفسك....

‘‘‘

#كلام_مُسَيَّس

الأمل الفسيح

من الأشياء الطريفة التي تستحق الوقوف عندها ما ذكره (الماوردي) في كتاب (الأحكام السلطانية) من أن شروط قيام الدولة خمسة أشياء: الإقليم، الشعب، السلطان الحاكم، الأمن، وأخيراً الأمل الفسيح...

أما الإقليم والشعب والسلطان فهي ما اتفق علماء السياسة المعاصرون عليه. وأما الأمن فهو الواجب الذي ما تنفك الدول الديمقراطية عنه، وهو كذلك الذريعة التي تلجأ إليها أنظمة الفشل والفساد كي تبقى جاثمة على رؤوس العباد.

وأما الأمل الفسيح فشأن يختلف عن كل ما سبق. إنه شرط راقٍ جداً يدلّ على نباهة الماوردي، ويثير في النفس حسرات وآهات وزفرات....

مساؤكم أمل فسيح في زمن الذين يذبحون الأمل؛ فسيحه وضيّقه.....

‘‘‘

#كلام_مُسَيَّس

رحلات في الربيع العربي

تشيرُ بياناتٌ إحصائيةٌ أوردَها جوني وست في كتابِهِ الجميلِ (كرامة، رحلات في الربيع العربي) إلى أنَّ عدد العاملين في القطاعات العسكرية (جيش، شرطة، مخابرات الخ....) في الدول العربية ضخمٌ جداً نسبة إلى عدد السكان، وهذه النسبة تكاد تكون ثابتة في كل دولنا؛ إذ إن واحداً من بين كل ١٥ شخصاً في سن العمل هو عسكري على رأس عمله. ويبدو هذا العدد أضخم ما يكون عند مقارنته بالعدد في الدول الغربية؛ حيث تبلغ النسبة هناك واحدا إلى خمسة وثلاثين، أي أقل من النصف مقارنة بما هو حاصلٌ عندنا.

ولهذه النسبة انعكاسات خطيرة؛ ففضلاً عن كونها ترهق ميزانيات الدول وتبتلع مواردها فإنها؛ وهو الشيء الأخطر، تمنح النظام الاستبدادي حضناً دافئاً من الولاء الحقيقي الذي يقوم على مبدأ المصلحة المتبادلة، حيث تغدو العلاقة بين المستبد وقطاع عريض من الشعب علاقة عضوية خالصة.

ولنأخذ مصر كمثال؛ إذ يبلغ عدد السكان هناك تسعين مليوناً، وعدد الأشخاص في سن العمل هو غالباً حوالي ٤٠٪ من مجموع عدد السكان، أي ستة وثلاثين مليونا. إذا قسمنا هذا الرقم على خمسة عشر يكون الناتج مليونين وأربع مائة ألف شخص يتوزعون

بين الجيش والشرطة والمخابرات وقوى الأمن الداخلية وفرق المخبرين وكل ما شابه ذلك من الأعمال ذات الصلة...

طيب؛ إذا افترضنا أن كل شخص من هؤلاء المليونين والأربعمائة ألف يعيل عائلة، وكان متوسط عدد أفراد العائلة خمسة أفراد فإن ذلك يعني أن اثني عشر مليوناً من المصريين ترتبط حياتهم حيويا بهذه القطاعات، وهم يشكلون بالتالي قاعدة ضخمة من الموالين للنظام البوليسي (الشخص والمؤسسات) الذي يحكم قبضته على البلاد متخذاً شكل الأب والأخ والصديق والضرورة والقدر....

١٢٪ إلى ١٥٪ من المجموع الكلي لعدد السكان، يا لها من نسبة كبيرة، فمقابل كل مليون مواطن عربي هناك مئة وخمسون ألف شخص يمثل النظام الاستبدادي لهم معنى حياتهم وأحلامهم ومستقبل أولادهم. وهؤلاء ليسوا وحدهم بالطبع، فهناك كثيرون غيرهم في مختلف القطاعات، لكن هؤلاء العسكريين وعائلاتهم وذراريهم هم القاعدة الأضخم والأقل كلفة والأسلم من الناحية القانونية، وبوجودهم يستطيع المستبد أن يمد سلطانه وأن يستمتع بوطن يحكمه ولاء ساذج وعدائي واستعلائي ومتجذر إلى درجة مخيفة رغم تناقضه مع أبسط مبادئ الكرامة والحرية الإنسانية....

لعل هذا يفسر ما لا يمكن تفسيره بالحكمة والمنطق. علماً بأن ما تعكسه الفكرة هنا ليس موقفاً من العمل العسكري بحد ذاته؛

فلهؤلاء في وجداننا أقصى درجات المحبة والاحترام. لكنه موقف من الاستبداد نفسه إذ تحترق معه وبه المعاني الجميلة والقيم السامية النبيلة....

‘‘‘

#بنات_الفلسفة

عن الحرية

في الحرية قسطٌ لا يستهانُ به من النفي؛ نفي الاستبداد. وكل استبداد هو اعتداء على حق من حقوق الذات الإنسانية. لذلك تنتزع الحرية بالثورة، بل ما من طريق إليها إلا الثورة.... هذا أولاً.

ويُفهَم من كونها نفيـًا أنها استعادة أو رجوعٌ لأصل الأشياء. أي أنها تنقية من الشوائب. لذا يوصف كل معدن صافٍ بأنه حر، فيقال ذهبٌ حر وألماس حرٌ وفضةٌ حرة. ويوصف كذلك المال الذي لا شريك للرجل فيه بأنه حر؛ فيقول القائل "اشتريتُ هذا البيت من حرّ مالي". بهذا لا تكون الحرية إلا حيث يكون النبل وتتحقق الطهارة.... هذا ثانيـًا

والحرية كما أقرتها الشرائع اتساق مع نظام الكون. وفي المسيحية تفهم الحرية على أنها لطفٌ رباني يساهم في تحرير الإنسان من خطيئته الأزلية. أما في الإسلام فالحرية ثمرة التوحيد؛ توحيد من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. ولولا

الحرية ما كانت القوانين؛ فالقيد بهذا سماح وما بُنيت السجون إلا لإطلاق الحريات.... هذا ثالثاً

والحرية علمٌ بالشيء وإرادة له وقدرة على التنفيذ؛ فحيثما فُقد واحد من هذه الثلاثة كانت الحرية مفقودة.... هذا رابعاً

خارج هذه الحدود؛ استرداد الأصل وطهارة الذات والاتساق والمعرفة المقرونة بالإرادة، تغدو الحرية سخرية يرتكبها عبدٌ أو قذر أو شاذ أو جاهل، أو من اجتمعت فيه هذه الصفاتُ كلها...

هل عرفتم كم هو شأن الحرية عظيم....

‘‘‘

#وجدانيات

الفقاعات

ما الذي تورثه فقاعة لفقاعة؟

لنعلم أولاً أن الفعل فَقَع في اللغة العربية يدل على أشياء كثيرة من بينها، بل أهمها، صفة الفضاوة التي يصاحبها أو يسبقها صوتٌ عالٍ. بهذه الصفة أسمينا ما يفور على سطح الماء ثم ينفتح مُسلماً نفسه للخفاء "فقاعات" وكذلك وصف العرب الشخص المهذار ذا الكلام عديم الفائدة بـ"المفقِّع" ولعل في الجملة الفصيحة القريبة من العامية "فقع البالون" ما يصف الحالة وصفاً دقيقاً.....

ولعلماء الفيزياء نظرية شبيهة بذلك في تفسيرهم للوجود؛

فإنهم يرون أن هذا الوجود إنما هو غشاء رقيق تظهر على سطحه فقاعات تشكل الزمان والمكان، وتحوي في داخلها كل ما نشاهده من أحداث ومخلوقات ومادة. فكل شيء هو في حقيقته ابن فقاعة محكوم بحكمها، ثم يختفي.

ويذهب العارفون نفس المذهب فهم ينكرون حقيقة الوجود الممكن؛ الذي هو نحن، ويصفونه بأنه مجرد تجليات سمتها التغير والانتقال من حال إلى حال. فنحن وهم في حقيقة "والذي يدرك هذا حاز أسرار الطريقة" كما قال محيي الدين بن عربي.

المهم؛ الفقاعات تورث بعضها على ما يبدو الغرور والجهالة والفزع؛ فمادة الفقاعات متغيرة أما روحها فواحدة. إنها حالة استكلاب على لا شيء. والفقاعة تعوي، والقدر تغلي، والمظهر وهم زائل، والباطن حق باق. والكلام لا يفيد، إنما هي مسألة ذوق محض.

‘‘‘

#وجدانيات

نحس

هذا ليس شأنا شخصيا بحتا....

يراودني شعورٌ بالنحس أحيانا. ذلك أنني، على غير ما يتوقعه المثلُ الشائع، ما غنمتُ شيئا من صداقة ولا عداوة؛ فصديقي أحمق، وعدوي للأسف أحمق منه. وخلفي بسببهما سياطٌ من

الكراهية، وأمامي مع بقائهما خندقٌ ضيق ومصير مجهول. وكلما أردت الانطلاق في فضاء إنسانيتي جاهرني عدوي بالكراهية، وخلعني صديقي من طائفة الناس الأخيار. هذا مع رقيب مكناه مني، هذا عن يمين وذاك عن شمال، كلٌ لحسابه، فيدسُّ أنفه في نبضات قلبي، أو يحشرني في زاوية نائية من طيف الألوان التي دُبغت بها جلودنا.

على سيرة الألوان؛ تبا لكل أشقر وأبيض وأحمر وأصفر وحنطي وأسمر يعاني من عمى ألوان في ذهنه....

برغم ذلك، ثمة ما يوسوس لي دائما بحب الحياة. تلك هبة لن أتركها حتى آخر نفس. الحياة معركة ناعمة، نخوضها بسلاح واحد هو الأحلام، والإنسان ثمرة تواقة إلى مصير لم ينضج بعد. المستقبل هو نحن، نقابل منا معه كل ثانية جزءا جديدا، ونحقق فيه بعضا من شروط اكتمالنا. وصداقته ليست معقدة؛ يكفي أن نعرف أن وعينا بالأشياء هو آلة الولوج إلى مستقبل دافئ. هذا لا يلغي الماضي، لكنه يلونه بمزاجنا نحن سكان الحاضر الذي يوشك أن يصبح مستقبلا. فيكون ما نراه نحن، ونضمره نحن.....

الإنسانية لا تتحمل كثيرا من الواقع.... (إليوت)، لا بد أننا بحاجة إذن إلى حلم كبير منسوج من أمنياتنا الصغيرة. هناك تقع أرض موعودة لا يمنعك من شذا عطرها أوغاد، وفيها تحقق إيمانا لا يحول فيه بينك وبين الله حائل. كل ما يبقى إنما

يؤسسه الشعراء.... (هولدرين)... والشعراء يمسحون عن المرآة غبارها.... (لا أحد)

هذا العالم مليء بالغبار السام الخانق، أما المرآة فعلى موعد مع يد حانية.....

‘‘‘

#شؤون_شخصية

إنسان

أُدخّنُ، وآكلُ تفاحةً كلّ يوم، وأشربُ بالمعدل ثلاثَ علبٍ من المشروباتِ الغازية رغم أنني أمارسُ الرياضةَ لمدّة نصفِ ساعة وأحيانًا ساعة. أقود سيارتي بتأنٍ غيرَ أنّ هاتفي يشغلُني عن القيادة في بعضِ الأحيان. أقرأُ وألهو، يبكيني الذكرُ الحكيمُ وأطيشُ مع الطائشين. أسمعُ سيمفونيات ويطربني متعب الصقّار. أكتب نهاراً بالإنجليزية وأتحول إلى أصمعيٍّ بالليل. طموحٌ إلى أبعد حد ومع ذلك أحتقرُ الدنيا كثيراً. أؤمن بالروحانيات وأنظّر في مجال الماديات، عالمي كتلة من المشاعر لكنّ الشيء الوحيد الذي يقنعني هو لغة الأرقام....

أنا بالمجمل من الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا. لكنْ يبدو أنّ المقاديرَ متساوية...

ثمة ضوء داخل النفق؛ أما نهايته فأسألُ الله السلامة.

‘‘‘

#شؤون_شخصية

الكلام واللغة

تكلَّسَتْ لغتي منذ ثلاثة أشهر؛ فقد مال بي مركب الحياة إلى محطة جديدة، وكان لزاما عليَّ أن أستعد للجديد وأعدَّ له عدَّته الخاصة التي استهلكت ليلي ونهاري، وحوّلتني عن مألوفي القديم....

لم أقرأ شيئا يُعتدُّ به خلال هذه الأشهر الثلاثة، كنت ملولا ومرهقا وعاديا. خسرت الكلمات فهرعت إلى المفردات؛ فإذا الفرق شاسع بين الكلام واللغة. الكلمات تنتمي إلى حقل الكلام، والكلام تجليات تحمل وعودا وتحدث في الأفهام المستعدة فرقا. أما المفردات فهي مجرد لغة، وقد تتسع حصيلة أحدنا منها أو تضيق، غير أنها تبقى، وإن كثرت، قوالب جامدة تعارف عليها الناس فوظّفوها لما يناسب حاجاتهم اليومية العادية والمملة والمكررة....

يعبر الكلام عن نفسه بطرق كثيرة منها الصمت والإشارة والغمزة والجحرة واللفتة والشهقة والمفردة، وغيرها كثير. بهذا تكون المفردة واحدة من وسائل الكلام. لكن ليست كل مفردة تؤدي كلاما؛ فثمة سياق لغوي وموقف وجودي وصور ذهنية ورواسخ ثقافية، وثمة دال ومدلول، ومتصِل ومتصَل به. لذلك كان على المفردة التي تريد أن تجعل من نفسها كلاما أن تحيط بهذه الجوانب كلها، ثم تسعى بعد ذلك إلى ترك بصمتها باختيار

المسار اللائق وتوقيت اللحظة المناسبة التي تحدث الانفجار المعرفي وتقود إلى الطفرة الثقافية التي تنعكس كطفرة في الوعي وفي الموقف من الحياة....

المفردة/ الكلمة شرارة تقدح في الزمان المناسب، فإذا تلقفها خاطب ودها أثمرت وربت وأنبتت من كل فكر بهيج....

ملاحظة: لفظ (الكلمة) يطلق على المفرد والجمع

ملاحظة ثانية: عذرا للإطالة

ملاحظة ثالثة: إذا لم تقدح هذه الكلمة في عقلك شرارة فتجاهل الموضوع. فإنما هي محاولة للثورة على أشياء شخصية ربما لا تعني كل الناس...

‘‘‘

#إنسانيات

سلفيات

يبدو أن كل إحالة على منتج فكري بشري تفضي إلى سلفية ما، وتتوحش هذه السلفية في المجتمعات البدائية كلما ارتحل الزمن بعيدا عن أصل تلك الإحالة. أما المجتمعات الناضجة فتعرف كيف تنجو من مواتها بابتداع آفاق جديدة له ولها.

‘‘‘

#إنسانيات

القطب الواحد

أهم شيء صار في هذا الزمن أن جدلية الظالم والمظلوم تغيرت فلم يعد بمقدور المظلوم أن يبوح برفضه للظلم، فضلا عن أن يمارس الوسائل المشروعة للدفاع عن حقه.

هذا جرى تحت فزاعات استطاع الظالمون إقناع المظلومين بوجاهتها؛ مثل الإرهاب والوطنية والضرورة التي تحفظ العباد من الفوضى. وأشياء أخرى مشابهة.

ولم يكن هذا ليحدث لولا أن العالم صار أحادي اللون، محكوما بوجهة نظر واحدة، وتحكمه عصابة واحدة، وتكنولوجيا واحدة، ومسافات جغرافية تكاد تتلاشى بسبب التقدم المادي الأخرق.

وافتقد الإنسان أسراره. لقد صار مكشوف النوايا، فحوصر، وتقوقع داخل جمجمته التي إما امتلأت لهواً، أو شُغلت بكفافها، أو توقفت عن العمل قهراً من هكذا حياة...

لم يعد في العالم أبو ذر، وسفينة الثوار تحطمت في سجن النفس المظلم، فإن نجا منهم أحد كانوا منه على مسافة حبل الوريد.

‘‘‘

#إنسانيات

توافيق

تذكَّر قبل أن تمارس علينا الشطط أنك سُتسأل أمام الله وحدَك. عندها لن يشفع لك ادعاؤك أن إرادتك كانت مسلوبة، ولا شرحُك له كيف أن المصلحة العليا للدولة التي عشتَ فيها تطلبَتْ منك أن تتغاضى عن الخراب، أو أن التوازنات الاستراتيجية في السياسة الدولية حتّمت عليك تبريرَ الحماقات، أو إصرارُك على إبلاغه أن مؤامرة حيكت في الخفاء فوقفتَ مع كذاب قال إنه سيقاومها، أو أن رغبتك بالأمان سوّلت لك أن تكون بيدقا في رقعة الظالمين، أو أنك وجدتَ إرهابيين ذوي غلظة يتحدثون باسمه فعاديتَهم وعاديتَه معهم، أو أنك فعلت كل ما سبق لأنك كنت حطاما بشريا يعاني من هلع وجودي فتضخمت نفسه وأراد أن يصطنع لها نجومية تحجبها عن حجمها التافه.

دنياك هذه دنيا توافيق، يمتزج الحق فيها بالباطل فتتلون الوجوه وينخدع الناس. والطمع والشهوة يحركان فيها الألسنة والقلوب، فلا تظنَّ أن الثناء يجلب لك فيها خيرا صافيا؛ فإنه إذ يُنيلُك يأخذ منك، ولا ينصبُّ عليك انصبابا حتى يكونَ قلبُك مرآة لأخس نوازع البشر. أما هناك فلا امتزاج؛ تكون وحدك، أبيض أو أسود، مكشوفا وعاريا، وضعيفا إلا إن وجدت عدة لك من إرادة لم تهملها من قبل، أو ضمير لم يتلوث وسط الحطام.

‘‘‘

#في_معضلة_التنوير

رادوفان كراديتش

رادوفان كراديتش القذر كان أديبا مرموقا وحصل على عدة جوائز في الشعر. هذا الشخص أشرف على واحدة من أكبر جرائم الإبادة الجماعية في التاريخ، وكان العقل المدبر لقتل ثمانية آلاف إنسان في سربرينيتشا البوسنية...

اليوم حُكم عليه بالسجن لمدة أربعين عاما. بصراحة، أنا لا أستطيع في هذه اللحظة، إلا أن أطالب بموقف واضح منه، خصوصا من بعض المثقفين العرب الانتقائيين، الذين يشمون جثث القتلى، قبل أن يقرروا أي نوع من أنواع الدم يناسب موقفهم الإنساني...

ثم، ما الذي يمنع أي تنويري متعصب من التحول إلى رادوفان كراديتش جديد؟ إنهم يحملون من الغل، مثله، شيئا كثيرا. ثم إنهم يستطيعون التعبير بشكل جيد عن مقدار كراهيتهم للمجتمع، ويتفننون في ابتكار تعابير الاحتقار...

الفرق الوحيد بينهم وبينه أن كراديتش مارس فحولته على ناس آخرين، أما هم ففحولتهم دياثة تتوجه نحو الداخل فقط....

‘‘‘

#في_معضلة_الثقافة

لغة الحمقى

انحسار اللغة وصمة عار علينا إذ نتواصل مع بعضنا كما يتواصل علماء جامعة اتلانتا مع قرود الشمبانزي. الانحسار لؤم يمنعنا من الاستمتاع بهذا العالم الذي يفترض أن تختبئ فيه الأسماء لنبحث عنها بهمة أطفال والهين. بدلا من ذلك نفغر فاها ونفتح نصف عين ونتخذ من دون الأسماء ذخائر تصلح لحمقنا. علينا أن نقتصد أكثر من القرود؛ مائتا كلمة تكفي لازدهار "لغة الحمقى" فتدخل الأرض إذن في غيبوبة قسرية...

الأهم من ذلك أنك لو بحثت عن الحصيلة اللغوية لبعض زبائن الأفكار من بعض كتاب الأعمدة والأشخاص المنتمين إلى الوسط الثقافي لوجدتها لا تتجاوز مائتي كلمة. أنا لا أمزح فهذه حقيقة. بينما "لغة الحمقى" في مختبرات الشمبانزي تتكون من مائتين وخمس وعشرين كلمة. أي أن العقول في تلك المختبرات أكثر ثراء بنسبة ملحوظة...

النتيجة؛ لا تحشروا أنفسكم في قوالب صنعها غيركم. لا تكونوا ليبراليين ولا سلفيين ولا علمانيين ولا يساريين ولا ممانعين ولا سحيجة ولا انقلابيين ولا عشائريين، واحذروا من آخر تقليعة ظهرت على الساحة (إسلاميين Double face) يرحمني وإياكم الله....

‘‘‘

#وجدانيات

إسّعة

يا ربِّ لم كل هذه النكت، واستنساخ المواقف؟ هناك أشياء تلتصق على حائطك سبعين مرة في الدقيقة، أو تغزوك عبر الواتساب أربع مرات كل ثانية. ثم يقسم لك الذين يمارسون البث المباشر، ويجيدون التقاط الصور أثناء ساعات الدوام الرسمي أنهم يتألمون. وينشئون صفحة على الفيسبوك، ويضمونك إليها عنوة، ويسبون الجار قبل الدار، ويقولون لك:لا تحزن فالله معنا....

الحياة ستايل، ولا بد أن تكون (ستايلش) حتى لو اضطرك الأمر للعب دور المهرج....

ليس حريا بك أن تلتصق بهذا العالم إلى درجة تلغي حدودك، ولا أن تغترب عنه اغتراب "فرانكنشتاين" المرعب. وليس هناك ما هو أشد رعبا من أن يختل توازنك في هذا العالم فتتجسد فيك أنهار من الكوميديا السوداء أو أطنان من البلاهة. ولا يلزمك مال كثير أو علم وفير كي تدرك أن في الدنيا ما هو أفضل من هذا الهراء....

‘‘‘

#إنسانيات

اللذة لحظات فانية

ما من لذة تسبب في حد ذاتها ضرراً للإنسان؛ وإنما يقع الضرر حين الاستغراق في اللذة وصولا إلى حالة التخمة منها...

حين تأكل ويعجبك الطعام الذي بين يديك يشتعل الإحساس الشهواني في داخلك فتتجاوز متطلبات البقاء نحو متطلبات المتعة، وتنهل من تلك المتعة ما دامت فيها بقية، فلا تتركها حتى تضمن أنك استنفذتها كلها. عندئذ تقوم متخما، متثاقلا، جالبا لبدنك ولروحك الضرر الجسيم...

وحين يوقظك أحدهم في الصباح الباكر، وكنت نمت ساعات تكفي أو تزيد عن حاجتك، تشعر بميل إلى البقاء في فراشك؛ تأسرك لذة النوم وتسطو عليك، وتعيدك إلى دفئك الوثير إن لم تكن من أولئك الذين يستطيعون مجابهة اللذة والانتصار عليها...

وحين تقع في غرام امرأة فاتنة ثم تعطيك هذه المرأة من نفسها ما يحرك مكامن الشهوة فيك؛ فإنك لن تتوقف حتى تبلغ من اللذة أوجها، إلا أن يصدك منها ما يوقفك عن تماديك....

وحين تحكم شعبا من الشعوب وتأسرك السلطة ومغرياتها فإنك تمعن في استجلاب ملذاتك؛ حتى أن من خبروا أهل الحكم والسياسة شبههوهم بالأطفال إذا أقبلوا على شيء ما، وبالوحوش إذا ما حال بينهم وبينه حائل...

علاقة الإنسان باللذة علاقة لحظية؛ نقطة ضعف متعلقة بالزمن، فالإنسان حصن منيع يفتح فيه الشعور باللذة ثغرة يدخل منها الضعف والشهوات. فإن لم يبادر إلى رتقها اتسعت وتفاقمت، وإن أحكم سيطرته عليها كان الزمن، طال أو قصر، كفيلا بتحجيم الشعور باللذة، ورده إلى اعتداله الطبيعي...

جرب أن تتغلب على تثاقلك الصباحي حين تستيقظ، قف على قدميك، وأعط نفسك دقيقتين لا أكثر، ثم أخبرنا عن اختفاء نعاسك وعودة النشاط إلى بدنك...

توقف عن الأكل بمجرد امتلاء نصف معدتك، واصبر خمس دقائق، ثم حدثنا عن عزوفك عن الطعام وإحساسك بالراحة الجمة...

كن ملكا أو رئيسا أو ما شئت أن تكون، لكن حاذر من الشهوة. اعتدل في متطلبات جسدك واقمع خواطر الطغيان في روحك بإحساس إنساني نبيل، عندها أضمن لك أن تكون فاروقا جديدا، وربما خيرا من ذلك....

اكتفِ ممن تحب بقبلة أو عناق، ولا تمدنَّ عينيك إلى نهايات الأمور. عندها أضمن لك أن تهنأ بشعور لطيف لا تغادر حلاوته وجدانك حتى آخر يوم من عمرك....

‘‘‘

#وجدانيات

الموسيقى

عندي مشكلة مع الموسيقيين، إذ أشعر بالغيرة منهم، وأتمنى في كل مرة أسمع فيها لحنا بارعا لو كنت أنا صاحب اللحن، وعازفَه، وموزعَه. بل ربما سولت لي نفسي أن أتقدم عنهم خطوة فأغوص في آلة اللحن، وأطير بين اهتزازاته، ثم أتلاشى في مسارٍ من مسارات هوائه....

الموسيقى حلم من أحلام العمر التي لم أستطع إليها سبيلا. إن لها سطوة على قلبي فهي منسوجة بدقة، وانسجام إيقاعاتها يدخلني في حالة من التوهان. قد يكون هذا سببا وجيها لعشقها، فبعض نظريات الجمال تقول أننا نعشق ما تتسق نسبُـهُ فنرتاح له. غير أن هذا لا يكفي لتفسير تلك الرغبة المجنونة بتملك كل موسيقى جميلة. النسب هياكل جامدة، ثم إن الجمال وحده ليس سببا كافيا لتعلقنا بالأشياء. لا بد أن في الموسيقى ما هو أخطر. أنت تعيش معها حالة انصياع، فتسيل روحك بها ظمأً لمفقود، أو تشرق على روحك معها بعض شموس العرفان؟؟

ليست مسألة نسب! لا شيء يستطيع أن يفسر خفقان قلوبنا عند لقائنا بمن نحب. كل النظريات تخفق هنا. يقولون أن للموسيقى سطوة على المشاعر بالذات. وأنها ثورة اللطافة على الكثافة، ومعها نعود إلى وطن الروح. أو أنها تجلٍ للنشاط الوجداني الكامن في

قلب الإنسان. أو أنها صوت الحياة التي نعيشها. بالمناسبة، كانت هناك أعمال خالدة نجحت في محاكاة أصوات الطبيعة أو جسدت ذلك الصخب الذي يحيط بنا من كل جانب. أصوات الحشود أو الأعراس القروية وأحيانا ثرثرة النساء ونقيق الضفادع. لا شيء يقف أمام قدرة الموسيقى على التعبير. ولا شيء يمكن أن يفسر لنا سر شغفنا بالموسيقى.

"عندليب العشاق" داوود الذي ساقته الموسيقى إلى مدارج النبوة. كان محاربا شرسا، وصانعا حذقا تصهر الحديدَ صنعةُ يديه. كل شيء ظاهر منه إنما يليق بملك من ملوك العصور القديمة. ليس سهلا أن تكون نبيا في هذا العالم، إلا أن ترتحل على أجنحة الموسيقى. كان لداوود سر يسكن في قلبه فتنطق به أوتار حنجرته. إنه الرجل الهارب من نهاره الفولاذي إلى ليله الوتري على تلك الأجنحة. رحلة تليق بعارف راسخ القدم. فإذا تمت الرحلة انفطرت القلوب، وتمايلت الكائنات....

الموسيقى سر من أسرار الله، فاسمع واقترب من أرض النور.....

‘‘‘

#الدين_القيِّم

محمد الإنسان

لم يكن القرآن الكريم وحده معجزة الإسلام، فقد كان رسوله أيضا معجزة من جنس معجزة القرآن. أدّاه بأمانة وتخلَّق به وأوتي جوامع الكلم. هذا في ظاهر المعجزة، أما في باطنها فقد كان رجلا من الناس لم يخرج عن ناموس خَلقهم في شيء. هذه النقطة الأخيرة هي السر الذي جعل محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن وجهين لمعجزة واحدة؛ فالقرآن كلام بلغة البشر، ومحمد بشر من لحم ودم، إنهما مما ألفه الناس؛ فلا خوارق فيهما إلا في سمو الصنعة التي لا يضاهيها شبيه.....

وكان من أعجب الأشياء أنه برغم الحب الصادق الذي يكنه المسلمون لنبيهم، حتى إنه كان وما زال أحب إلى أحدهم من نفسه وماله وولده والناس أجمعين، برغم ذلك لم يرفعه أحد منهم فوق مقامه البشري. وحين كانت تجري نقاشات حادة حول خوارقه صلى الله عليه وسلم كالإسراء والمعراج، فإنها كانت تنطلق من تمسك المسلمين ببشرية رسولهم. وحين غالت بعض الفرق فرفعت من هم أدنى من الرسول درجة إلى مقامات فوق مقامات البشر فإنها لم تغالِ في محمد واحتفظت به سيدا لهذه الشخصيات لكن بكيانه البشريِ المطهر.

وأعجب من ذلك ما صنعه الفلاسفة المسلمون فإنهم فسروا النبوة تفسيرا لا يخرج بها عن شروطها الأرضية، وجعلوها صفاء في النفس يهب صاحبها قدرة على تلقي الإلهامات من أفلاك

العقول العلوية، فتنعكس هذه الإلهامات رؤى وقوة في الخيال وفي الذكاء. وكان محمد البشري ذو اللحم والدم أقوى الناس مخيلة وأكملهم عقلا وأشدهم ذكاء، فانطبعت فيه العلوم كأصفى ما يمكن أن يبلغه علم بشر.

أما المتصوفة فقد جعلوا بشرية محمد مرآة لكون بُني على غاية أخلاقية نبيلة. ذلك أنهم بدءا من الحلاج وصولا إلى ابن عربي آمنوا بحقيقة كونية سامية اسمها الحقيقة المحمدية. وجعلوها فوق كل الحقائق، بل إنهم رأوا أنها درة التاج فيما أسموه الإنسان الأكبر؛ فالكون بنظرهم هو تجل لأسماء الله وصفاته. إنه إنسان كامل كبير تسري فيه كل الصفات. والصفات متعددة، لكن هذه الصفات تبني كونا وظيفيا فقط إذا لم تقترن بالغاية الأخلاقية التي تحققها الحقيقة المحمدية. هذه الحقيقة هي التجلي الخاص باسم الله الأعظم، هي العقل والغاية والحكمة. والكون مهما بلغ من تقدم في وظائفه فإنه لن يستقر وسيبقى كونا مرعبا يأكل القوي فيه الضعيف، إلا أن تشرق عليه أنوار الحقيقة المحمدية التي من أجلها خلق الله هذا الوجود.

صلوا عليه، وتذكروا أن الإيمان ببشريته هو كمال في التوحيد، وأن الأرض اليوم بما فيها من علم وقوة تئن تحت وطأة الظلم لأنها تفتقد نور الحقيقة المحمدية، وأن لا ظلم واستبداد إلا حيث يتصرف بعض البشر كما لو أنهم آلهة أو شبه آلهة، وتلك أبعد الصفات عن محمد وعن من يؤمنون بدين محمد.....

‘‘‘

#الدين_القيّم

الدين عند الله الإسلام

أخي الكريم...

حبيبي الذي يجمعني به دين الإسلام والإيمان بشرع محمد عليه الصلاة والسلام...

حين قال الله تعالى في كتابه الكريم "إن الدين عند الله الإسلام" وقال "ومن يبتغِ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" حينَ قال ذلك وأشياء أخرى تشبهه فإنه كان يشير إلى ما هو من اختصاصه وحده عز وجل، ولم يجعل أحدا منا قيما على الضبط والإحضار ولا على اتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة.

لم يجعل رحمته لك وحدك لأنه قال "ورحمتي وسعت كل شيء"، كل شيء يا أخي وحبيبي، فما بالك بمن هو ذروة ما خلق الله، أخي وأخوك؛ الإنسان. وما رأيك إن كان هذا الإنسان هو شريكك في أرضك وهوائك وسمائك، هو سندك وجارك وزميلك وصديقك وطبيبك وحبيبك....

يا أخي ومن يشاركني نفس الإيمان: إياك أن تلعب دورا أكبر من دورك، عليك بإيمانك فقط، قـــوّه ونــقّه وابحث عن رضى الله في صلتك به وفي خير تسديه لعباده فإن أحب عباد الله إلى الله هو أنفعهم لعباده....

إياك أن تكون أسير التاريخ واشرب من رأس نبعك فإن الكدر خالط أشياء كثيرة بعده. هذا الذي يأتيك به بعض الرواة حصل بالفعل، لكنه كان ثمرة أشياء أخرى غير الدين. كانوا يضطرون غير المسلمين إلى أضيق الطرق، ويلزمونهم أزياء معينة، ولا يهنئونهم بأعيادهم لأن أجدادنا كانوا يعبرون في ذلك الوقت عن عنجهية الغالب، عن حضارتهم التي كانت متفوقة منذ زمن مضى عليه ألف عام. أو ربما كانوا هلعين من أمم تخوض معهم صراعات دامية؛ الرومان والفرس وسواهم. كان ذلك موقفا سياسيا، أو وجوديا، أو قوميا، أو نفسيا، لكنه لم يكن دينا بأي حال، ولو كان دينا ما اضطهد أجدادك العربُ الفرسَ بعد أن صاروا إخوة لهم في نفس الدين.

أخي وحبيبي: دينك في أن تكون محبوبا بين الناس لا في أن تجعلهم كارهين لك....

‘‘‘

#في_قراءة_الواقع

الخلافة

كأنَّ ما ينقصنا هو الخلافة فقط...

هؤلاء الذين يقدمون لكم مشروع خلافتهم إنما يقدمون حلماً محفوفاً بالفشل الذريع؛ ذلك أن الأمر ليس بهذه السهولة، ولن يكون....

ما ينقصنا، وما تعجز مجسات هؤلاء عن اكتشافه، بل تجهل ضرورته من الأساس، أن يكون هناك مجتمع يحمل الخلافة ويقيها عثراتها المحتملة. مجتمع لا يعاني من نسب أمية عالية، ولا بطالة متفاقمة، ولا أخلاق رديئة وغش وأنانية. مجتمع فيه من الوعي السياسي والثقافي ما يمكنه من تطوير أدوات حكم تناسب الزمان وما طرأ عليه من تغييرات مضت به سنوات ضوئية بعيداً عن مجتمع الخلافة الأول....

أما أن يخرج من هبَّ ودبَّ جاعلاً من نفسه أميراً للمؤمنين فأمر مخيف ومرعب. أبو بكر البغدادي تلميذ الزرقاوي، هذا كل ما نعرفه عن التلميذ، أما ما نعرفه عن الأستاذ فهو أيضا مبهم، والشيء الوحيد الثابت عنه أنه سجين سابق في قضايا جنائية، صار بطلاً وقائداً وصاحب أرقام قياسية في القتل والتفجيرات....

تاريخ دموي، وفتاوى متطايرة تطايرَ الشظايا القاتلة تبيح لهؤلاء زرع الرعب في المجتمعات. لا يعرفون شيئا عن القانون ولا العلاقات الدولية ولا الديمقراطية ولا حقوق المواطنة. يقتلون على الشبهة، ويتلاعبون بالكلام، ويرسخون نفس النهج الاستبدادي الذي عانت منه الأمة قروناً طويلة. فما لنا ولتقوى البغدادي، هذا إذا افترضنا وجودها. فتقواه له، وصلاته وصيامه له، أما ما للأمة عند خليفتها فهو كفاءته وسداده وحنكته ومهارته وفهمه العميق لمعنى المسؤولية، أما ما سوى ذلك فهو كذب ولعب واستبداد وخرافات....

كذلك ليس من الضرورة أن تكون الخلافة مشروعاً سياسياً وحدوياً يتجسد في شخص أو مجموعة صغيرة من الناس؛ إذ هي أقرب إلى المعنى الرمزي منها إلى حلم قد لايكون واقعيا بتوحيد مليار ونصف المليار شخص بكل ما فيهم من اختلافات وتناقضات. ففكرة مثل الاتحاد الأوروبي أقرب إلى معنى الخلافة من هذا المعنى العتيق الذي يحمله مسلمون معاصرون. وفي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ما يؤكد أن الفكرة مفتوحة على مصراعيها، وأن الفيصل فيها هو معطيات الزمان وضروراته الدنيوية البشرية....

إنها مأساة حقيقية أن يتبجح أحدهم بحمل هذه المسؤولية الثقيلة، ويستلهم خطب الصحابة الأوائل كي يضع نفسه وإياهم في ميزان واحد. والمأساة الأكبر أن يجد بين أبناء هذا الزمن من يصدقه ويباركه ويحمل معه هذا الوهم الفظيع...

وهم الإبل في زمن أسلحة الدمار الشامل...

‘‘‘

#وجدانيات

ما ينقال وما لا ينقال

في مجمل أعمال النفري، يفرق العارف الفذ المتوفى في منتصف القرن الرابع الهجري بين نوعين من أنواع الكتابة: الأول هو كتابة "ما ينقال" والثاني هو كتابة "ما لا ينقال"، وحولهما تندرج كل أحاديثنا المسموعة والمقروءة والمرئية....

و"ما لا ينقال" هو ما يشير إشارات خفية إلى اللانهائي؛ فهو ابن الأبدية الذي تعجز عن إيضاحه العبارة أو يُمنَع من التصريح بحقيقته الرائي؛ ذلك أن من الأسرار ما هي أسرار عاشقين فإن باح بها المحب كان كمن هتك ستر محبوبه، وذاك أحد المآخذ التي وُصفت بها حالة الحلاج، فهو العاشق الذي "افشى سر الربوبية" فناله ما ناله بسبب ذلك من صلب وتعذيب....

والنفري متحفظ بهذا الخصوص فعبارته رمزية إلى أبعد الحدود، وعالمه الرباني غني وغامض يلجه القارئ على مسؤوليته الخاصة باحثا عن تلك الإشراقات التي يوزن كل حرف منها بأنفاس القلوب.

أما "ما ينقال" عند النفري فهو فج إبليس؛ أي طريقه المؤدية إلى الهاوية. إنه كل لغو لا قيمة له، أو كلام فيه إسفاف، أو تحشيد من أجل شر، أو دعوة إلى باطل، أو وسوسة بإثم، أو نفاق يبتغي مصلحة، أو حروف تنسج تفاهة، أو ادعاء يحركه غرور، أو خطاب يقر بظلم.

إنه كل ما نراه ونسمعه ونقترفه، في بيوتنا وأسواقنا وشاشاتنا وطبولنا الإعلامية.

هو الكثير الأكثر الذي لا نتنبه لخطورته ويشكل حياتنا من أولها إلى آخرها.

،،،

#في_معضلة_التنوير

الفراغ

كان المنظرون لداعش على درجة عالية من الذكاء حين جعلوا شعار تنظيمهم "باقية وتتمدد" ذلك أنهم تلمسوا حجم الغياب الشامل الذي هيأ لهم الطريق وأمدهم بأسباب الاستمرار....

وللغياب هذا قصته، وأول تجلياتها تاريخ طويل من غياب المشروع السياسي؛ إذ لم يكن للاستبداد، قديمه وحديثه، من غاية إلا ترسيخ الهيمنة المطلقة. وغياب المشروع يعني في جوهره غياب الأهداف الحقيقية للحكم التي هي أولا وآخرا، بحسب ما تدعو إليه روح الإسلام، عمارة الأرض. غير أن رغبات الملك العضوض كانت تصب في اتجاه آخر؛ الرسوخ والهيمنة والاستئثار، يقودها خداع يوهم بوجود المشروع والعمل من أجله. لقد أشهر المستبدُ سيف الله على الناس، فهو الذاب عن حمى الدين، وحامي الأعراض، وقاهر الكفار. تلك كانت الخطوط العامة لمشروع زئبقي الملامح أهمل التنمية (العمارة) وحبس الناس في بارانويا لم يخرجوا منها حتى يومنا هذا. لقد كان تاريخنا سلسلة متواصلة من حروب لم تتخللها ثورة واحدة، وما زلنا في كل مرة نعود إلى حيث ابتدأنا مثخنين بالقتل، ومستعدين لمشروع زئبقي جديد نجتره كما هو أو نعطيه مسميات جديدة تدور كلها حول فكرة المعركة والقتال وقهر الأوغاد المتربصين بعباد الله الأخيار من كل جانب.

فوق ذلك، أثمر غياب المشروع السياسي غيابَين آخَرَين. أو لعله، بدقة أكبر، تبنى شكلا من أشكال الغياب، وولدَ من حيث لا يدري شكلا آخر....

أما الشكل المُتبنى فهو غياب المشروع الفقهي بالسيطرة عليه وتحويله إلى خادم مطيع يشرعن للمستبد ما لم يشرعن خليفة راشد لنفسه. وأما الغياب المولود في كهف الاستبداد فإنما هو غياب المشروع الثقافي. ولهذا قصة طويلة؛ فأيتام الثقافة هم أبناء سنوات الاستبداد العجاف، وهم الثمرة الحتمية لحالة القصور الذاتي التي حبست هذه المجتمعات عن الحركة. لقد انتهى بعضهم منذ زمن طويل إلى أن يكون فقيها ثقافيا يخدم المستبد بكل ما أوتي من حذاقة لسانية تماهى مشروعها مع مشروع المستبد، فباع أمثال هؤلاء ضمائرهم بثمن معلوم قبضوه مالا وجاها ومناصب. وانتهى آخرون إلى حالة من نكران كل شيء واليأس من كل شيء. وكان على رأس ما أنكروه واستيأسوا منه ذواتهم التي لم تخرج من كَبَدها الثقافي في السنوات العجاف بأي أداة تجعل لها قدرة على الانتاج المعرفي الذي يرقى لمستوى الأزمة. وإنما كانت بضاعتهم أفكارا مشوهة عن التنوير تخلو من أي فائدة معرفية، ولا تظهر فيها أي نكهة لسياسة أو فكر. فانطلقوا ينهشون الأدنى ويصفحون عن الأعلى؛ أي أنهم سلكوا الطريق الأسهل؛ جلد المجتمعات وتقريعها، والاستكبار عليها، وإنكار معتقداتها، ثم الصفح عن الاستبداد السياسي الذي هو بيت الداء عند كل ذي

نظر وعقل. لقد زوروا التنوير كي يناسب "فضاوتهم" المعرفية وليجعلوا منه انطلاقا إلى مغانم شخصية تعوضهم عن سنوات الحرمان العجاف. فكان تنويرهم أفكارا جاهزة جلمودية على درجة عالية من السطحية والفجاجة. فآلاف العبارات التنويرية المحفوظة سلفا والتي هي في حقيقتها فكرة واحدة مهيمنة، لا تحتوي ولو على إشارة سريعة لجوهر التنوير الذي قام على تنظيرات فلاسفة ثاروا على الاستبداد السياسي فأثمر ذلك ثورتين كبيرتين؛ الثورة الفرنسية والثورة الأمريكية، اللتين انتجتا بدورهما إعلان الاستقلال الأمريكي وإعلان حقوق الإنسان الفرنسي. هذا كله لا يعرفون عنه شيئا لأنه لا يخدم رغباتهم الشخصية، ولأنه صعب عليهم، ولأن حالة العور الثقافي عندهم تقوم على هدم جزء من المعادلة، هدما تاما كاملا غير مكلف، مع الابقاء على الجزء الآخر الذي تُدفع عنده الأثمان كما هو. أي هدم الدين وإقرار الاستبداد، وهذا ليس تنويرا ولا يمت إليه بصلة، بل هو في وجه منه استكبار، وفي وجه آخر جبن، وفي الوجه الثالث خيانة وانسلاخ عن المجتمع.

هذا التنوير الأعمى المريح جدا هو حصيلة مئتي عام من الانبهار الذي لم يضف إلى التنوير شيئا. بدءا من رفاعة الطهطاوي والشدياق وصولا إلى تنوير ما بعد الثورات العربية الذي صار حالة مشوشة من رغبة الانعتاق، مع شيء من الرغبات البهيمية، وضعف الأدوات المعرفية، وصولا إلى إفلاس تام عاد فيه المثقف لخدمة

المستبد باسم التنوير. وهذه هي المفارقة الكبرى التي لا تحدث إلا في بلاد العجائب عل يد أكبر مجموعة من النصابين عرفهم تاريخ البشرية.

‘‘‘

#في_قراءة_الواقع

طغيان

تُضطر أحيانا أن تسب أبا الحضارة وأمها وعرضها حين ترى مخرجاتها على هذا الشكل. لكن قبل أن تسب معي حدد موقفك، فإن كنت لا ترى مشكلة في أربعمائة مليون دولار وُضعت تحت قدمي اللاعب البرازيلي نيمار فالكلام القادم لا يلزمك...

للأمانة أنا لا أستطيع التعامل مع الأرقام الفلكية إلا من الناحية الذهنية فقط. يعني أستطيع إجراء عمليات حسابية معقدة، وتخيل خانات عليا، ومعرفة أن التريليون أكبر من المليار بألف مرة، وأننا كلما زدنا ثلاثة أصفار قفزنا قفزة إضافية في مراحل الأفلاك....

وأستطيع كذلك ممارسة التجريد على الواقع وصولا إلى تخيله كفكرة هندسية، ثم ككميات حسابية، ثم عمليات جبرية أصل بعدها إلى تخليص الوجود من كل علائقه جاعلا منه فكرة فلسفية-صوفية محضة....

أما من الناحية العملية فإني من أهل الأرض، وصاروخي لا يستطيع تجاوز سقف بيتي. بل إن قمة أحلامي تتصل بهذا السقف الأرضي الذي أكون فيه لا لي ولا علي، كريما مطمئنا مع زوجة راضية وأطفال أصحاء.....

مع ذلك، يخبرني أحد المواقع المختصة في حساب متوسط الدخل الشهري للبشر في مختلف أرجاء المعمورة أنني من الواحد بالمئة الذين يجلسون على قمة الهرم، وأن كسبي أفضل من كسب تسعة وتسعين بالمئة من إخواني في الإنسانية؛ هذا برغم سقف بيتي المتواضع وأحلامي الصغيرة، وحقيقة أنني إن انقطعت عن العمل ستة أشهر فسأجد نفسي على (الحديدة) بل ربما تحتها بقليل....

ماذا يعتي هذا الكلام؟ إنه يعني أن الواحد بالمئة ليست أرضية ثابتة، وهي لا تعني بالضرورة (نغنغة) كالتي يتخيلها الناس. وأن في داخلها طبقات تتصاعد من الأرضيين أمثالي إلى أهل الأفلاك البعيدة الذين أنتجتهم، كما أنتجتنا، هذا الحضارة (العقلانية) التي نعيش في كنفها....

كي لا يطول الكلام، ثمة شواهد مؤكدة على سفاهة البشر، بل أنانيتهم المفرطة، وقسوة قلوبهم. والشاهد الأبرز توزيع الموارد، ولعبة رأس المال التي قسمت العالم إلى طبقتين: قلة قليلة تلعب بالمليارات، وكثرة طاغية لا تجد من معاشها ما يحقق الكرامة...

تآكل الطبقة الوسطى ليس ظاهرة عربية فقط، بل هو فعل معولم، تذهب فيه المليارات هباء فتخدم قلة، وتمتص دم أغلبية،

وتقود الأرض إلى الانفجار. هذا مثلب من مثالب الحداثة يفوق في أثره النازية والحروب الطاحنة وويلات الاستعمار وأسلحة الدمار الشامل. إنه في الصميم، صميم اللامعنى الذي يعيدنا إلى الأسئلة الجوهرية عن الغاية والله والنبوات والحرية. إنه يقودنا من حيث لا ندري إلى صراع بين العقل والعالم، ليختار العقل بعدها إن استطاع الاختيار، مبدأ يعتصم به أو مذبحا يكون فيه هلاكه....

كل نقاش نخوضه عن الدين والعلمانية والحرية والمؤامرات والتنمية هو محض هراء أمام هذا الطغيان الشهواني الذي يحكم عالم البشر. وكل غزل بالحياة هو تواطؤ مع الجناة. وكل متعة عاجلة هي خيانة عظمى حين يكون سبيلها أن تسحق بشرا آخرين...

بصراحة، يؤلمني جدا أن أعيش في عالم أدفع فيه مبلغا من مالي ثمنا للعبة سياسية تساهم في تخريب العالم، أو تمويلا لنزوة شخص يجلس على أريكة من جشع، أو أتاوة أضطر إليها كي أشاهد مباراة كرة قدم فيها لاعب ثمنه أربعمئة مليون دولار لا يفعل شيئا سوى أنه يراقص كرة جلدية...

هذا حرام، فهناك شعوب بأكملها تموت من الجوع في هذا العالم....

‘‘‘

#إنسانيات

الحرية الذاتية والحرية الموضوعية

في "الحداثة السائلة" تبدو الحرية قضية ذات إشكالات مركبة؛ فهي من ناحية مجال من مجالات الخديعة أو الوهم. والفرق بين الخديعة والوهم يكمن في النية من مسألة الحرية؛ إذ قد يضيق مجال الاختيارات أمام الفرد، ربما لأسباب طبيعية أو قدرية أو نفسية، فلا يعرف من قدراته الذاتية إلا ما يتصل بهذه الاختيارات الضيقة. عندها يظن نفسه كامل الحرية، بينما هو في الحقيقة خاضع لقيود لا يعرف بوجودها، فيكون فريسة للوهم.... أو ربما مارست عليه الآلات السلطوية عمليات "غسيل دماغ" تتحكم في مقاصده، فلا يرى من أفق وجوده إلا ما تريد له السلطة أن يراه، ولا يسير إلا باتجاه نقاط حُددت له سلفا، فيظن نفسه حرا، لكنه في حقيقة الأمر واقع تحت خديعة تستنزف إمكانياته البشرية، وتجرد عالمه من ألوانه الزاهية. ذاك تماما كما يفعل ساسة الخيل بخيولهم حين يضعون على عيونها كمامات جلدية تخفي عنها جوانب الطريق فلا تعرف من مسارها إلا ما هو واقع في خط نظرها المباشر.

هذه الخديعة قد تحيل العبودية المحضة حرية في نظر أصحابها؛ هم يشعرون بأنهم يفعلون كل ما يستطيعون فعله، يأكلون ويشربون ويتناكحون ويغنون ويلعبون كرة القدم. إنهم يستبدلون "الوجود بالتملك والفعل بالوجود" أي كل درجة عليا من درجات تحقق الذات بأخرى دونها في المنزلة. وتبتلعهم حتما تلك "الثقافة

الجماهيرية" التي تُغذى باستمرار فتجعلهم آلات تسعى نحو الترفيه والمتعة فقط. تلك بالتأكيد حرية ذاتية تنتسب إلى المجال الأدنى من مجالات المعنى الإنساني. أما "الحرية الموضوعية" التي تتجسد في الحكم والمشاركة والتفكير والإبداع فليست مما يقع في مجال النظر، إنها اللامفكر فيه، بل الأفق المعتم المخيف، وما على الخيول إلا أن تفخر بجودة طعامها....

لنحذر من تنوير ومدنية تعدنا بالحد الأدنى وتكبت فينا غزارة المعنى الإنساني....

‘‘‘

#إنسانيات

اللاعبون الوافدون

يشير زيجمونت باومان في "الحداثة السائلة" إلى من يصفهم بـ "اللاعبين الوافدين" على مسرح الحداثة. هؤلاء يقومون باقتباس التجربة الحداثية عن تجاربها السابقة التي اكتملت في الغرب بعد أن تدرجت هناك من نقطة الصفر نحو الاكتمال. ما يفعله الوافدون هو أنهم يهملون هذا التدرج فيحرقون المراحل، ويُدخلون المسارات بعضها في بعض، ما يؤدي إلى تراكم سريع يربك المجتمع، ويسوقه في أغلب الأحيان إلى نتائج كارثية مثل التفكك الاجتماعي والاضطراب وعدم الرضا والاستقطاب الحاد....

والملفت في كلام باومان أولا هو تسامحه مع القوى القمعية التي تفرض الحداثة في الدول المستجدة، سواء كانت أنظمة دكتاتورية كالتي قادت عملية التحديث في كوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة وتشيلي، أو قوى محتلة كما حدث في حالتي اليابان وألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية. غير أن في كلامه توصيفا دقيقا لأهم التجليات التي تحققت عمليا في عدد كبير من الدول التي قررت أن تمارس "الوسواس القهري" للحداثة فقفزت في غمضة عين من اللب إلى القشور. إذ غالبا ما تستثني هذه الدول الشروط الأساسية للحداثة؛ أي التمكين الديموقراطي وقوة المجتمع المدني، فتنطلق في مساراتها من بنى سياسية دكتاتورية تفرض المنتج الحداثي بالإكراه، وتتحالف في سبيل ذلك مع النخب الاقتصادية، المحلية أو العابرة للقارات، من أرباب الصناعة والتجارة. عندئذ يحدث تغير جوهري في مفهوم القوة؛ إذ يتنازل السياسي عن جزء كبير من سلطته لصالح الرأسمالي، وينتج وضع سياسي هجين ترتبك فيه موازين القرار، وتنسحب خلاله السيادة تدريجيا من يد الأمة/ الدولة فيمتلكها آخرون....

الشيء الثاني الملفت في كلامه هو العطب الذي يصيب مفهوم الحرية في هذه الدول. كلام باومان يذكرنا بأطروحة إريك فروم "الخوف من الحرية" التي فرق فيها بين نوعين من أنواع الحرية هما "التحرر من" و "التحرر لـــ" وهما صيرورتان لا تنفصمان عن بعضهما. إذ يسعى الإنسان دوما نحو "الحرية لـــ" توسيع مدى

اختياره وتحقيق طموحاته. ولا يتحقق ذلك إلا "بالتحرر من" إلإكراهات التي تفرض على الإنسان من خارجه. عندئذ يصطدم الإنسان بأشياء كثيرة مثل نقص معرفته وقدراته الجسدية المحدودة والوصاية الأبوية عليه والعرف والقبيلة والكهانة والاستبداد السياسي، وغيرها كثير. ولعل استعراض تاريخ الإنسان ينبئنا أن هذا التاريخ لم يكن إلا سلسلة مستمرة من هذا الصراع الدائم بينه وبين إكراهاته...

بحسب باومان، تنحصر عملية "التحرر لـ" في حالتنا هذه بإطلاق يد الإنسان في اختياراته الاستهلاكية فقط، أي جعله "مستهلكا مثاليا" يغرق في سلع الحداثة. إنها حرية تحقق مصالح النخب الجشعة التي تزاوجت سابقا، وتحد من قدرات المجتمع على التفكير خارج الصندوق الاستهلاكي الذي وضع داخله. إن جاز لنا أن نقول الكلام بطريقة أخرى؛ هي حرية ظاهرها الانطلاق نحو العالم لكنها في حقيقتها قيد جديد لا يختلف عن الإكراهات السابقة التي ناضل الإنسان كي يتحرر منها....

والنتيجة إنسان قليل الكفاءة غارق في مستنقع من التفاهة..... وهذا لا يختلف في شيء عن التنوير الذي ينطق به كل تنويري متصالح مع الدكتاتوريات في بلادنا.

‘‘‘

#إنسانيات

مخرج من.....

هل هناك مخرج لهذا العالم؟

ليست هناك إجابة على سؤال ضخم من هذا النوع، لكنّ الذي يبدو أنه ما زال في هذه البلاد جزر معزولة يمارس الناس فيها حقهم في الصراخ، فيرفضون مثلا أن يُرفع الدعم عن خبزهم ليس فقط لأنه مادة الحياة، بل لأنهم ينشدون العدالة ويعرفون أنهم يعيشون في عالم "يخصخص الأرباح ويؤمم الخسائر"، أي أنه يستأثر بالشهد لنخب مخصوصة، ويترك وزر الميزانيات المثقلة بالديون لباقي الناس....

في هذه الجزر تبقى الدولة دولة، والأوغاد لصوصا لا يجاهرون بالمعصية. وأكثر ما قد يحدث لك أن تجابهك الرعونة، ويُمنَّ عليك بحقك في مواطنة كاملة. لكنك تستطيع انتظار يوم جديد لا تكون فيه مخطوفا أو موضوعا قيد الإقامة الجبرية، أو متهما بعدم التعاطف!!!

على أنه من غير المحمود أن نكتفي بالوقوف عند هذه المقارنة؛ فليس من الحصيف أن نروّج للظلم الصغير بسبب ظلم أكبر منه، لكنها مجرد إشارة إلى أهمية الصراخ في عالم يكتنفه العته، عالم لا تنال فيه الحقوق بالمداهنة. فالرفض قوة يلزمها قليل من الذكاء، والموقف الذي يتراكم يقلب الطاولة على رأس الظالمين. والحق خشن الملمس وإن صدر عن أجساد هزيلة، فالأمهات الوادعات

قصمن ظهر فيديلا، وامرأة بسيطة اسمها روزا باركس أشعلت فتيل الحقوق المدنية التي نالها السود في أميركا....

"هل هناك مخرج لهذا العالم؟" يستحق هذا السؤال أن نعيش من أجله لأن بديله سؤال آخر يقول "هل هناك مخرج من هذا العالم؟"....

‘‘‘

#شؤون_قرآنية

(ال) التعريف

ما يذهب إليه بعض الذواقة أن (ال) التعريف إذا دخلت على الاسم أفادت أحد معنيين: فإما أنها تعطيه الإطلاق، كقولنا (العليم) فهي هنا تعطي الموصوف أقصى ما قد يبلغه العلم من منزلة ومن مقدار.

وإما أنها تجمع جنس كل من اتصف بهذه الصفة؛ قليلا أو كثيرا، فيكون مؤدى قوله سبحانه (وهو السميع البصير) أنه تعالى كل من سمع وكل من أبصر؛ فما يسمع السامع إلا بسمعه، وما يبصر إلا ببصره. فهو حقيقة كل سمع وبصر. عندئذ يؤدي فهم من هذا النوع إلى ما قد يُظن به أنه وحدة وجود.

ونحن ننزه ذات الله عن كل اختلاط بينها وبين خلقها، لكننا نشير إلى مجرد ذوق. وإنه لذوق رهيب....

ونبقى مع ذواقة اللغة:

يرى بعضهم، وشأنهم في ذلك عجيب، أن قول لقمان لابنه: "يا بنيَّ إنها إن تكُ مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأتِ بها الله إن الله لطيف خبير" ينطوي على حقيقة وجودية خطيرة في جواب الشرط "يأتِ بها الله"....

ذلك أن ظاهر الآية يشير إلى وجه من وجوه القدرة؛ وهو الإتيان بالشيء أو استدعاؤه على أي حالة كان، فالله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. وذاك من تمام علمه وقدرته.

أما باطن الآية فيشير إلى كمون الله في حقائق الكون وأشيائه كلها؛ فما من وجود حقيقي إلا وجوده، وما سوى ذلك وهم. ووجه الذوق في الآية أن حرف الجر (الباء) والضمير المتصل (الهاء العائد على حبة الخردل) هما صلة وصل بين ذات الله وحقيقة الإتيان؛ فالذي يأتي هو الله كامنا وجوده في تلك الحبة. وهذا وجه معروف من معاني حرف الجر الباء؛ فإنه يفيد أحيانا معنى الاستعانة بالشيء، كقولك: شربتُ بالكوب؛ ففعل الشرب منك تم بالاستعانة بالكوب. كذلك إتيان الله يكون بالاستعانة بالحبة، ولا تكون الاستعانة إلا بسبب نقص في مدارك العبد، لا في حاجة الله إلى الاستعانة بأي وسيلة.

هذا يكفي، وننزه الله عن كل حلول واتحاد. وإنما هي أذواق كحد السيف فما ينجو منها إلا ذو حظ عظيم.

‘‘‘

#شؤون_قرآنية

الرحمة

ومما يتصل بالإدراج السابق أن يتسع وعاء اللغة اتساعاً مربكاً، فما تدري أهي مشاكسة تسلكها الكلمات؟ أم ثراء في ما تريد تلك الكلمات أن تفصح عنه؟

فقد ذهب بعض هؤلاء الذواقة إلى أن قول الحق في سورة الأنعام الآية ٥٤: "كتب ربكم على نفسه الرحمة" يشير إلى أن رحمة الله تقع على نفسه؛ فإن وجّه الرحمة إلى مخلوقاته فما أصابت تلك الرحمة شيئا غير نفسه. فهو الراحم نفسه بظاهرها الوهمي الذي هو مخلوقاته وباطنها الحقيقي الذي هو ذاته.

وهذا إرباك ما بعده إرباك؛ أقصد السير على حبال الذواقة. والطريق محفوف بالمخاطر، وكلما كنتَ أرهف ذوقا وأحدَّ ذهناً كان نصيبك من الحيرة أعظم.

‘‘‘

#وجدانيات

كآبة بدوية

صدري ضيّقٌ هذه الليلة كأنني بدوي ألقوه في معتقل.....

متى تغادر أيها المثالي العتيق وتصفح عن السقطات والسهوات

والغباوات والنوايا السافلة؟ متى تفهم أن الأشياء لا تُدرَك كاملة، وأن البشر كرماء إلا في شيئين؛ شهواتهم وأمن نفوسهم. وأنهم إنما يعطون ليأخذوا مقابلا للعطاء. ومقابلُ العطاء هذا تحدده القوة والسيطرة، لا العدالة والحق....

منذ سبعة آلاف عام قرر الناس أن يحموا أنفسهم من شر أنفسهم. فقد تناهبوا الماء فمات الضعفا عطشـًا، وغزوا محاصيل جيرانهم فمات جوعا من لم يستطع الدفاع عن قوت أولاده. عندئذ قرروا أن قوة ما عليها أن تضطلع بتنظيم الأمور كي تضمن استتباب الأمور. والحقيقة أنهم لم يكونوا شغوفين بالتنظيم نفسه ولم يكن في وارد أحدهم شيء عن فكرة الإدارة، هم كانوا يسعون إلى أمنهم فقط؛ الأمن الاقتصادي والأمن البيولوجي....

فاخترعوا فكرة السلطة؛ أي أن يكون هناك مجموعة من الأشخاص الممنوحين فائضـًا من قوة السلاح وسطوة العرف فيسيّرون الأمور بما يضمن سلامة الجميع ويمنع الاعتداء ويفض الخصومات....

ولأنهم مخوّلون ولديهم سلطة كان حكمهم جاريا على كل الناس، من أجل ذلك صاروا حكاما. وصار لديهم عسس وجيش ومخبرون. أما العسس والجيش فأغلبهم من لصوص عهد ما قبل الدولة؛ ذلك أن احتواءهم وضمان أرزاقهم خطة في غاية الذكاء. فهم؛ أي اللصوص، يفرغون طاقات عنفهم من ناحية، ويضمنون رزقا معلوما إلى آخر عمرهم من ناحية ثانية. وأكثرهم فوق ذلك

ذوو فكر بليد، فلا خطر يُخشى منهم ما دامت فروجهم وبطونهم آخذة نصيبها الوافر. وأما المخبرون فأغلبهم من أصحاب الحظ القليل في المهارات اليدوية، فهم بلا مهن ولا مستقبل واضح. وإنما كان هذا الطريق طريقهم الوحيد كي يُغدَق عليهم عطاء جزل يضمن لهم أن لا ينحطوا إلى أدنى مراتب المجتمع....

وهكذا نشأت الدولة فكرة عبقرية وحاجة إنسانية ملحة. لكنها كانت مشوبة دائما بالنقص؛ ذلك أنها جهد بشري، والوجود البشري قائم على النقص. فخضعت العلاقة بين الحكام ومحكوميهم إلى جدلية الأخذ والعطاء، وكان من الطبيعي أن يحدد قوانين ومقادير الأخذ والعطاء من لديه القوة والجبروت والهيلمان....

وابن آدم لا يشبع، فظهر الاستبداد، وتحول الحاكم إلى حوت يبتلع الأخضر واليابس ليجود على الناس بأمنهم ولا شيء غيره. ومن يستطيع أن يردعه وكل شيء بين يديه، وسيوف عسكره مشهرة وولاؤهم له مضمون؟؟

أما الناس فقد رضوا بذلك، واختلطت لديهم مشاعر الهلع الوجودي بمشاعر تقديس القوة. ودخل الدين في صلب الموضوع فأضاف إلى قدسية الحكام قدسية جديدة، متعالية وغير مفهومة ولا يمكن اثباتها أو نفيها. صار الحاكم ظل الله على الأرض، وبات عصيانه تمردا على الله قبل أن يكون تمردا على الدولة....

دعونا نختصر الكلام فما عدنا بحاجة إلى مزيد من التلميح والتصريح. إن قال لكم أحد الفلاسفة أن الطبيعة البشرية طيبة

ومسالمة فاعلموا أن هذا الفيلسوف لم يحلل التاريخ ولا الإنسان جيدا حتى لو كان اسمه ضخما بحجم اسم جان جاك روسو... الناس مجبولون على الطمع والعنف والجبن، والدولة ألجمتهم فقط وضمنت لهم أن لا يموتوا جوعا. غير أن البشر الأذكياء الذين تحرروا من سطوة الآلهة البشرية استطاعوا أن يرتقوا بفكرة الدولة قليلا فعدّلوا نسب الأخذ والعطاء بالتدريج حتى وصلوا إلى نسبة متوازنة يكسب فيها الجميع معا أو يخسرون معا...

أما عندنا فما زالت الدولة هي هي؛ لم تتعدل منذ أيام نبوخذ نصر. الناس يعطون الحاكم كل شيء فيعيشون أصفارا ويموتون أصفارا، ويرضون بهذه القسمة كل الرضى، مقابل أمنهم وفتات موائدهم وبعض الشهوات التي تمارس في الظلمة...

إنهم راضون بذلك كل الرضا، بل إنهم يفتخرون بذلك ويسمونه وطنية وقومية. ومحاججتهم في ذلك لا تورث صاحبها إلا الكمد والكآبة.

والبدوي ذو الصدر الضيق يظل يابس الرأس مهما مكث تحت الاعتقال. لذلك ليس لديه خيار آخر؛ فطريقك يا ولدي كمد وكآبة وكمد وكآبة.....

مساؤكم كآبة الأحرار.....

‘‘‘

#وجدانيات

هواجس

كيف لمن تملأ رأسه كل هذه الهواجس أن ينام؟

صدق عزيزي القارئ أو لا تصدق؛ فقد هجرت فراشي بعد نصف ساعة من المكابدة، وفزعت إلى كمبيوتري حين بلغ مني القلق منتهاه.

يؤرقني شيء أكبر من أن يحشر في أحد تفاصيل الحياة اليومية، شيء مبهم الاسم والتفاصيل؛ إنه تجلٍ من تجليات وجودي في هذه اللحظة الفسيحة الممتدة بامتداد كينونتي المنزعجة والمنطربة في آن معا. ووسط التجلي هذا تهجم عليّ عادة تفاصيل صغيرة، هي التي أسميتها قبل قليل هواجس، فأذودها كما يذود أحدنا الذباب عن طيب طعامه؛ لا أسمح له بالتطاول على كينونتي الجميلة التي اكتشفت منذ زمن طويل أنها أقدس شيء أمتلكه في هذا الوجود....

صحيح أن الحياة مليئة بالمنغصات، لكنها مليئة أيضا بالأشياء الجميلة. لكنهما سيان إذا نسبا إلى حقيقة وجودنا. فنحن نألم أو نفرح داخل مساحة الشعور، والشعور معلق بالكينونة ذاتها؛ فلولاها ما كان، وهو دليل عليها وتذكير بها...

ولن يسلبك أحد هذه الكينونة إلا أن تتنازل أنت عنها بتقليص مساحات الوعي في عالمك. والوعي هذا غريزة تقودك إلى الحرية... من قال هذا؟ أظنه هنري بيرغسون.... فالحرية بهذا

اعتداد بالذات وترفع. إنها اكتمال فهمك للوجود؛ إنها السر، بل الحكمة، بل ما هو أدق من السر والحكمة بكثير.

قد يكون الشيء المزعج أن مستقبلات الإحساس/ الوجود/ الاعتداد هذه قد نضجت أو صُقلت بعناية؛ فهي سيال مضطرب، يهدر في غير أرضه. بهذا يقطع السيل مجراه بالمكابدة إلى أن يصل وطنه فيجري عندئذ بتراخٍ وهدوء، وتنبثق من باطنه النفائس.

ما علينا؛ قد أموت غدا أو أعيش أربعين سنة أخرى، فقد قدر الله وما شاء فعل. المهم أنني موجود كحقيقة لا تقبل النقض. بل إنني موجود أكثر من اللزوم. ومنزعج كثيرا ومبسوط كثيرا، وحانق على نفسي وسعيد بها... والدنيا أهون أعدائي عليّ، فارفعي واخفضي، واقبضي وابسطي؛ فما أنت في ميزان كينونتي بشيء يستحق الالتفات إليه....

‘‘‘

#شؤون_شخصية

بستان ورد

منذ سنوات قليلة جداً كان في قلبي بستان ورد، وكنتُ أبوح بسرٍّ وجوده لصفوة من أقرب الناس إلى روحي. اليوم تغير الحال وصار في القلب مرجلٌ يغلي بالصمت؛ ذاك الصمت الجليل ذي القصد والهيمنة والمهابة، الصمت الذي يباغت ويغيّر ويرافق الأشياء العميقة والاستثنائية....

إنَّهُ صمتٌ لا يهدأ أبداً؛ أكوان تتبدل، مراحل ترتحل، ثوانٍ تومض فتنشطر.... صمتي حياة وكائنات وانصهارات وكآبة. صمتي اشتياق وخوف وولوجٌ إلى ما ليس منه بد.....

يا للعجب إذ كنتُ أخبر الصفوة فقط عن ورودي. أما اليوم فإني أبوح للجميع؛ ذلك أنَّ صمتي ما عاد يعنيه الفرق بين من أُرهفَ سمعُه ومن ضُرب على أذنيه في الكهف سنينَ عدداً....

‘‘‘

#شؤون_شخصية

لسانك

ما ندمت في حياتي على شيء مثل ندمي على زلات لسان أربكتني أمام الخلق وصغرتني أمام نفسي. هذا اللسان مطية إما أن يقودها العقل أو تقودها الرغبات؛ فإن كان العقل فهي السلامة والبراءة، وإن كانت الرغبات فهو الخزي والمشاكل. فيا ضميرُ اشهدْ أني ما عدتُ أطيق فلتات هذا اللسان، وأني أوثر صمت العافية على صخب الندامة، فامنحني اللهم صبر زكريا وطهر مريم وخلصني من سطوة نفسي عليَّ.

‘‘‘

#بنات_الفلسفة

الفيلسوف والعارف

الفيلسوف في أحسن أحواله يقف عند قدمي العارف لكنه يُحسِنُ ترتيب الكلمات. وبين الآلتين المعرفيتين تباين لا في درجة المعرفة فقط وإنما في فهمها والتعلق بها؛ ذلك أن لقلب العارف أوتارا تهتز كلما بدا لها من أنوار المعارف جاذب، فهي تسكن إلى مادة المعرفة؛ تتعشقها وتبذل لها الروح مهما كان المصدر الذي أتت منه أو الشكل الذي اتخذته في إشراقها. وكلما كان الفيلسوف ذا بصيرة نافذة فإنه يعزف على قلب العارف ويؤكد فيه تلك الإشراقات التي وُهبها صاحب القلب خطفا أو حدسا، أو حتى عن درس وتمحيص. تشع الحقيقة وتطوى مسمياتها؛ فالأسماء لا شيء أمام وهج النور، وما يعده الفيلسوف تطورا يعده العارف خَلقا، وما يراه الفيلسوف صدفة يراه العارف تقديرا، وما يُفهم عند الفلاسفة فوضى يفهمه العارفون حجابا. وهكذا يغرف العارف بحسب رؤياه الشهودية، ولا يلتفت، فإن أول قادح في عشق العاشق أن يلتفت إلى ما يعطله عن بلوغ مشهوده.

ثم لا يقف عند حد، وما يُظنُّ هذيانا منه هو في حقيقته اتساع في زاوية الرؤية. إن أصحاء هذا العالم مرضى، ومرضاه أصحاء، وآلة الرجم طوق نجاة من عالم ضيق مسدود الآفق. يجد العاشق مطلوبه في غير المظان المعتادة؛ في أوهام الواهمين وإلحاد الملحدين، كما يجده في إيمان المؤمنين، وكلام الحق المبين عن الحق المبين. وبعض الإلحاد إذا ما اقترن بفطنة كان يشير إلى

المعبود، وبعض إيمان المقلدين حجر عثرة، فاظفر بجوهرة أنت أحق الناس بصون أسرارها.

قال النفري أن العالِم يقف عند قدمي العارف، والعارف يقف عند قدمي الواقف. ولو كنت صاحب قرار لما تأخرت عن درس تختلط فيه المسميات، وجعلت لـ "العالم إرادة وتمثلا" مساقا في كليات الشريعة، وكذلك لأخيه "التطور الخالق" ودمجتهما بما يفوقهما من معارف العارفين، فإن الحقيقة صعبة المنال، والمران على تنقيتها من الشوائب بعض مهرها، والمعدن الأصيل لا تغيره العوالق.

‘‘‘

#بنات_الفلسفة

مستصغر الشرر

أنقل هنا نقاشا فلسفيا يصلح لاستشراف أشياء كثيرة تجري على أرض الواقع.....

متكئا على كانط، أحيا ميشيل فوكو سؤالا وجيها عن إمكانية التقدم البشري؛ هل هي واجبة؟ وما هي العلامات التي تبرهن على هذا الوجوب؟

يحيلنا فوكو إلى نص كتبه كانط عام ألف وسبعمائة وثمانية وتسعين، أي بعد قيام الثورة الفرنسية بتسع سنوات؛ فكان النص

ولوجا إلى بعض أسرار الثورة التي يمكن من خلالها رصد التحولات الاجتماعية في أدق أعماقها.

في ذاك الجزء من النص الذي يبحث في علاقة الفلسفة بالقانون يرى كانط أن إمكانية التقدم الإنساني مشروطة بتوفر الأسباب الباعثة على هذا التقدم؛ إن رصد الأسباب والبرهنة على وجودها يؤكدان إمكانية التقدم. ثم إن أمكن إثبات ديمومة الأسباب أمكن بالنتيجة أن نقول: إن التقدم الإنساني ليس مجرد إمكانية، بل هو حتمية تاريخية لا مفر للبشر منها. والأسباب حين تكتسب صفة الديمومة فإنها تشكل علامات تذكرية وبرهانية واستكشافية؛ أي أنها ستصلنا بالماضي والحاضر والمستقبل، لتؤكد لنا أن ما كان من تقدم في الماضي، سيفرض نفسه في الحاضر، وسيكمل مسيرته في المستقبل، وبذلك يكتمل الشرط وتفصح حتمية التقدم عن نفسها.

وللأسباب معنى يقف دائما خلف الأحداث. هذا المعنى هو الشيء الذي يهب التاريخ روحه، ويفرّق بين الميكانيكا والإرادة فيما يختص بشؤون الاجتماع البشري. على الباحث أن يبحث عن المحفزات، أن ينتقل من المظاهر العيانية إلى الروح التي تنسج خيوطها. ينبهنا كانط إلى ضرورة تجاوز الأحداث نفسها مهما كبرت، حتى لو كان موضوع نقاشنا حدثا بحجم الثورة الفرنسية، ثم البحث عن ما يكمن وراءها، من صغير ومتراكم، فيكون محركا للأحداث وباعثا أساسيا للتقدم.

يقول فوكو على لسان كانط " لا تنتظروا من هذا الحدث الذي قام به الرجال، فجعل ما كان كبيرا بين البشر صغيرا، وما كان صغيرا كبيرا، أو جعل هيئة سياسية عتيقة وجميلة تختفي فجأة فتحل محلها هيئات أخرى، لا تنتظروا منه أن يكون ضربا من ضروب السحر. لا، لا شيء من هذا"*

إن حدثا كبيرا مثل الثورة الفرنسية؛ أي تلك الملامح الدرامية والصخب والخطابة والهيجان، ليس بذي دلالة على حتمية التقدم الإنساني لولا ما أستُقبل به من حماسة بالغة. ولولا أن أولئك القابعين عند "أطراف وحواف الثورة" قد مكنوا الحدث من أن يستمر وصولا إلى غايته. العبرة إذن بما يستتر وليس بما يظهر في النهاية. الحماس هنا مزيج من أشياء كثيرة كانت تجيش بها نفوس الناس. إنه قوة يحركها الشعور بالظلم بالقاهر، والتوق لدستور سياسي يحقق مبادئ العدالة، واستهجان الحماقات التي ارتكبتها نخب فاسدة، ورفض الوصاية على عقول الناس وعلى ضمائرهم. تلك الأغلبية التي لم تشارك بالثورة، لكنها تلقتها بالارتياح وسمحت لها بالتمدد، هي العلامة الأكيدة على إمكانية التقدم. بذلك يغدو نجاح الثورة، أي ثورة، أو فشلها، تفصيلا هامشيا إذا ما نُظر إليه من هذه الزاوية؛ زاوية السير إلى الأمام ببركة المادة الخام المركوزة في جبلة الإنسان التي تدفعه دوما إلى توقع الأفضل والرغبة بإحداث تغيير ما.

المهم جدا في هذا النقاش هو طابعه الاستشرافي، إذ إن ديمومة الأسباب المرصودة وارتباطها بالطبع البشري، تؤكد أن ما حصل في الماضي لا بد أن يحصل في الحاضر وفي المستقبل كذلك. إنها الوظيفة التذكرية والبرهانية والاستكشافية للأسباب، التي تحدثنا عنها قبل قليل. عالم البشر يسير إلى الأمام، ولن تتمكن قوة مهما استعلت من إيقاف هذا الطوفان الذي يسعى نحو غايته. دعونا إذن نؤمن أن في قلب الإنسان نفحة نور، وأن الغشاوات زائلة لا محالة، والحلول الأمنية غباء بل محفز على التحام المجتمع كي يصر على قولة: لا، أو معناش، أو كفاية....

*ميشيل فوكو، "ما التنوير"، مكتبة آفاق، ٢٠١٣

،،،

#إنسانيات

أناس آخرون

"إن أكثر الناس أناس آخرون".... هذه عبارة فيها من ملامح الصحة العقلية شيء كثير....

الموضوع وما فيه أن أكثر الناس مُستعارون عن غيرهم في الأقوال والأفعال والمواقف. يستوي في ذلك الصادق منهم والكاذب، والعالم حقيقة أمره والجاهل بها.... والبشر لا يخلون من هذه الصفة، فلا تنتظروا عالما ليس فيه تحزبات أو قبائل أو

تيارات أو مبادرات أو ما ورائيات أو أي نوع من أنواع المعلبات التي تستنفر أهل الطقوس. مع ملاحظة أن لكل دف طقوسه، والرؤوس تتمايل عن نعاس، وما أظن القوم يتمايزون إلا بمقدار انسجام غفوتهم مع الإيقاع....

لا بأس في ذلك، لكن لماذا عندنا فقط يؤدي نزاع القبائل إلى نزيف حاد؟

اعتراف خطير، اعتدت أن أنسجم مع الآخرين أو أنفر منهم بسبب أفكارهم. كان يعنيني موضوع الفكرة فأصل صاحبها أو أقطعه. منذ مدة اختلف الأمر، صار يعنيني أصالة الفكرة في ذهن حاملها، أفتش عن روحه وسط كلامه، فإن وجدت تلك الروح انجذبت إليه كائنا ما كان منطقه. مثلا، أتابع حسابا لسيدة ملحدة بيني وبينها بعد المشرقين، مع ذلك أشعر بأصالة ما تقوله، وأجد روحها منبثة بين كل حرف وحرف. تلك السيدة تستحق الدرجة الكاملة من ناحية إنسانية.....

الخلاصة، على العاقل أن يترك مجازر العقل ومغناطيسات اللايكات لأصحابها. هناك أشياء مضحكة وأشياء مسلية وأخرى تخاطب الغرور، لكن الجثة تعفنت، والركام ما زال يعلو...

نسيت أن أقول أن العبارة المذكورة في البداية هي لأوسكار وايلد....

،،،

#إنسانيات

فقر تواصلي

كم هو مؤرق ذاك الشعور المزدوج؛ أن تكون على تواصل مع آلاف الأشخاص دون أن يجمعك بهم شغف إنساني اسمه الصداقة أو الحب أو المودة. تصلك كل يوم عشرات الرسائل، بين تحيات صباحية، وأدعية سخية، ونكت كالحة، ثم لا تجد وسط ذلك شيئا حقيقيا إلا قليلا ادخره لك قريب مشتاق، أو جاد به صديق يذكرك كل شهر أو شهرين، ثم يهاجمك أمام الملأ، ولا بأس؛ فهجومه ينبئ عن معنى إنساني جميل رغم مرارته....

في وسائل التواصل يغتالنا الفقر الإنساني. ذاك الزيف المنسوخ والملصوق الذي تطلقه من هاتفك نحو ألف شخص هم عدة خوائك الوجودي. تلك الفكاهة الخانقة التي تصادفها ثلاثمئة مرة في الواتساب، واربعمئة وخمسين في الفيسبوك. أو ورد الصباح الإلكتروني الذي لا يحمل رائحة، والأدعية التي ترجو لك جنة في السماء وتغمسك في جحيم الزيف الأرضي....

نحن أحبة المجموعات الصامتة، أو الأحاديث الطائشة التي لا ينتظر فيها سامع متحدثا أن يفرغ من حديثه. والحروف العابثة التي تشوه الكلام. تحل الحاء مكان الكاف دون أدنى شعور بالخجل، وكل حرف يأكل حق الحرف الآخر؛ فالحب جب، والورد نرد. غاب الصوت الإنساني لصالح حروف تقفز من مركب غريق. وذوت العيون إذ حاصرها جليد مُشع....

إنه الإنسان المقصي والمخصي في آن معا، الذي استهلكت روحَه التكنولوجيا، فاستبدل بسمعه صممها، وعطّل طاقاته كي يرتع في خفة العدم....

"والنتيجة هي أن الاعتناء بالعلاقة مع قلة من الناس تتحول إلى الاعتناء بالعلاقة مع أناس كثيرين.... والكثير من هذه الرسائل لا يعني أكثر من: إنني لا أزال على قيد الحياة، ولا أريد أن أعرف شيئا آخر غير هل أنت موجود كذلك".... راينر فونك من (الأنا والنحن)

‘‘‘

#إنسانيات

على آثارهم

هذا الفضاء مكان جيد للمراثي. قيل أمس كثير منها في صحفي لم أعرفْه حيـًا، فلمّا مات صرت أعرفُه؛ أقصد أنّني أعرفُ موتَه. وتلك معرفة تغني عن كل معرفة.....

إن بينَنا وبين الأموات نسبـًا لا ينقطع! ذلك إذا تحدثنا بمنطق العارفين؛ فنحن أمواتا وأحياء، نفخة من نفخات الروح الخالد. لكنْ هناك حقيقة لا يعرفها كثيرون: نحن عمليـًا لا نموت، وإنّما نُتَوفّى كأنفس؛ أي نتجرد من ردائنا المؤقت ونعود إلى الأصل. ذلك أننا أرواحٌ قبل أن نكون أنفسا. والروح لا يموت؛ فأنت من

هذه الناحية على صفة الذي فيك نفخ. وإنّما هو سفر أبدي يتّجهُ الروح فيه إلى المستقر، ولن يبلغه، ولن تسعفهُ الآباد.

واعلم يا أخي الحبيب وأختي الحبيبة، أيها الذات الموهوبة، أنك بين حقيقتين، واحدة تلوح وأخرى تبوح. وفيهما كلك الذي تـُمسكُ بظاهره الذي يلوح كما يلوح السراب، وتغفل عن باطنه الذي يبوح لك بأهم الأسرار. فبعضك فان وبعضك باق، وما تدري متى تشرق الشمس من مخبئها. واعلم بسبب هذه الحقيقة أن بيننا وبين أول منزلة من منازل الرحيل برزخا ذا وجهين؛ وجه إلينا صفته الحضور ونسميه "الحياة"، ووجه إلى الأبدية صفته الغياب ونسميه "الموت". فإذا لم يبق على وجه الأرض شخص يذكرنا من ابن أو أخ أو صديق، وإذا درست جميع آثارنا من علوم أو صدقات أو حتى خطايا، عندئذ نغادر البرزخ نهائيا، فلا يلوح منا شيء بعد ذلك؛ فالذكريات جزء من حياة الأرواح أيضا. هذا تفسير وجودي لمسألة البرزخ؛ على أن له أيضا تفسيرات دينية ليست هي مجال نقاشنا الآن.

فأسوا على أنفسكم تماما كما تأسون على الأموات. لقد سبقونا إلى السفر، وسنلحقهم؛ فنحن ذلك "الزرع الذي استحصد" كما قال معاوية بن أبي سفيان، وما ننتظر إلا المنجل .

‘‘‘

#في_قراءة_الواقع

ترف

حين تتفكر في أمر المجتمعات العربية المترفة يراودك سؤال: وماذا بعد؟ إذ كل الأشياء رتيبة ومكررة، ولا يجدي نمط الاستهلاك المجنون في إغناء حياة الفرد وإعطائها معنى ما، مميزاً أو جديداً....

كل شيء في الدنيا موجود في هذه المجتمعات؛ التكنولوجيا، الفخامة، وسائل الراحة، الترفيه، المجمعات العملاقة، الخصومات المغرية والنساء الجميلات.... لكن الغائب عن مسيرة الحياة هو شيء له علاقة بالانجاز والغاية، شيء مجرد عن كل طارئ وخارجي، شيء عميق ينتسب إلى المعنى الدقيق لكلمات: الإنسان والروح والغاية والخلق....

متى وكيف يشعر الإنسان بالرضا عن نفسه؟ هل يحقق الآني السهل المستورد الزائل ذلك؟ أم أن للذات رأياً آخر حين لا تركن إلى الآني السهل لتمد بصرها إلى (البَعْد) تشكيلاً وحلماً، فتحبها الحياة وتحترمها الكائنات...

‘‘‘

#في_قراءة_الواقع

استعراض

صحيح أن الفيسبوك ساحة استعراض لأشياء كثيرة. لكن عمليات الاستعراض متباينة...

هناك من يستعرض بيته وسيارته وجسده. يحدث أحيانا أن يستعرض بعض الناس أصنافا من الأسلحة كدليل على وطنية من نوع خاص. وهناك من يستعرض طبائخه، وبعضهم يستعرض أصدقاءه. وآخرون يستعرضون لغاتهم الأجنبية. وفئة أكبر تستعرض ملابسها، خصوصا الساعات (هذا النوع من الاستعراض شاع كثيرا مؤخرا. انتبهوا لتلك الوقفات الجريئة التي تبرز الساعة فيها والملابس على حساب أشياء أخرى أهم. حاولوا أن تنظروا بقلوبكم إلى هذا النوع من الصور؛ فلمسة واحدة من القلب تكفي لتبيان مدى الهشاشة)

هناك فئة أقل حظا تقدم أفكارها على طبق من ذهب. هؤلاء هم الوحيدون الذين يستعرضون- إن كانوا يستعرضون- بضاعة تنال فائدتها من ينظر إليها. باقي البضائع تخاطب في الناس عقدا نفسية، ربما لامست فيهم حرمانا ما فتَصور أحدهم شبيه ما يراه عند الآخرين في نفسه، خصوصا إذا بعدت مسافته عن ذاك القطار الذي ما أدركه. أو ربما أعادت إنتاج القوة التي يعبدها كثيرون لمجرد رغبتهم بتبعية ما. وربما علمتهم كيف ينخرطون في دروب

الاحتيال فتبقى حقيقة العالم كما هي؛ تراكم مستمر للخواء....

صدقوني، من لم يقدم لك قطعة من عقله، فليس يقدم لك شيئا مهما....

‘‘‘

#مناجاة

بلاء وابتلاء

فرق بين البلاء والابتلاء، فالأول سُنّة دائمة، والثاني مؤقت مخصوص، فاجعلنا من الصابرين على هذا وذاك....

إذ كتبت علينا الخوف والجوع، فإنما ذاك بلاؤك الذي شملتَ به عالم الإنسان، فطغى بسببه وبغى، واستبد وتجبر، وداهن وتخلّى، فانقلب وجوده غما عاصفا لا يركن فيه إلى مرحلة، ولا يشبع فيه من غنيمة. إنه خوف القلب الذي أخرجك صاحبه منه، وجوع النفس التي لم تحفظ لك مقاما. وتلك رحلة من عرفك نحو الأنس بك؛ إنهم الأخيار الذين تقودهم الحاجة إلى السلام، والغريزة إلى الالتئام، والمحبة إلى النظر. أولئك قليل، وما أكثرهم لو كان الناس يفقهون....

وإن نقصت الموارد فما نقص لطفك ولا انحسر كرمك. إنها دنيا تتقلب فيطمئن بك من رأى الأمر كله في يدك، ويصبر على بلواها من وكل أمره إليك. ويتردى في أسافلها من ضُمَّ ابتلاؤه إلى بلائه.

القوة لك، والأنس بك، والسعادة معك، والكرامة منك، والروح عطيتك، ولا قليل ولا كثير، ولا قوي ولا ضعيف، ولا محروم إلا من خان الأمانة، ولا ذليل إلا من تعلق بغيرك....

"ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين"

،،،

#مناجاة

رحماك

صحوتُ اليوم في الموعد، وكنتُ قبل ذلك غافلاً؛ فما إنْ ولجتُ حتى وجدتُ صدريَ ضيّقـًا فاستبشرتُ به أنَهُ عروج. ومن عادة الطارقين أبوابَ القبول أن يبادروا بالاعتذار إلى من يعشقون؛ وأنا مثلهم عاشق، لكنَّني خائرَ الهمة ولا أتقن فنون الاعتذار. فطفتُ قليلا خارج الأسوار، وأكَلَت قلبي حباتُ البَرَد، وكانت حاجتي لا تخفى، وكبريائي ممحوقا، ولا لسان لي سوى أني أنظرُ نظرَ الآمِل المستعطِف.....

رحماك، لا أقوى على شيء من هذا. أتنثرُ الورد في طريقي وتحرمني رؤية وجهك؟ ما لي وللورد إن لم تصلني بنَفَس منك ألثمه، أو تأذن لي براحة أبدية تمتزج فيها دماء العاشقين؟

لقد أعدتني اليوم إلى ما يشغل بالي. وقلت خذ "عَرَض هذا الأدنى". وما فررتُ إليك إلا هربـًا منه....

،،،

#في_معضلة_التنوير

حظر

كل نقاش مع ملحد(ة) ينتهي ببلوك (حظر) يُرمى في وجهي على عجل. علمـًا بأني مع هذه الكائنات بالذات أمارس أقصى درجات الانضباط العقلي، وأتحول إلى شخص مُعلمَن يناقش بالحجة العلمية المحايدة...

اليوم أدرجت إحداهنَّ فكرة سخيفة فقلت لها أن هذا الفكرة خطأ لأنها فهمت النص فهمـًا معجميـًا خاطئـًا. فانبرى لي بعض مؤيديها يناقشونني في المعجم العربي، علما بأن أحسنهم حالاً يكتب كلمة رأي هكذا (رءي) وانبرى آخرون يفحمونني بأدلتهم المستقاة من الويكيبيديا، فانتابني حينها شعور بالغثيان من هذا الجهل والعري الثقافي والسذاجة العقلية التي تنتج ما يسمى بملحدي وسائل التواصل...

المهم أن الأخت التي لم تناقشني أبدا لأنها لا تمتلك شيئـًا فتقوله، حظرتني فورا حين وجدت أنها وجيشها العرمرم قد تساقطوا كشعر الجرذان حين يغزوها الهرم، وها أنا بعدد قد نقص من الأصدقاء، ويقين أكيد أن الإلحاد ما هو إلا انحراف عقلي مزمن....

،،،

#في_محفلة_التنوير

هوس

ليس من السهل أن تجد لدى أساتذة التنوير العرب أهتمامات أخرى تخفف من حدة هوسهم بما يتصورونه عن فكرة العلمانية والتنوير. حتى عندما يتحدثون عن أمور لا علاقة لها بالدين فإنهم يستخدمونها للتذكير بالشيء الذي هم مهووسون به. مثلا، تصبح مباراة كرة قدم عالمية مناسبة تذكر الناس بحضارة علمانية لا تلبس النساء فيها حجابا فوق رؤوسهن. وتُستغل رحلة سياحية من أجل أن تكون مدونة لمآثر تلك الحضارة التي ليس فيها أمثال زغلول النجار. وربما مضى بعضهم إلى أبعد من ذلك، مثل أخينا كاتب العمود السياسي المرموق في سيدة الصحف، الذي رأى اعتصام الجامعة الأردنية شكلا آخر من أشكال الإرهاب الديني، الداعشي، الإسلامي*!!!

الشيء المزعج في ذلك هو فكرة الهوس نفسها؛ ذلك أن اختلاف الرأي شيء عادي، ولكل واحد من الناس الحق في أن يعتقد ما يشاء. المخيف حقا هو أن يمتلك المهووس سلطة في يوم ما فينتقل هوسه من المجال النظري إلى المجال العملي. عندئذ، ولأن هؤلاء مجرد أشخاص يعيشون تهويمات عاطفية، ولأنهم من الآن يحتقرون المجتمع الذي خرجوا منه، فإن مصيركم سيؤول إلى محاكم تفتيش، وستُنصَب المشانق عند منعطفات كل فكرة مخالفة....

تذكروا دائما أن الأشرار مؤمنون جدا بما يعتقدونه، وأحاديون جدا، ويدّعون أنهم ديمقراطيون.....

*في شهر آذار من عام ٢٠١٦ اعتصم عدد كبير من طلبة الجامعة الأردنية لمدة تزيد على عشرة ايام احتجاجا على قرار الجامعة رفع الرسوم على طلبة الموازي والدراسات العليا. كان الاعتصام عفويا وشاركت فيه قوى مختلفة مثلت كافة ألوان الطيف داخل الجامعة، بدءا من طلبة مستقلين إلى آخرين ينتمون إلى اتجاهات سياسية متعددة. وانتهى الاعتصام حين توصلت إدارة الجامعة إلى تسوية مع الطلبة قضت بأن تكتفي الجامعة ب ٥٠٪ من النسبة التي كانت زادتها على الرسوم. أما الكاتب المشار إليه ومعه آخرون، فقد تجاهل كل المشكلة، وتغاضى عن عدالة المطالب التي قام من أجلها الاعتصام، فاتهم المعتصمين بالإرهاب والداعشية!!

‘‘‘

#في_قراءة_الواقع

تسلية

أحسن شيء قدمه الفضاء الإلكتروني للناس هو التسلية؛ لكن هذه التسلية في معظم الأحيان سوداء، وممزوجة بالمرارة. ولعلنا لن نعدم في هذا الفضاء عاقلا يقرُّ أن الاشتعال هنا ذاتي المنشأ، تلقائي البركات، والجمهور نزّاع لكل ما يجسد حقيقة القطيع بصيغته الإلكترونية الحاضرة....

قطعان إلكترونية أسوأ بمليون مرة من القطعان التي وصفها علماء الاجتماع. إنها تجوس هذا الفضاء من ألفه إلى يائه، وتربض خلف كل نبضة من نبضاته. غير أن ما تطلقه عبر الفضاء يتراوح بين أن يكون أذى أو يكون مجرد لوثة. والأذى أو اللوثة يتغذيان من شيئين أساسيين:

أولا؛ المسؤولية معدومة والكلام هيّن. كأنما أبو الطيب حاضر فينا إذ يقول:

وإذا ما خلا الجبانُ بأرض

طَلَب الطعنَ وحدَه والنزالا

ثانيا: الكذب مركّب؛ ففي العالم الحقيقي تحكم عضو القطيع مكانته بكل ما يعلو بالمرء أو يسفل به من خصائص ذاتية لا يملك الفكاك منها. أما هنا فالشخص نبضة مجهولة، ويمكن تلوينها وتزويقها بالمثاليات والعنتريات، بل وبالشهادات والألقاب الفارغة، والتاريخ المزيف، والصور المعدلة، وكل ما يجعل من فرسان الصهوات مفرقعات مزعجة لا تنطوي على أي حقيقة طويلة الأمد....

كل شيء هنا مبالغ فيه؛ المواقف والشتائم والغضب والرضا والطعام والملابس والتدين والإلحاد. هل تعلمون لماذا؟ لأنه كاذب وفارغ من المضمون؛ فالإنسان؛ إنساننا نحن، لم يطأ حتى هذه اللحظة من التكنولوجيا أرضا حقيقية؛ إنه، فقط، ينقل إليها

أمراضه الفيزيائية والتاريخية، لكن دون أن يخشى مسائلا أو رقيبا على ما في فيزيائه وتاريخه من بشاعة مفرطة....

‘‘‘

#إنسانيات

نماذج

يقول خبر "طازة" نشرته صحيفة المصري اليوم أن المشي برفقة الحمير يساعد صاحبه على التخلص من مرض الاكتئاب. وتُعزى هذه الميزة العلاجية في الحمير إلى هدوئها وإخلاصها وبذلها كل مساعدة ممكنة....

ليس انتقاصا من شأن الحمير، غير أن الخبر أعلاه جالب للشكوك؛ أولا لأن علاج الكآبة أعقد شانا من صحبة الحمير، وثانيا لأن الخواجات أصحاب هذه النظرية يتعاطفون عادة مع الحيوانات إلى درجة تطعن في موضوعيتهم. لكنَّ الأهم من ذلك أن سكان صقع بعيد من أصقاع هذا العالم، على اختلاف أصولهم ومنابتهم ومشاربهم وطوائفهم، هم أولى الناس بطرد الكآبة التي تعتريهم. ذلك لو كان الأمر طوع لمسة سحرية، ترافق فيها حمارا، فيأخذ الله بيدك وينجيك من كرب الكآبة....

كانت مصادفة عجيبة أنني قرأت هذا الخبر في نفس الوقت الذي أنهيت فيه قراءة مجموعة من القصص القصيرة لعزيز نيسين

واسمها "خصيصا للحمير". ولو أردت اختصارها لقلت أن في كل واحدة منها عينة من عينات الاستحمار التي تصادفها في حياتك اليومية. مثلا قصة "ليس إلى هذا الحد" عن النائب البرلماني "عثمان بك" الذي التهم طبقين من الشوربة وصينية دجاج وطبقي أرز بالشعيرية وسلطة وبوظة ومكسرات وأشياء أخرى كثيرة، قبل أن ينام، مفوتا رحلة منتظرة إلى دائرته الانتخابية، حيث كان على موعد مع أهلها للاستماع إلى شكاواهم الملحة.

في قصة أخرى "هاوي أدب" يلقي نيسين الضوء على عينة من مدعي الثقافة. إنه "مؤمن أكرم"، التاجر الذي تفشى الجهل في كيانه، لكنه يمتلك في بيته مكتبة ضخمة فيها نفائس من كتب لم يقرأ منها صفحة واحدة. مع ذلك، يتصدر كلَّ كتاب من كتبه إهداءٌ مزوّر من صاحب الكتاب. ثم يتفشخر مؤمن بعلاقاته في الوسط الثقافي وعدد المعارض والندوات التي حضرها في حياته.

نماذج متعددة قدمها نيسين، منها الصحفي الذي يحلل الشخصيات من خط الكتابة، والرجل الذي ضاجعت ابنته أستاذا جاء يعلمها مادة الرياضيات، وحكواتي السجن الذي خبأ النقود في مؤخرته. المهم، تلك المجموعة القصصية عمل عظيم، لكن تنقصها تجربة أغنى من تجربة رجل مات قبل أكثر من عشرين عاما. تنقصها رؤية سياسية تواكب القرن الحادي والعشرين بنماذجه الفاقعة التي تشكل حالات استحمار غير مسبوقة ولا ملحوقة. إنها تلك الخلاصات الاستحمارية الطغيانية التي تجري

ببركتها أنهار من الدماء، أو تُخنق بغباوتها بلدان لها باع طويل في تاريخ العالم، أو يُضحك بها على شعوب لا حول لها ولا قوة.

كان الله في عون ذاك الصقع البعيد..... ولا حول ولا قوة إلا بالله....

‘‘‘

#إنسانيات

الأغاني

"لسّه الأغاني ممكنة".... لتكن على طريقة محمد منير، أو ربما وهو الأشبه بهذا العالم على طريقة الشاعر التركي ناظم حكمت. هل تعرفون ماذا حصل معه؟ اتّهمه جلادو النظام الأتاتوركي بأنه يخطط لثورة، فحكموا عليه بالسجن، ثم قرروا أن يسحقوا إنسانيته فحبسوه في "مرحاض" ترتفع فيه القاذورات إلى منتصف الحائط، وراقبوه من بعيد.

يقول ناظم حكمت: كاد يغمى علي، وتفشت السموم في جسدي. فلما اقتربت من الهلاك انبعثت فيَّ قوة عجيبة، شعرت بأنهم يراقبونني فقررت أن أتحداهم. وبدأت بالغناء.لم أترك لحنا أو بيت شعر أو مقطوعة إلا جهرت بها، بل جوّدتُ في غنائها. عندئذ فقط نجوت من كربي وعرفتُ كم هو الغناء مهم حين تسود القذارة عالمنا.

كان ناظم من أرق الشعراء وأسلسهم لغة، فصدح بما هو أصل كامن فيه. هناك دائما مساحات للغناء تستفزها القذارات المنتشرة بكثافة في هذا العالم. هذا سر من أسرار العالم؛ إنه جميل برغم بؤسه. إن تنكر لك أشخاص توسمت فيهم الخير فغنِّ. وإن وزنوك بما يحقق لهم مصلحة أو يرد عنهم جوعا فغنِّ. وإن لطخ الأقزام وجوههم بالمساحيق الباهتة ثم اتهموك بالبشاعة فغنِّ....

غنِّ، كي تحب العالم أو تبصق عليه. لا فرق بين الحالتين، فغنِّ.....

‘‘‘

#إنسانيات

درس في فنون النكد

أتلف أولادي لعبتي Fidget spinner حتى الآن. أقصد أن كل واحد منهم أتلف قطعتين، فالمجموع ستُّ قطع. ولا أنكر أنني كنتُ شريكا لهم في عملية الإتلاف؛ ذلك أن اللعبة استهوتني حينا فنالت نصيبا من ضرباتي المتكررة على تروسها. وحاولتُ مرات، وهي في أوج دورانها، أن أدحرجها على الأرض ظنا مني أنه يمكن تحويلها إلى دولاب، لكنني فشلت في ذلك، وارتدّت محاولاتي ضياعا للوقت، تماما كما يحصل كلما تعاملنا مع شيء ليست له قيمة جوهرية.

لا أميل إلى الإيمان بالحلول الفيزيائية حين تكون المعضلة ذات أساس نفسي. إن كانت هذه اللعبة تروّضُ القلق كما يقولون، فتلك مسالة وقت ليس أكثر؛ وقت يستجمُّ القلق خلاله ويتضخم. أين تستطيع الهرب من ذاك الزائر الشرس الذي يهجم عليك مثل كلاب الحراسة فيزجرك عن الدفء والرخاء، ولا يبالي بك بعد ذلك إن ابتلعك صقيع الصفر المطلق؟

ثم إن الدوران حول محور ثابت لا ينتج شغلا. نعم، إن الإنجاز في الحياة يقوم على مبدأ الارتحال في المكان. وهذا يسمونه في الفيزياء (إزاحة). أي أن كل حركة مهما عظمت وتسارعت، فلن تترتب عليها نتيجة ملموسة إن لم تقترن بالمسير ابتعادا عن نقطة الانطلاق.

وفي العالم أشياء كثيرة من هذا؛ حركة بلا بركة ندفع في بعض الأحيان أعمارا كاملة ثمنا لها، فلا تحدثني عن مخاطر السبينر بعد اليوم....

اسمع ما قاله أبو حيان التوحيدي حين أحرق كتبه في نهاية المطاف: "وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة فما صح من أحدهم وداد، ولا ظهر لي من إنسان منهم حفاظ. ولقد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء، وإلى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة، وإلى بيع الدين والمروءة، وإلى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق"....

أو استمع إلى دوبلن إذ يجرد حسبة حياته في نهايتها: "لقد كنتُ فاعلا، وموجودا بين الناس لسنوات، كنت شخصا مثلهم، كائنا ثانويا، ميكروبا يتخبط في المياه مع ملايين الميكروبات الأخرى" ما أظن دوبلن أراد شيئا إلا أن يشكو أو يشتم. كان له خصمان؛ النازية والاغتراب. إنه واحد من أولئك الناس الذين دارت بهم الحياة حول محورها، فجعلت منهم أرضية لإبداعاتها النكدية، وأدرجتهم في زمرة الميكروبات!

إن شئت شاهدا أقرب فعش بعضا من كآبة محمد الماغوط حين رثى نفسه في "مجد الصغائر"، أو اقترب من تيسير السبول في لحظة انتحاره. تيسير بالذات انفجرت حقيقة الحياة في وجهه مرة واحدة فلم يقوَ على تحملها. شيء يشبه ذلك حصل مع كافكا حين قرأ قصته "الحكم" فقد نزلت عليه القصة "كآلام حقيقية، مع كل ما يمكن أن يحمله الألم من بؤس" فاختار بعد ذلك أن يحرق أعماله تماما كما فعل أبو حيان التوحيدي....

عليك أن تدفع ثمن عقلك في هذه الحياة؛ فالعالم الذي يخلو من شواخص "باشلار" عالم كئيب نسعى فيه بلا هدف سوى أن نستنزف أرواحنا. يجري "الراكض السريع" في قصة من قصص الأسكيمو فوق مساحة شاسعة من الثلوج. لا شواخص في تلك البقعة المترامية ولا شيء يفرق بين جليد وجليد، إنه بياض ممتد بلا نهاية، فيركض الأسكيمو إلى غير غاية، ويفقد إحساسه بالزمان والمكان.

هذا عالم لا يصلح للعقلاء، ولا للأنبياء، ولا للمحبين، ولا للمجانين. فكن فيه واحدا من الطواويس، إن شواخصهم مليئة بالشهوات المقيتة. أو كن سياسيا ساذجا. عندئذ ستحكم وترسم، وتكون واحدا من زمرة الرجال العظماء الذين يقررون مصير العالم لأنهم كما وصفهم سومرست موم "ليس لديهم أي قدرة مرموقة. وهم ذوو عقليات متوسطة، مشوهو المعلومات عن أمور الحياة العادية"...

لكنهم حتما يعرفون من أين تؤكلُ كتفُ هذا العالم المسموم.

‘‘‘

#في_معضلة_الثقافة

استحلاب القرف

عملية (استحلاب القرف) ملمح رئيس من ملامح مثقفي وسائل التواصل الاجتماعي؛ الملحدين منهم بالذات... فماذا يعني استحلاب القرف؟ إنه يعني أن يدلو أحدهم برأي ما في موضوع معين، فيأتي من ورائه جيش عرمرم، متراكب كسلسلة، مهتاج كقط خارج من مجاعة، فيزيدون ويعيدون في كلامه، ويمطمطون آراءه، ويكررونها، ويتناقلونها، ويهزهزونها يمينا وشمالاً، إلى أن لا يبقى من الكلام غير صدى وصديد يثيران الاشمئزاز....

والاستحلاب يقوم على مبدأ النقل الشفهي أو التلخيصي

الخفيف اللطيف؛ لأن من عادة المستحلبين أن لا يقرأوا ولا يعودوا للمصادر في أصولها....

ذاك هو استحلاب القرف بحسب ما أخبرتني به وسائل التواصل الاستحلابي....

‘‘‘

#في_محفلة_الثقافة

الكاتب المؤدلج

الكاتب المؤدلج لا يأتي بخير، لأنه لا يستطيع الخروج على النص ولو بشق كلمة، في حين أن الكتابة النافعة سكن في مسالك الألغام. إنها غربة أبي العلاء، وفروسية عروة، وجنون نيتشه، وسعة ابن عربي، وحفريات دولوز. الكتابة أن تقطف من سنابل القمح عسلا لأنك تدرك من الوشائج ما لا يدركه غيرك، وأن تشرق شمسك في منتصف الليل لأن خطاك دائما أسرع من خطى الزمن.

المؤدلجون واثقون بأنفسهم إلى درجة مرعبة، ومضحكون لأنهم يلقون على الناس دروسا وسط الغبار والضجة، وبائسون مثل امرأة لوط؛ ذلك أنها سُنة؛ فإما أن تتقدم إلى الأمام، وإما أن تتحول إلى صنم يبقى ما بقي الزمن عبرة لأولي الألباب....

‘‘‘

#وجدانيات

منهجي

منهجي في الحياة هو الانفتاح على كل شيء جميل وجديد. لذلك أحلم بدولة تجتمع فيها كل الصفات؛ دولة مدنية ديموقراطية اشتراكية إسلامية علمانية خنفشارية عظمى.

في تلك الدولة يسهر نيتشة مع الغزالي، ويلعب هيدغر كرة القدم مع غرامشي. ويتناولون طعام الإفطار عند ابن عربي من يدي الشيف الكبير آينشتاين. ثم يذهبون جميعهم في رحلة أندلسية، دليلهم فيها جنيفر لوبيز وسائق الحافلة أبو الطيب المتنبي....

دولتي هي حبي الإنساني لكل الأشياء التي تترك أثراً في الإنسان....

،،،

#وجدانيات

أنت والوجود

أنتَ حين تكون أنتَ، أو تصيرُ أنتَ، فإنك تجعلُ الوجود أجمل....

لا بأس أن تتخلى عن بعضك من أجل كلك؛ تمارس الاستبدال والإحلال، على مهل، وبعقل ليس له أغلال. هروبك منك إليك

هو صيرورة الحياة فيك. تلك اللحظات التي تنفك فيها قيودٌ وتتفتح فيها آفاق محطاتٌ في شروقك؛ كلما نقص قسط العبودية زاد حظك من الحرية؛ أي من إنسانيتك. عضَّ على إنسانيتك بالنواجذ....

هارب من الأنماط، تلك العلب خانقة وإن اتسعت. وطني بلا انصياع، مسلم أو مسيحي أو ملحد بغير شروط مسبقة. الطارئ عليك منك خير من الراسخ فيك من غيرك. أنت وحدك تعرف حلالك وحرامك. لست ضد قديم أو حديث؛ أنت بينهما عقل يعمل....

أنت حين تكون أنت، وتصير أنت، تجعل الوجود أجمل....

‘‘‘

#إنسانيات

هل أنت ستمتع بالحياة؟

ربما كان عليك أن تصادف أشياء جديدة؛ مثلا، أن يسوق القدر إليك بشرا مختلفين عن الذين اعتدت رؤيتهم كل يوم...

الروتين اليومي قاتل؛ إنه عدو المتعة. تصبح الحياة رمادية حين يلونها أشخاص يفعلون الشيء نفسه، ويقولون ذات العبارات. إن هذا يشبه درسا مملا في الموسيقى، حيث تستمتع بالنغمة أول حين، لكنك لا تلبث أن تسأم منها حين تجد نفسك مجبرا على

إعادتها ألف مليون مرة كي تتقن أداءها. ليس مهما ما يقوله هؤلاء؛ الغضب من الحكومة جيد، والترويج للإلحاد حرية شخصية، والتقوى المبطنة بالوصاية قدر، والمعايدات المكررة لباقة، والمصطلحات المشعة ضرورة، وهناك حاجات نفسية تجعلنا نتعلق بالشعبويات...."ياهملالي"، "اصحي يا قرية" مثلا، تلك اللهجات المغرقة في محليتها توقظ فينا شعورا بالنقاء،،، لكن هناك حقيقة مؤلمة؛ فكل هذا تكرار لن ينتشلك من حقيقة أنك يا صديقي لا تستمتع بهذه الحياة....

حتى أولئك الأشخاص العظماء هم في حقيقتهم قرود يقفزون داخل قفص. إن القناع الذي تتلون به وجوه المسؤولين عن عيشي وعيشك، والحاكمين لأمري وأمرك، إنما هو طلاء رديء وُضع على وجوه رجال غير موهوبين. إنهم لا يستطيعون الكلام خارج مساحة "لغة الحمقى"؛ أي مائتين وخمسين كلمة تشكل خطابا رسميا يثير الضجر، ويسلب المتعة. ليس هذا حكما أخلاقيا، فالفساد والكذب والخيانة أشياء في علم الله. لكنْ من أين يكتسب الناس أهميتهم في هذه الحياة؟ ذلك أن لغة الحمقى قد أعادتنا مرة أخرى إلى عالم الشمبانزي....

أفضل التعرف على رجل يصارع طواحين الهواء مثل دون كيشوت. الأدب يقدم لك مادة خصبة تساعدك على الاستمتاع. في نفس الرواية يفقد سانشو أسنانه كلها. يبدو المشهد أقرب إلى الهزل، لكنه هزل جميل ينتشلك من سباتك. أفضّل العيش مع

زليخة ويوسف، أو "زيطة" في "زقاق المدق" هناك خيارات كثيرة تأخذك إلى عالم أرحب، حيث لا يحاصرني أحدهم بوطنيته، ولا عظيمهم بالفراغ....

أحب أن أحلق في هذا الحياة حرا من كل أغلالها.....

‘‘‘

#إنسانيات

العلم نور ولكن

ما الذي يعنيه أن يصطدم ثقبان أسودان قبل ألف وثلاثمائة مليون عام، ثم يتمكن الإنسان من رصد آثار هذا التصادم فوق كوكب الأرض؟ فيزيائيا هذا فتح معرفي يعد بآفاق جديدة، فضلا عن كونه انتصارا لنسبية أينشتاين التي أبدعها الرجل الفذ قبل أكثر من مئة عام. أما إنسانيا فالأمر يثير مزيدا من الشجون...

تقف الفيزياء اليوم على قمة هرم العلوم فتقتحم عالم المعجزات؛ تشير عن بعد إلى حقيقة ما، وتدهشنا، المشكلة أنها تدهشنا وتنقلنا كل مرة إلى حكاية جديدة. ومن حكاياتها تتوالد الحكايات؛ ذلك أنه لا توجد في عالم المعرفة إجابات مكتملة، وإنما هي أسئلة تتوالد؛ هناك ملايين الأسئلة، ومليارات الاحتمالات. وكل كشف علمي يفتح كوة جديدة في الجدار فينساب منها النور ليمتزج بأنوار أخرى. إنه إدراك سوريالي ينبئ

عن حقيقة مستترة لا يمكن الإحاطة بها كاملة، وإنما هي لمحة من هنا وومضة من هناك.

العلم نور على أن لا تتحول جزئياته إلى يقينيات تحد من الإمكان؛ إمكان أي شيء مفتوح على روعة هذا الوجود. تذكروا أننا مجرد حلقة صغيرة في سلسلة لا نعرف آخر امتداداتها. احتفظوا بدهشتكم واحذروا من تحويل سحر الميكانيكا إلى جدار يحول بينكم وبين مزيد من النور. في قصة الكهف الأفلاطونية ثمة رجل أدهشه النور فاقتحم عالمه ثم عاد إلى الكهف حاملا تصورات جديدة عن الوجود فاستنكرها سكان الكهف. كان المألوف راسخا في أذهانهم والأشياء مكتملة والدعاوى محسومة. لقد قام صاحبهم بمغامرة جاءت بأفكار غريبة لا تناسب ما اعتادوه في دهرهم الكهفي الطويل. والمغامرة ممقوتة في حياة الكهف؛ أي كهف، لأنها بحسب الوصف الذي أطلقه عليها بطل رواية الهوبيت "تجعلك تتأخر عن موعد العشاء!". هل يمكن أن يخسر الشخص البليد شيئا أهم من موعد عشاء وحياة غارقة في موت السكون أو سكون الموت؟ هذا يدخل في باب العلم المقيم الذي هو جهل مقيم بحسب تعبير النفري، والفيزياء إذا فُهمت كتفسير نهائي للوجود تدخل في هذا الباب، تقضي على المعرفة، رغم أنها الآن قمة المعرفة وأجمل ما فيها وأقدرها على توليد الدهشة...

حقيقة الوجود تراكمية تسعى نحو الكمال ولا تبلغه. هل نكون وجوديين إذا قررنا هذه الحقيقة البسيطة عن التراكم الذي

يصنع ماهية الأشياء. ربما، فثمة سر في استمرارية الفعل (يكون)؛ إنه النهر الذي يستحيل علينا أن نسبح فيه مرتين؛ فالأشياء تتغير وتتبدل، فحسب....

‘‘‘

#إنسانيات

جنون ودواء

يُصابُ بالجنون كل من يحاول أن يحبس هذا العالم داخل جدران نظرية واحدة، فمن طبع النظريات أن تغير جلدها جيلا بعد جيل، بل يوما بعد يوم إذا تسارع الزمن ودنا العالم من محطة الحسم....

المؤدلج تلميذ كسول متخم بالغرور. إنه ابن الماضي الموات؛ متفرج أبله لم يدرك أن للمسرحية فصولا لم تبدأ بعد...

الأهم من ذلك أن الأدلجة حالة مراهقة عقلية تخشى على نفسها من النضوج. أحترم ذلك الجاهلي الذي أكل صنمَه حين استبد به الجوع. المؤدلجون لا يجرؤون على أكل أصنامهم، يفضلون على ذلك شرب دماء البشر وشيّهم طازجين....

البلاد البائسة تحكمها أيديولوجيا واحدة، أما البلاد المسخوطة فتتصارع على نهبها أيديولوجيتان. هذا هو الذي يحدث في سوريا الآن؛ أيديولوجيا دينية عمياء تصارع أخرى قومجية بائدة. الفريقان

مصابان بالجنون، والناس مطحونون بينهما والإنسانية ملطخة بالدماء....

الإنسان هو الداء والدواء. الأصنام تستنزف قوة الإنسان، والعقل يجدد شبابه. نحتاج أن نسترد عقلنا ونطمس في أنفسنا مساحات الغرور...

‘‘‘

#إنسانيات

يد ظاهرة

مصطلح "اليد الخفية" الذي ابتدعه آدم سميث مصطلح مليء بالمعاني، ولعلَّ أهمها أن النشاط البشري قادر، إن سلم من الإكراه والعنف، على تصحيح مساره، وابتداع حلوله الذاتية التي تمكنه من بناء الحضارة والتقدم بخطىً واثقة إلى الأمام....

وقبل آدم سميث بقليل كان نيوتن يعلن عن قانون "القصور الذاتي" الذي يقول أن الأجسام تحافظ على حالتها الحركية ما لم تؤثر عليها قوة من خارجها فتزيد من سرعتها أو توقفها عن الحركة....

وسواء نظرنا بعين هذا أو ذاك فإننا لن نعدم الدليل على أن التخلف شيء خارج عن قوانين الطبيعة. وأنّ كل مجتمع مرتد هو ضحية لقوة غاشمة استبدت به فسلبته طاقات الإبداع وكبحت مسيرَه المفترض إلى الأمام....

ولأن المعتقد أو العرق أو لون البشرة عوامل محايدة إزاء القوانين الكونية الكبرى؛ فإنّ ما يبقى فيصلاً في هذه المعادلة هو القوة الغاشمة التي تستبد بمجتمع ما أو عرق أو أهل دين، فتخرجهم عن نواميس الطبيعة وتحيلهم إلى ركام من التخلف والبؤس البشري....

الاستبداد السياسي هو رأس الأفعى، وكل حرب تتجاهل وجوده أو تهادنه هي حرب عقيمة ومحرقة تُضاف إلى رصيد المحارق. فإن سقط الاستبداد سقط معه التخلف وغادر الإرهاب ديار الأحرار إلى غير رجعة....

‘‘‘

#في_قراءة_الواقع

إرهاب

كلمة "إرهاب" تحوّلت من لفظ دلالي إلى أزمة في الفكر والأخلاق....

فهي من ناحية جُرّدت من سياقها القرآني الذي يزن الألفاظ ودلالاتها بميزان دقيق، فحُرّفت، وأُلصقَت بفعل آخر هو "الترويع". وبين الترويع والإرهاب فارق جليل يعرفه أهل الذوق في اللغة، ومن وُهبوا شيئًا من دقة الفكر وذكاء الملاحظة....

ثم إن الجهل بها تحوّل إلى جهل مركب حين أُخرجت من

مداها النفسي، الذي يجمعها وكلمة الترويع، وصارت صفة للعدوان الذي يُقترَف على الأبدان والأموال. أي أنها ضُخّمت فتجاوزت، بقدرة قادر، عالم النفس إلى عالم المادة....

وهي صارت ، بما نستطيع استنباطه أيضا من النقطتين السابقتين، كأداة في يد جهلة، وكعلم استخدمه أمي، وكخطابة يرطن بها أبكم. بل إنها صارت وصفة معلبة يستخدمها من هبّ ودب، ومن لا يعرف الفرق بين حرف الجر وتاء التأنيث، ومن لا يعرف أركان الإسلام الخمسة. وهذا حال الأمم التي يفشو فيها الجهل في كل زمان ومكان.

وهي فوق ذلك كله سم، وخنجر يوخز به المسلمون وخزا خفيفا تمهيدا لخطة ذبحهم الخفية والجلية في آن معا...

أعاذنا الله وإياكم من كل سوء.....

‘‘‘

#في_قراءة_الواقع

اجتهادات فقهية

كي نكون موضوعيين، ينبغي القول أن بعض الاجتهادات الفقهية الإسلامية قد خلقت أزمة كبيرة في علاقة المسلمين بغيرهم من أتباع الديانات الأخرى... ونقول (بعض) لأن الفقه متعدد بتعدد البشر الذين ساهموا فيه، ومتباين بتباين مرجعياتهم الزمانية

والمكانية. والدليل على ذلك أنك تجد أكثر من موقف فيما يخص قضية واحدة كتهنئة أهل الكتاب بأعيادهم، وقس عليها....

وبما أنه فقه فإنه فهم؛ والفهم تابع للنص وليس متقدماً عليه؛ لذا يغدو من المشروع نقده ونقضه وتعديله. لذلك نستطيع أن نفهم أن الدعاوى المشبوهة لشجب النصوص نفسها أو تحويلها إلى متحف التاريخ هي في حقيقتها تنفيس عن شيئين؛ فهي من ناحية كراهية للسياق كله، أي الإسلام بعقيدته المجردة، وبعض القوم لا ينكرون ذلك. وهي من ناحية أخرى بلادة فكرية تفضّل الوصفات المعلبة على ابتكار الحلول الذاتية. وهذه الأخيرة هي السمة الأبرز من سمات التخلف الحضاري كما يتجسد لدينا في صيغتيه العلمانية والإلحادية....

‘‘‘

#في_قراءة_الواقع

ثورة

إنها لمهزلة كبيرة؛ فهم يحاكمون الإسلام على فظائع الأمويين ومثالب العباسيين، ثم يؤيدون بالصوت والصورة والتشفي أنظمة ظالمة متخلفة عن مسيرة البشرية بملايين السنوات الضوئية.

من أي طينة جُبلت عقولهم وقلوبهم؟ الله أعلم...

على كل حال دعونا نقل كلاماً أكثر أهمية، فالإسلام هو الموضوع، وموقفهم العدائي منه لا علاقة له بالعلمنة بما فيها من

نظم إدارية وسياسية قد نتفق مع شيء منها ونختلف مع شيء آخر. فـ (جماعتنا) أضيق أفقا من أن يحيطوا بالمعنى النظري للعلمانية، وأفشل همة من يسعوا إلى أفكار العدالة والتنمية. إنها دول مشكلة من ركام، ليس فيها بحث علمي ولا نتاج فلسفي ولا منجزات أدبية ولا كرامة إنسانية. وعلى رأس الركام أشباح مدججون بالسلاح يقودون جيوشا لا تقوى على حرب ساعة...

الإسلام عندهم موصوم بالتخلف؛ هم ببساطة لا يريدونه، فهو بما يروجونه عنه خطرُ إرهاب وظلمُ أقليات وكبتُ حريات. وهم بهذا يخلطون عن جهل فاضح بين التخلف الحضاري والعقيدة. ولأنهم لا يرون من الإسلام إلا أنه دين فإنهم يقعون في هذا الجرم الفادح الذي يخدمهم من وجهين؛ فهو يحجم المجتمع ويمد لهم دروب الشهوات مدّا. وتكبر اللعبة ويساهم التخلف نفسه في تأكيد الصورة، وتبقى من الإسلام سطحياته، ويتلاشى جوهره النفيس....

الإسلام شيء مركب؛ إنه ليس بالبساطة التي تتصورونها. إنه مساحة شاسعة من الإمكانات الدنيوية التي تمتزج ببعده الصوفي الروحاني. والإنسان هو مركزه وغايته، وثوابته قليلة أما الباقي فمفتوح على كل الاحتمالات. والأهم من ذلك أنه تأسيس حقيقي للثورة؛ ثورة في العقل إذ يتفكر، وثورة على النفس إذ تنحدر طموحاتها، وثورة على الطغيان إذ يستفحل. ولإنه كذلك كان حظه من ود السياسيين باهتا في كل العصور فحولوه إلى حركات تؤدى

وقوانين تقيِّد، وصار بذلك مجموعة من القواعد الفقهية التي تدور كلها حول (الحلال والحرام) ولا شيء سواهما...

ذابت روح الإسلام في الحلال والحرام. صار مجرد دين. والدين المجرد هو انسحاب من الحياة. ولعلكم تعرفون أن المسيحية النقية أيضا لم تؤسس لحضارة حتى ثار الناس على سذاجتها الدنيوية وقرروا أن يكونوا بشرا لا ملائكة...

قد يكون واجبا علينا أن نثور من داخل الإسلام وليس على الإسلام، أن نوسع رقعة سلطانه من الدائرة الضيقة للحلال والحرام إلى دائرة الواجب والإخلاص أو دائرة المعقول والمستهجن. أن نعانق كل حكمة بشرية تؤدي إلى منفعة لا تحطم الأخلاق وتتسق مع ضوابط العقيدة الإسلامية التي هي ضوابط بشرية فطرية تبشر بها كل الديانات وتتبناها كل الشعوب.

حددوا موقفكم من الإسلام بقلوبكم وعقولكم معا. دعوكم من هذه الهمجية التي تحيط بكم؛ داعش وطغاة الأنظمة والليبراليين الذين يهللون لحكم العسكر وشيوخ السلطان واليسار والسحيجة والعلمانية الزائفة. الإسلام دين توحيد خالص، والموحد لا يجلُّ إلا ربه ولا يرى لأحد غيره فضلا على وجوده...

أسكنوا الله في قلوبكم وكونوا أهل كبرياء بانتمائكم إلى جنس الإنسان، أما أجسادكم فمرغوها بأديم الأرض تكسبوا الجنتين معا....

‘‘‘

#وجدانيات

لذة الكتابة

لا أذكر من هو الكاتب الذي شبّه الكتابة بلقاءِ حبيبين يجمع المبدع بأوراقه. لعله أنيس منصور أو توفيق الحكيم، أو ربما نزار. الحقيقة أنني لا أستطيع التحديد تماما، فذاكرتي مزدحمة، ويكاد يقودني ازدحام الأشياء فيها إلى الضياع....

المهم، سأصرّح برأيي في هذا الموضوع؛ نعم، أنا أتبنى هذا الرأي؛ فالكتابة لذة، والفكرة الناجزة عشيقة جاءت على طبق من ذهب. على أن للأمر وجها لا ينبغي إغفاله؛ ذلك أن الكتابة المقصودة بهذا الكلام، هي ذاك العمل الإبداعي، الذي يقول شيئا جديدا، بعد أن يستمطر سماء المعرفة، ويقدم لها ما يلزم من قرابين الهيام. هناك شيء سابق قلته في "شياطين في حضرة الملكوت" بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية عن رسائل الوجود التي تختار من أهل العشق أرهفهم قلوبا وأتمهم إخلاصا. علينا أن نفهم هذه النقطة جيدا كي لا نقع في وهم الكتابة الداعرة التي تقضي وطر صاحبها من عشيقات مستهلَكات، بنات ليل فكري، امتطاهنّ كل مارٍ بالجوار....

ثم، وهذا شيء مهم، عليك أن تثري قلبك شوقا إلى فهم الأسرار. لن تكون كاتبا جيدا ما لم تكن قارئا مغوارا. ولن تستقيم على درب القراءة إن لم يسكنك الحنين إلى كتب بعينها

وإلى كتاب مخصوصين. تحتوي البدايات دائما على شيء من هذا القبيل، هناك شيء يطلق فينا شرارة الوعي، يجعلنا أشخاصا مختلفين، يقودنا على درب الأحلام الوردية. مكسيم غوركي مثلا عمل طباخا في طفولته. عثر في ذاك المطبخ البسيط لعائلة من الطبقة الوسطى على كنز حياته؛ وجد صندوقا ملقى في زاوية ما، فيه مجموعة من روائع الأدب الروسي. كانت تلك هي الشرارة التي حددت مصيره القادم. حنا مينة قرأ كتابا في طفولته المبكرة، ذاك الكتاب فتح أمامه بابا لم ينسد. نسي حنا اسم الكتاب بعد ذلك، لكن الشيء الذي دأب على ذكره هو أنه أصبح روائيا بسبب ذلك الكتاب....

البشرى السارة أن أعمار العشاق سلسلة من البدايات. إن العاشق المخلص مثال على الخلق الجديد. إنه ذو انسجام مع الشؤون العلية. تلك بعض من استطالات الأعمار. عدوا أيامكم بمقدار ما فيها من حنين ووصال. يا للأفكار الجديدة كم هي شهية. الكتاب الجيد؛ الصفحة الجيدة، الجملة الجيدة، الكلمة المكتنزة بالغواية، كل كينونة من هذه الكينونات عشيقة جاءت على نفس الطبق الذهبي. الأمر كذلك، فداوم على ترصد الغواية كي تدنو من مرادك، وتكون رحلة عمرك انتقالا من عشق إلى عشق، ومن شوق إلى لقاء إلى شوق إلى لقاء....

‘‘‘

#وجدانيات

بخاخ للأسف

بخاخ للأسف....

هكذا قرأت هذه العبارة، قبل أن أتدارك حيرتي؛ إنه "بخاخ للأنف" يا حبيبي، وما زوغان عينيك إلا علامة على شتاتك الذهني يا ذا الخواطر والعوالم....

نفس الخطأ حدث قبل ساعات قليلة، ولولا أنْ كانت دلالة الفيديو واضحة جدا لما خرجتَ بنتيجة تخبرك عن تلك العلاقة الغامضة بين مستقبل الإمارات ومستقبل الإطارات. أنت تستعجل أيضا؛ زائغ ومشغول ومستعجل، ذاك شيء فوق طاقتك، وإن غُلّف بخفة ظل جاءت في غير وقتها. إلى متى تستنزف قواك الذهنية؟ ولا شك أن ذهنك يعمل بشكل رديء هذه الأيام.

بعد أربعين عاما من الرفقة الحذرة صرت لا تقوى على الفخاخ الصغيرة. وحدها الأفكار المهمة تجتذبك. كنت مشغولا اليوم بقراءة الموقف في دائرتك الانتخابية الصغيرة، قرأته بأدواتك الخاصة وخرجت ببضعة مواقف من تلك الطاحونة. ثم انتقلت إلى البحث في تاريخ الإخوان المسلمين في الفترة التي تلت الربيع العربي، ووصلت إلى قناعة مفادها أن للإخوان ثوابت لا يتزحزحون عنها وإن اختلفت تكتيكاتهم من بلد إلى آخر. جميعهم يولون الشأن الداخلي اهتماما كبيرا ولديهم تصورات صائبة عن

الإجراءات التي ينبغي اتخاذها لتحقيق التنمية. خارجيا، يبدو التونسيون أكثر مرونة من غيرهم، ولعل قربهم من أوروبا جعل لهم لغة منسجمة تماما مع لغة المجتمع الدولي فيما يخص قضية "الإرهاب"، الغنوشي مثلا هاجم الظواهري واعتبره "كارثة على الإسلام والمسلمين" وأعلن أكثر من مرة عن إعجابه بسياسة المهاتما غاندي السلمية. الإخوان المصريون سلميون أيضا لكنهم أكثر صرامة في التصريحات وفي انتقاء المفردات، وتشغل فلسطين والمقاومة حيزا كبيرا من تفكيرهم. هذا الشيء يجعلهم حذرين جدا عند النطق بكلمة "الإرهاب" لأنهم يدركون أن هذه الكلمة تستخدم في تسع وتسعين بالمئة من الحالات في غير معناها الصحيح. إنهم خطرون جدا وغير مرغوبين، وهذا أحد أسباب التعجيل في الخلاص منهم....

المثقفون يكرهون الإخوان. الحقيقة أن المثقفين يكرهون أشياء كثيرة إلا أنفسهم. إنهم غارقون في نرجسيتهم، ما يجعل كل دوافعهم موضع شبهة. على فكرة، المثقفون هم أكثر الناس طلبا للثناء وأضعفهم أمامه. المثقف يذوب هياما إذا مدحته، ومستعد لسلخ جلدك إذا عارضته. ثم إنهم عبيد أمام القوي، بل إنهم متطلبون جدا، انظروا كيف يتهاوون أمام بساطير العسكر، وكيف يمسحون على رؤوس الظلمة. بل كيف يناقضون أبسط الحقائق العقلية. لا توجد حالة وسط في هذا الوسط الموبوء إلا من رحم ربي؛ فإما تأدلج إجرامي كطوابير المثقفين الذين لا يرى أحدهم بأسا في قتل مئة ألف إنسان. وإما تنوير مستذئب. والحالة الذئبية

هذه لا تمارس إلا على المجتمع كجزء من البرستيج التنويري الذي يستعلي على كل شيء هنا وإن كان يمارس الصياح من هنا.

على كل حال، ما الذي أدخلنا في هذه المتاهات؟ إنه الحديث عن الأشياء المهمة التي توازيها أشياء ليست مهمة. من يضع القواعد هنا؟ أعتقد أنها القوة، والقوة هي السبيل الوحيد لتحقيق الغايات، والبشر سيبقون عبيدا يرتمون عند أقدام القوي مهما ارتقوا في أطوار الحضارة. هذا ليس استنتاجا مذهلا لكن يبدو أنه مؤثر في فهم الأشياء. وحوادثي الصغيرة التي وصفتها آنفا، ثمن أدفعه نتيجة تفكيري في أشياء لا حول لي فيها ولا قوة. ولو كنت قويا لوجدت من يصفق لزلاتي ويعتبرها علامة من علامات العبقرية، تماما كما يفعل الناس لذلك الأخرق الجالس بين القصرين، أو ذاك الأمي الذي يتسابقون على طلب رضاه بنفس الهمة التي تبذلها الكلاب السلوقية في سعيها نحو الجائزة الكبرى....

،،،

#عمّانيات

حظي من عمّان

سأخبركم عن حظّي من عمّان،،،

كنتُ قد بلغتُ قمةَ هيامي بها حين طردتني من جنتها. أخرجتني من قلبها الطيب إلى مدن لا ترحم الناس. إني أشكوها لكم الآن لأنني لا أستطيع فهمها؛ فلغزها أكبر من مداركي. وما حيلة

العاشق أمام هكذا أسئلة إلا أن يطلب النجدة أو يترك أوتار قلبه تموت؛ وترا وترا....

عمان تقتنص منك لحظات المجد، تأخذك معها إلى آخر الشوط ثم تلقيك من شاهق. تطعمك من ملعقتها فتلثم أنت عطر فمها العالق هناك، وتسقيك من كأسها فلا ألذَّ من ماء مكسور بريقها. ثم تأخذك وتحضنك وتقبلك وتقول لك كلاما شهيا، فإذا أتمت ذلك كله وأيقنت من تغلغلها في نخاعك قالت لك: حان وقت الرحيل، فابحث عن نفسك في مكان آخر....

إنْ كان من شيء بقي من شكواي فإنما هو يقيني من صدق حبها؛ فمثلها لا تكذب أبدا، ولغة عينيها نهر من الطهارة. أنا فقط لا أفهمها، فقط أحبها، وأعلم أنها أعظم من أن تجرح قلب عاشقها....

عذرا للخضخضات Turbulence في هذه الشكوى لأن العشاق لا يتحدثون من عقولهم أبدا....

‘‘‘

#عمّانيات

فراق

اكتشفت شيئا جديدا فيما يخص علاقتي الشخصية بعمان؛ فإن آمالي منها، وكل طلباتي المزعجة، إنما هي أثقال أحملها من زمن مضى، تخصني ولا تخصها. لقد غادرتها في عام فصل بين قرنين وألفيتين، فأخذت معي القديم وتركتها تواجه الجديد لوحدها....

وحين عدتُ إليها وقف بيننا حاجز فأدركته هي وبقيت أنا غافلا عن حقيقة وجوده. كان الزمن قد فعل فعلته، وما حيلة العاشق إلا أن يصر على أوهامه. عندئذ أخبرتني بلكنتها المحببة إلى قلبي أن "الهرب ضروري لإني ما بعرف أعيش حياتين".....

دارت بي الأرض في تلك اللحظة وتذكرت أنني هاجرت منذ زمن بعيد إلى مدن بعيدة. ليس في وجهي اليوم عذوبة من تعشقه عمّانه، وترسب الملح في روحي فما عادت شفة عمّان تشتهي مني قبلة حارة. لم يحدث أبدا أن قاومت عمان القرن الماضي رغباتي الجامحة لكنها اليوم تصر على الرفض. وربما كان ما حدثتكم عنه من أحضان وقبل على الوجنتين مجرد هلوسات. يا لجمالها من هلوسات أو حقيقة. إن عقلي يهلوس فعلا، ولست قادرا في هذه اللحظة على الفصل بين ما تمنيته وما حصل على أرض الواقع.

غدا سأكمل دورة جديدة من عمري، من يدري إن كنت سأعيش حتى غد، لكنه عمر حافل بالتفاصيل. لقد تعلمت أشياء

جديدة خلال هذه الدورات المتعاقبة. تعلمت أن عمّان لا تؤذي قلب عاشقها، غير أن الشيء الأهم من ذلك أن من القلوب من تؤذي نفسها بنفسها....

‘‘‘

#عمّانيات

تـقـبّل وجنتيه

قصصي مع عمّان ما زالت تطفو إلى السطح كثيراً هذه الأيام. هذا فأل خير؛ فما زال الهوى وليد ساعته...

خذوا واحدة سريعة:

أرادت عمّان ذات مرة أن تسلط عليّ صقيعها. كانت غاضبة من شيء ما. فلما نفثت نفثتها الأولى، استدرتُ وجئتُ من ورائها. وجدتها تئنُ من حرارة الأشواق حتى أنّ نفثتها ارتدت إلى جوفها لمسة من حرير. عندئذ سمعتُ حديثًا داخليًا بينها وبين قلبها. كان يقول لها: عمان لا تؤذي عاشقها، عمان فقط تضمه وتقبل وجنتيه....

‘‘‘

#كلام_مُسَيَّس

توازنات

التوازنات أهم من كل شيء آخر. هذا هو القانون السائد منذ عدة قرون....

يشبه الحال في الشرق الأوسط مع بداية الألفية الثالثة حال أوروبا أيام حرب الثلاثين عاما. عنف مشتعل في كل مكان، وصراع بلا استراتيجيات واضحة. أيامها، تمخضت الحرب عن مفهوم الدولة القطرية أو الدولة/الأمة التي هي تأطير وتنظيم وتحديد لأشكال الصراع وتحجيم لدوافعها.

حين تشكل هذا المفهوم لم يعد لأصحاب النزوات مكان في عالم الحكم والسياسة. صارت الأمور أوضح من أن يمتطي صهوتها الحمقى، وتشكل لدى الشعوب وعي بوجودها فأمكن تبعا لذلك حساب الأحداث حسابا دقيقا يضمن سلامة الجميع. لم يستطع أحد بعد ذلك أن يقضي على النزاعات، لكن تلك النزاعات باتت أقرب إلى العقلانية وصار من السهل التحكم بها واستغلالها من أجل الحفاظ على حالة التوازن القائمة.

يخضع عالم التوازنات هذا لعدد من القوانين أهمها، أولا: لا يجوز لدولة كبيرة الحجم أن تقوى إلى حد تستطيع معه ابتلاع الآخرين. وكان هذا هو السبب الذي أدى إلى تشكل التحالفات التي قضت على لويس الرابع عشر قضاء مبرما. ثانيا:ممنوع على الأقاليم الصغيرة أن تتوحد. بهذا لم تستطع ألمانيا أن تتوحد إلا بعد

أكثر من مئتي عام على حرب الثلاثين عاما. مع هذين القانونين، ومع لعب بريطانيا دور ضابط الإيقاع الذي يحرس هذه التوازنات حافظت القارة على سلمها. وإن لم تخل القرون التالية من زوابع جنونية تجاوزها الأوروبيون وحافظوا على كياناتهم سليمة من كل شر.

ما يهمنا من هذا الكلام هو فهم قوانين التوازن لاستنباط ما قد يحدث في هذه المنطقة. وجود إسرائيل، التحكم بالنفوذ الإيراني وضبط إيقاعه، حرب الخليج الثانية، المشاكل الاقتصادية الحالية في دول الخليج العربي، مصر الوادعة، داعش التي تملأ الفراغ وبقاء النظام السوري حتى يومنا هذا. الأمر يشبه حالة من الجنون الذي لا يمكن فهمه أبدا إلا بالنظر إلى منتهاه. ولعل منتهاه يؤول إلى حيث لا غالب ولا مغلوب، وإنما صراع يستنزف الجميع ويوازن بين الجميع. على أن نتذكر شيئا واحدا هو أن الحلول العبقرية لا تأتي من الخارج أبدا....

‘‘‘

#كلام_مُسَيَّس

عن روسيا

النقطة المحورية في فهم روسيا أن هذه الأمة مسكونة دائما وأبدا بهاجسين؛ هاجس ديني وهاجس توسعي. ويلتقيان في أغلب الأحوال فيسببان المتاعب للغرب والشرق على حد سواء....

الذين يفهمون روسيا، لم يفاجئهم أبدا وصفُ الكنيسة الأرثوذكسية الروسية لتدخل بلادها العسكري في سوريا بأنه حرب مقدسة تهدف لحماية المسيحيين في الشرق. فروسيا الـ ضد عثمانية وضد بروتستانتينية وضد كاثوليكية، تمارس وفاءها لتركة إيفان الثالث الذي جعل من نفسه، تصوفا وتفانيا، الامبراطور الوحيد لجميع المسيحيين في الكون كله، بعد أن سقطت القسطنطينية، وتلاشت كنيستها....

منذ ذلك التاريخ صار القيصر هو "الأيقونة الحية للرب" وحمل أنجاله وأحفاده أيقونيتهم وحنينهم المتواصل "لكنيسة كونية عظمى على كوكب الأرض". هذا التعبير أطلقه دوستويفسكي الذي عاش بعد إيفان بثلاثة قرون، وشهد الاحتلال الروسي لباريس، وكان يترجم على ما يبدو ضمير الشعب الروسي كله وقناعات قيصره "الكساندر" أحد الرجال الذين صنعوا تاريخ أوروبا في النصف الأول من القرن الثامن عشر.

نفسيا، روسيا أكثر تعقيدا. إنها البلد الشاسع الذي ينتمي لقارتين ولا يشبه أيا منهما تماما. فيها شيء من الانضباط الأوروبي والطغيان الآسيوي. والقوة فيها لا تعرف الرحمة. الجذور حملت الروس بعيدا عن أن يكونوا أسيويين بالكامل، لكنّ قياصرتهم كانوا أوفياء للتراث الأسيوي باستبداد حكامه واعتباطهم وبدائيتهم، وصار عامة الروس حتى اليوم شعبا قابلا للتدجين. كذلك تخلف الروس عن الأوروبيين لأنهم انشغلوا بإعادة بناء بيتهم الداخلي

في الوقت الذي انشغل فيه الأوروبيون بمراكمة إنجازاتهم التقنية والمعرفية. هذا الانشغال وقف عائقا أمام حاجتهم الملحة للظهور. فالعملاق عاش قرونا عجافا حاصرته فيها قوى ألزمته كهفا مغلقا. غزاه المغول وحاصره الفايكنغ والعثمانيون. ثم انتفض على كل هؤلاء، ومارس عنفوانه على كل شبر أرض وقع تحت قبضته. كان التوسع نوعا من الشعور بالأمان لأن مواصلة السير في الحالة الروسية أسهل بكثير من الوقوف. هكذا وصف هنري كيسنجر الحالة الروسية مستلهما درسا عميقا من رغبة روسيا بتجاوز هشاشتها الداخلية القادمة من تاريخها المؤلم، والتي، ربما، ما زالت تلازمها حتى الآن بسبب هشاشة اقتصادية وتركة سوفياتية ثقيلة.

آمن الروس أن عليهم توسيع نفوذهم إلى الحدود القصوى. قلنا أنها حاجة ملحة؛ بسبب قساوة التجربة التاريخية ووجود الهاجس الأيدولوجي. فتحولوا إلى دببة، إذ غالبا ما يطلق عليهم وصف بليغ هو "الدب الروسي" الذي على عكس الشائع، لا يشير إلى موطن الدب البارد، وإنما يشير إلى توحد الدب وضخامته وفتكه بفرائسه حين يخرج من العدم. لم تستطع روسيا أن تخرج من وحدتها، كل محاولة للتشافي تنتهي بانتكاسة، وروح الدب الذي تعود أن يسير وحيدا ما زالت تشكل وجدان تلك الأمة. الدب لا يحب تقييد القوة، ولا يتربص بفرائسه كثيرا. إنه صريح في عدوانيته، متغطرس وفتاك. وكل محاولة لتقييده تنتهي بكارثة لأنه قرر، على ما يبدو، أن لا يعود إلى كهفه أبدا.

وجود روسيا في بلادنا أكثر من مجرد خطة استراتيجية؛ إنه رغبة بالافتراس، وحمل على الإذعان، وجنون أيدولوجي في ناحية مهمة من نواحيه....

‘‘‘

#كلام_مُسَيَّس

الأتراك

يحتفظ الأتراك بذكرى طيبة عن خلفائهم...

يذكرون عن عبد المجيد أفندي، الذي هو آخر خليفة عثماني، أنه كان رساما ماهرا وعازفا بارعا. أما حظه من فن السياسة فكان شبه معدوم. دارت به الدوائر ونُفي خارج تركيا بعد أن ألغي منصب السلطنة، فخرج طائعا بجواز سفره وألف جنيه أسترليني منحته إياها الحكومة التركية. الشيء الذي يقدره الأتراك لتلك العائلة أنها لم تكن بالغة الثراء، ولم تحاول أن تشكل حزبا معارضا في المنفى. خرج كثير من الأمراء والأميرات معه فنالوا إعجاب النخب الأوروبية وعاشوا بسلام حتى يومنا هذا....

كانت تلك العائلة تتبنى مبدأ يقول: ما لم يكن خيرا لعائلتنا كان خيرا لبلدنا. هذا نوع من الصلح مع الذات يكون فيه الوطن قيمة عظمى تتشكل حولها ومن أجلها المواقف...

الحقيقة أن الأتراك شعب ناضج جدا وقادر على الصعود في

سلم الحضارة. ما تقدمه قيادته الحالية شيء يدل على حالة النضوج هذه. الأرقام تتحدث عن نفسها، والأتراك متفوقون بلغة الحساب الذي لا يعرف المجاملة. حتى في الأدب لهم مساهمات كبرى. داوود أوغلو مفكر استراتيجي خطير، يشبه هنري كيسنجر كثيرا في أصالة التفكير السياسي والإحاطة بعلوم التاريخ والاجتماع. أردوغان شخصية كاريزمية خطيرة؛ إنه سلطان معاصر، رأس حربة في فريق من اللاعبين المهرة. من قال أن السلطنة شيء معيب. العيب أن تكون حاكما مستبدا ولصا عتيدا. يستحضر أردوغان التراث ببراعة حين يكون استحضار التراث واجبا. النكتة حين يراه الحمقى المشلولون حضاريا وعاطفيا فيرمونه بحجارة فشلهم المتراكم والمتصاعد....

الأتراك قادمون لأنهم شعب متوازن وله شخصية لا يخجل من إظهارها....

‘‘‘

#كلام_مُسَيَّس

إقليم كاتالونيا

يبدو أن الكاتالونيين تجاوزوا خطوط التماس مع الفوضى. هذا يقلل من فرص نجاحهم في تحقيق الانفصال، خصوصا أن الحكومة المركزية في إسبانيا تلعب على هذه النقطة متخذة من لا دستورية الاستفتاء حجة دامغة تقدمها للعالم الديموقراطي.....

وكي نفهم الأمر فإن علينا أن ننظر للقضية الكاتالونية من منظور يستثني من خارطة طريقه الحق والعدالة. ذلك أن مطالب الانفصال الكاتالونية وجيهة في معظمها؛ فاللغة متباينة، والتاريخ المشترك قائم على ثنائيات بينة شهدت خلال ألف عام نزاعات كثيرة بسبب توق الكاتالونيين دائما إلى الانفصال. ثم إن الإقليم الغني الذي استفاد من الامتيازات التي منحت له في ثلاثينيات القرن العشرين استطاع أن يراكم ثروة معتبرة وأن يطور بنيته الاقتصادية فصار الرافد الأكبر للخزينة المركزية في إسبانيا. هذا مقابل ماذا؟ إنه مقابل لا شيء....

تخيلوا أن الإقليم يقدم الآن ما مجموعه عشرون مليار يورو من الناتج القومي الإجمالي في إسبانيا؛ أي ما يتجاوز خمسة عشر بالمئة من المجموع العام، وهذا يفوق ما يقدمه أي إقليم آخر. ثم برغم ذلك يشكو الكاتالونيون من تراجع في كفاءة البنية التحتية، ومن تدن في مستوى الخدمات التي تقدمها الحكومة المركزية للإقليم. وفي الوقت الذي يبدو الاقتصاد الإسباني فيه شبه منهار، ووسط عشرات قضايا الفساد المرفوعة ضد الحكومة المركزية، يستمر الإقليم في استنزاف نفسه كي يصرف على اقتصاد معطوب، وعلى حكومة تصر على النظر إليه بدونية....

تخبرنا دراسة صادرة عن منظمة آرتس انترناشيونال أن عدد المطالبين بالانفصال في كاتالونيا تضاعف مرتين بين العامين ألفين وسبعة وألفين وسبعة عشر. ويعود السبب في ذلك إلى تداعيات

الأزمة المالية العالمية على الاقتصاد الإسباني من ناحية، وإلى تجاهل الحكومة الإسبانية لمطالب الكاتالونيين من ناحية ثانية. هذا التجاهل هو السبب الأساسي في تنامي المشاعر القومية، أو ما تسميه الدراسة بـ "القيم المقدسة" التي تتمحور حول تضخم الشعور بالهوية والرغبة بالاستقلال. ويقع اللوم في هذه النقطة على الإسبان وموقفهم من الاستفتاء؛ إذ كان يمكن لبعض من التسامح تجاهه أن يقلل عدد المؤيدين أو يقود الكاتالونيين إلى مزيد من المرونة في تحديد مطالبهم. فالجميع يقف في الوضع الحالي أمام حدين لا وسط بينهما؛ فإما الاستقلال الكامل وإما بقاء الوضع على ما هو عليه. بينما كان يمكن في حالة التسامح ابتداع خيارات وسط؛ كالقبول باتحاد فيدرالي أو منح الكاتالونيين مزيدا في الصلاحيات في إدارة حكمهم الذاتي.

هذه الحجج جميعها لن تشفع للكاتالونيين بتقرير مصيرهم لاعتبارين. الأول يتعلق بالتوازنات داخل الاتحاد الأوروبي، ذلك أن الحركات الانفصالية ناشطة في أكثر من إقليم أوروبي؛ ففي إسبانيا هناك فضلا عن كاتالونيا إقليم الباسك، وهناك اسكتلندا وكورسيكا ولومبارديا وفالونيا. كما أن الخطر الكاتالوني يتجاوز حدود الدولة الإسبانية. فعدد الكاتالونيين يقترب من أحد عشر مليونا، منهم سبعة ونصف في إسبانيا، بينما يتوزع الباقون بين فرنسا وإيطاليا. ونجاح الانفصال في إسبانيا يشي بانتقال العدوى إلى الكاتالونيين في هذين البلدين بشكل سريع.

أما الاعتبار الثاني فيتعلق بفكرة الديموقراطية نفسها؛ فللحرية حدود لا ينبغي تجاوزها في النظام الديموقراطي. هذه فكرة فلسفية بعض الشيء... العالم الديموقراطي يقوم على توازنات مضبوطة بالقوانين، وفي حالة السياسة تُسمى هذه القوانين معاهدات أو دساتير. الإسبان كما قلنا آنفا يلعبون على هذه النقطة جيدا، ويعلمون كما يعلم العالم أن انفصالا من هذا النوع سيصيب التوازن الذي يعيشه العالم الديموقراطي في مقتل. الحرية أساسا استسلام في تحرر، وهذه مفارقة حداثية. إنها تهذيب للقوى الجامحة في سبيل تحقيق المثال. بل إن السعادة الحقيقية حسبما تفهمها النظرية الديموقراطية تكمن في الخضوع لقانون يعفي الإنسان من تبعة الاختيار. فاللايقين والشك والمخاطرة، كلها صفات تجتمع في حالة الاختيار المطلق. إن المسؤولية الفردية جحيم، والولوج إلى عالم بلا قواعد تحكمه ذعر، وهالك لا محالة ذاك الذي لا يحسب خطواته وسط حقل من الألغام.

إن الحداثة تقوم في جوهرها على الضبط والقياس والاتقان. والاختيار المرسل بلا وسائل ضبط هو ضد من أضداد الحداثة. ربما كان المنجز السياسي للحداثة يكمن في هذه النقطة بالذات؛ أن يوجه المرء قيوده، فيسن لها قوانين وغايات. أن تغدو متفقا عليها بين الجماعة وواقعة تحت نطاق الحواس. أن يقبل الناس كلهم على الانخراط في نمط يضمن لهم المساواة وتكافؤ الفرص وسيادة القانون. وأن يعرفوا بالضبط أين تقع خطوط التماس مع الفوضى....

الكاتالونيون دخلوا منطقة الفوضى، لا على مستوى الفرد، وإنما على مستوى التوازن الاستراتيجي العالمي. وأحسب أن فرص نجاحهم ضئيلة، لكن نجاحهم إن حصل سيغير أشياء جوهرية في هذا العالم....

‘‘‘

#بنات_الفلسفة

أفات

كنا أمس على اتصال بالأستاذ شوبنهاور، وقد نبهنا جزاه الله خيرا إلى الفارق بين مفهومي الغباء والحماقة؛ وكان له في الأمر رأي وجيه...

ذلك أن مستوى الإدراك الإنساني يقوم على ثلاث مَلَكات: فأولها الحس، وهو مَلَكة انفعالية تشترك فيها الكائنات الحية جميعها. وثانيها مَلَكة الذهن الذي يجمع معلومات الحس، أو يترصدها ويهبها معنى ما؛ كأن يعرف أن النار تسبب الحرق، والسكين يسبب القطع. وهذه الملكة مشتركة بين الإنسان والحيوان. وثالثها العقل، وهو ملكة إنسانية دون المخلوقات جميعها، تقوم باستخلاص معطيات الذهن؛ حذفا وجمعا واستقراء، فيخرج من ذلك بتصورات مجردة، ويصوغ نظريات، ويضع خططا لمستقبله.

وكي لا نطيل، فإن العقل السليم لا يعمل دون ذهن سليم.

وكلما كان الذهن أكثر توقدا استطاع فهم الواقع أكثر، وأمد العقل بمعطيات تمكنه من بسط سلطانه على العالم. غير أن لكل ملكة من الملكات آفة تخصها؛ فالغباء هو الآفة التي تكتنف الذهن فيعجز عن فهم الواقع ويربط الأسباب بغير مسبباتها الحقيقية. وأما العقل فآفته الحماقة التي تنتج عن العجلة أو الطمع أو العنجهية أو سواها من بلاوي النفس الإنسانية. وربما تطورت الحماقة إلى حالة مخصوصة اسمها البلاهة وفيها يعجز الإنسان عن الحكم على الأشياء عجزا تاما فيغدو فردا في قطيع تسيره حماقات الآخرين أو غباؤهم منقطع النظير.

إن ما تشاهدونه ليل نهار هو تطبيق عملي لهذه الآفات؛ خصوصا في وسائل التواصل؛ حيث الترداد والتكرار دون تمحيص أو بينة. وكذلك في وسائل الإعلام، وفي المواقف والصراخ والزعيق والتقديس والتبرير والشعارات، وكل شيء نعاني منه منذ مئة عام لكنه ما يزال على حاله.

‘‘‘

#إنسانيات

الدين المذبوح

خير من انشغالنا بأن هناك من يتآمر على الإسلام أن نفهم أنَّ الإسلام مذبوح من زمان بنعراتنا وخنوعنا وأنانيتنا وفسادنا. الإسلام دين والدين هو أنت؛ يتحقق بك ويتلون بلونك. هو

طموحك من الوجود، فيه شوقك وظمؤك وعشقك واندهاشك وترحلك وحبك وكرهك وخوفك وسعيك للكمال. الدين ليس أيديولوجيا، إنه يمقت النهايات لأنه وسيلة اتصال بما لم يجبك عليه عقلك بعد...

ليس دينا هذا الذي نفعله. الدين ليس قبيلة تهجم على السلطة بعتاد جاهليتها، ولا ظالما يذبح الثائرين تحت المنابر، ولا ملكا ينصاع الناس لرأيه، ولا فقيها يمكث تحت الطلب، ولا سلفيا يتبجح على الناس، ولا حربا بين ظالم وأظلم، ولا شاعرا يتكسب. الدين هو قلبك يهمس لك ويصرخ فيك. الدين أنطولوجيا، يعني صلة ومعنى، لا دولة فيه غير دولة الوجدان، ولا قانون فيه إلا ما ألزمتك به أخلاقك.....

الدين لا يذبح لأنه نزل كي يخاطب أشخاصا أحياء. الكتب لا يقرأها إلا الأشخاص الأحياء، والتلاوة لا يهتز لها إلا الأشخاص الأحياء. والله جل وعلا لا يُدرَك إلا بقلوب الأحياء، والغاية لا تتم إلا بنور الحياة، والإيمان لا يشرق بغير حياة، والفضل يُسبَغُ على الأحياء، والرحمة كانت كي تخدم الحياة. والظاهر ظاهر في إشراقات الحياة، والباطن باطن في أسرار الحياة...

الدين لا يحب الموت، نحن الذين فرضنا منطق الموت على وجه الحياة وجعلناه دينا. أمتنا عقولنا وقلوبنا وكرامتنا. خسرنا الحياة في أنفسنا فهان علينا أن نسلبها من الآخرين....

‘‘‘

#إنسانيات

العراء للدين

أن نعادي الدين يعني أن نعادي ذكاء الإنسان ونحرمه من شيء جوهري فيه....

تحدثنا سابقا عن لغة الحمقى في جامعة أتلانتا. أجريت تلك الأبحاث على الشمبانزي بهدف استكشاف القدرات التجريدية عند هذا النوع من الحيوانات. لم تخلص الأبحاث إلى شيء ذي قيمة، وبقي الإنسان سيدا على المخلوقات بخاصيته الفذة على التجريد. إنها درجة عليا من درجات التفكير الذي تجعله اللغة ممكنا ثم قابلا للمشاركة مع الآخرين....

أما علاقة الدين بذلك فهي أن الدين عملية تجريدية خالصة، تظهر فيها مفاهيم للخير والشر وتفسيرات متعددة للوجود وغاياته. وتلتئم به تصورات فذة عن ماهية القوة التي أبدعت وجود الإنسان والمخلوقات.

"الحيوانات لا تستطيع التجريد" هذا رأي فلاسفة كثيرين. غير أن الأب بركلي ناطح الفلاسفة قائلا: "إذا صدقت هذه المقولة فإنني أخشى أن أقول أن هناك عديدا من الرجال سيصبحون، وفقا لها، في عداد الحيوانات".....

‘‘‘

#إنسانيات

لعبة البوكيمون

الشيء الأهم في لعبة البوكيمون جو أنها تقوم على تقنية "الواقع المـُعزَّز" Augmented reality وهي تقنية رقمية يستطيع المبرمجون من خلالها إضافة عناصر مُتخيَّلة إلى العالم الواقعي. الإضافات تشمل أي شيء يستطيع المبرمج اختراعه، بوكيمون، سيارة، كائن فضائي، جني، شيطان أمرد، إنسان، وما لا تعلمون. غير أنه لا بد من وسيط بين إحساس المتلقي (سمعه، بصره، لمسه) والكينونة المتخيلة. هذه الوسائط حتى الآن بصرية كالأجهزة الذكية والنظارات، لكن من المتوقع أن تتطور لاحقا لتشمل سماعات تتصل بالأذن أو أشياء أخرى تتصل بمراكز الذوق والشم عندك.

الخطير في هذه العناصر التي تُضاف إلى واقعك أنها تجعله أغنى من حقيقته؛ إنها تثريه وتشعل فيك الفضول. ذاك هو السبب الرئيسي للتعلق باللعبة والإدمان عليها في مراحل متقدمة.....

على كل حال، هذه اللعبة ليست شيئا سيئا إن لم تتحول إلى إدمان، وإن لم تكن هروبا سلبيا من واقعنا الحقيقي الرتيب والمؤلم. لا بد أن يثري أحدنا واقعه بأشياء يصنعها هو بنفسه. علينا أن نشتغل على مهاراتنا ومعارفنا لنصنع واقعا نحبه ويحبنا، بدلا من اصطياد تلك النبضات الإلكترونية الغريبة التي لا تقدم ولا تؤخر.....

أخيرا، لا تستهجنوا روايات الأديان عن كائنات أخرى تشاركنا هذا الوجود.... أترك الاستنتاجات لكم، فما زلنا حظنا من المعرفة قطرة في بحر عميق.....

‘‘‘

#في_قراءة_الواقع

الشرف

لا يقبل الشرف القسمة على اثنين، فهو شرف الإنسان؛ ذكرا كان أم أنثى....

هذا شأن الحضارة، أما في عالم ما قبل الحضارة فإن للشرف شأنا آخر؛ إنه مزيج مما تمليه علينا القوة والأعراف والاستبداد. يبدأ الأمر بتقليص الحدود التي يمتد إليها المفهوم فيقتصر شرف الرجل على نزاهته ويُختزَل شرف المرأة في عفتها. عندئذ لا يُسألُ الرجل عن عفته ولا المرأة عن نزاهتها. وتلك هي أول علامات الشؤم....

ثم يلعب الاستبداد لعبته ويتدخل في صك العملة المزورة. والاستبداد هذا هو كل ما يسلب من الإنسان الفرد قدرته على تشكيل ما يخصه من فهم وإيمان؛ أي استبداد السياسة واستبداد القبيلة واستبداد الأعراف. تسقط القيم الكبرى التي هي أساس الشرف تحت ضغط الثالوث الاستبدادي؛ يصبح الرجال عبيدا في ثياب أحرار، ومنافقين بمنطق حكماء، وفاسدين بهيئة رجال دولة.

وتحطم القبيلة الوطنين؛ الوطن الأكبر والوطن الأصغر. تحطم الدولة والإنسان بمنطق الآكل والمأكول. يتوق رجائل القبائل إلى ما يجعلهم أقوياء، ينخرطون في العبودية والنفاق والفساد؛ لأنهم بها يصبحون أقوياء فتزهو بهم قبائلهم ويمتد هيلمانها، ويحوزون أعظم الشرف على حساب النزاهة...

هذا هو خليط الدولة القبيلة والقبيلة الدولة الذي يجمل الصورة القبيحة بإلباسها ثوبا مدنيا، ويحطم الأعراف النظيفة لكل من الدولة والقبيلة فيجعل مكانها عرفا مسخا لا هو من هذه ولا هو من تلك. هناك لا يبقى من الشرف إلا مظهر خداع....

أما أنتِ أيتها الأنثى فلكِ الله لأنكِ الخصلة الوحيدة الباقية من خصالِ الشرف، خصوصا إذا حطم الفقر والجهل كل أمل بالحياة...

فالشرف في هذه الحال خبز مسموم.....

‘‘‘

#في_قراءة_الواقع

ليس من أجل زغلول النجار

دخل أعداء المجتمع مرحلة غير حميدة، وبرزت أشياء مقززة في عدة صفحات. إذ انتقل أولئك من إدانة زغلول النجار إلى إدانة من يخالفهم رأيا صغيرا في قضية فرعية تتعلق بحقه في الحديث....

ولهذا الأمر شجون؛ فموقفهم من زغلول النجار اساسا موقف ينبئ عن غيظ مستتر. ذلك أنهم تجاوزوا موضوع النقاش؛ أي الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، إلى اتهام الرجل بتهمة كبيرة هي الإرهاب، فضلا عن تهم صغيرة أخرى تدخل في باب السباب الذين يحبون إلقاءه كيفما اتُفق، كتهمتي الدجل والشعوذة. ونحن إن شاطرناهم بعضا من موقفهم بخصوص الإعجاز العلمي، غير أننا لن نوافقهم أبدا على تماديهم في الاتهام. ذلك لبطلان التهمة التي يُرمى بها الرجل، ولسذاجة تفكيرهم النمطي، ولإصرارهم على الجمع بين القرآن والإرهاب في كل شاردة وواردة. وما التحذيرات التي يلقونها هنا وهناك إلا علامة على هذا الصلف الفكري الذي لا ينتسب للموضوعية ولا للعلم ولا للرأي السديد.

ثم إن موقفهم من العلم نفسه مشوش. ولن تجد مهما نقبت في حججهم حديثا ذا قيمة عن مفهوم العلم التجريبي وفلسفته، ولا رأيا سديدا يبين السبب الذي ينافح أحدهم من أجله عن هذا الشيء. بل إنك لن تظفر بمن يستطيع منهم أن ينفي عن نفسه تهمة الجهل ويأخذنا معه أخذا سلسا إلى جنة العلم التجريبي الذي صنع الحضارة الإنسانية. نريد منهم رأيا أصيلا ينم عن اطلاع وقناعة، لا جملا مسلوقة بطريقة النسخ واللصق الإلكتروني. لو حدث ذلك لقلنا لهم أهلا وسهلا، لكنه لم يحدث البتة. وفوق ذلك لم يرحمونا من خطابتهم، ومن زخارف ألفاظهم التي يرقص لها جمهور من القردة. ذلك أن العلم شيء، والبلاغة التي يفرون بها من قحط معارفهم شيء آخر.

ولعل أهم شيء هو ما أشرنا إليه في الجملة الأولى، أي الهجوم الجماعي على كل من يخالفهم قسطا بسيطا من الرأي في إسكات زغلول النجار أو السماح له بالحديث. إنهم يهجمون كقبيلة، ويتربصون كجيش من المخبرين. لا يتركون أحدا على التايملاين، ولا كاتبا في صحيفة، ولا كلمة هنا وهناك. يجرّحون ويتهمون ويجردون كما يليق بأعضاء محكمة تفتيش قروسطية.

إنهم كتلة من الاستكبار والعنجهية والجلافة، مخلوطة بشيء من الإيروتيكية لزوم حياة ينحدر فيها الإنسان إلى مستوى البهائم حيث لا هم له إلا أن يتناكح ويبول....

‘‘‘

#وجدانيات

مع عبد القادر الجيلاني

صحيحٌ أنَّ الإنسانيةَ سقطَت في أوحالِ الرذائلِ النابعةِ من ذاتِها لا من طوارئ الدهرِ عليها. لكنّها تحتوي على إمكاناتٍ أُخَرَ تنبعُ منها أيضاً؛ الصفاء، الجمال، الاتساق مع نشيد الوجود، العدالة، والرغبة العارمة باسترداد الفطرة.

دعونا نستمع إلى الإمام عبد القادر الجيلاني إذ يقدم لنا وصف الإنسان الصالح الذي يكتمل بوجوده الوجود:

"هو محمولُ القَدَر، كُرَةُ المشيئةِ، مُرَبّى القُدُسِ، منبعُ العلومِ

والحِكَم، بيتُ الأمنِ والفوزِ، كَهفُ الأولياءِ..... عينُ القلادةِ، دُرَّةُ التاجِ، منظَرُ الربِّ."

‘‘‘

#وجدانيات

تجليات العشق

هذه مجرد شطحة قد لا تحمل معنى جديدا....

يوجد للعشق تجليات كثيرة، أهمها علاقة الروح بالجسد؛ فإنها لا تتحقق بدونه. يستقبلها الجسد ويحتضنها ويمضي بها في مشوار اكتمالها. يسمي الوجوديون هذا المشوار "ماهية"، فالكينونة الواحدة المتكونة من الروح والجسد تتقدم نحو الأمام وتنضج وتفهم وتقبل وترفض وتتفلسف وصولا إلى نقطة الافتراق. فإذا افترقا عُدَّ هذا موتا. الموت ببساطة أن يصبح الجسد غير صالح لاحتضان الروح، عندئذ تخرج منه خروجا صعبا نسميه نزعا وانتزاعا. وهذه التسمية إن حملت معنى فإنما تحمل معنى العشق.

هل يعودان إلى بعضهما؟ رأيي الشخصي أنهما يعودان. فهي بدونه مجرد إمكانية؛ أي وجود بالقوة، فلا تصبح وجودا فعليا إلا باقترانها به*. هذا يؤيد قول القائلين أن المعاد يكون بالروح والجسد. فثمة مشوار آخر هناك وعلى الروح أن تكون فيه في أحسن حالاتها...

المهم، علينا أن نتخيل حجم اغتراب العاشقَين حين ينتقلان إلى عالم البرزخ. الروح في مكان لا نعرفه، والجسد مطمور تحت الأرض. لا شك أنه شعور صعب لا يوازيه أي شعور من مشاعر الاغتراب التي تصادفنا في حياتنا.

هذا شعور أشق عليك من غربتك عن وطنك. بل أصعب كثيرا من خيبتك حين تعشق امرأة فتخذلك. الوطن معنى أو مكان لا تستطيع أن تلومه إذا انتُزعتَ منه. أما المرأة فكيان إنساني جعلتَه مكانا لعشقك؛ تماما كما عشقت روحك جسدك. فراقك عنها يعني أنها لم تعد صالحة لاحتواء كينونتك. شيء يشبه الموت، لكنه موت الصلة هنا لا موت الأجساد ولا افتراق الأرواح. غربة شديدة؛ قلبٌ لفظك بعيدا عنه أو صدرٌ لم يستقبلك حين كنت بحاجة إليه. يا لهُ من عري وبرد وغربة. تصبح به ضعيفا، عدوانيا، هشا كل الهشاشة. هذا شأن الإنسان مع الإنسان، فكيف تكون غربته حين يفارق بعضه بعضه؟ ما الذي يصيب الروح في عالم البرزخ؟ هل تسكن وتطمئن أم تمارس ما نمارسه من غضب عند شعورنا بالاغتراب الدنيوي؟

الإجابة صعبة ونسأل الله اللطف....

*كُتبت هذه الفقرة في العام ٢٠١٦ واليوم بعد ثلاث سنوات أجدني غير متأكد من ضرورة اقتران الروح بالجسد كي يتحقق اكتمال الروح. علما بأن عدم التأكد هذا ليس موقفا أتخذه من قضية البعث الروحاني والبعث الجسماني لكنني أبين رأيي في

هذه الجزئية الدقيقة فقط. مشكلة الجسد برأيي أنه ذو أبعاد؛ أي أنه مكان، والمكان والزمان مواقيت تشكل عالم الشهادة الذي نعيش فيه قبل الموت، ولعلها بذلك تتنافى مع الأبدية التي هي خلود لا تحكمه قوانين الزمان والمكان. والمواقيت كذلك أنظمة قبلية موجودة في الذهن الإنساني فتساعده على فهم الواقع دون أن تمتلك في جوهرها وجودا حقيقيا. هذا ما ذهب إليه كانط وتابعه عليه غاستون باشلار في رائعته جدلية الزمن.

‘‘‘

#وجدانيات

الأحراث العظيمة والحب

لم يكن في التاريخ طفرات خارجة عن سياق عصرها. فلكل حدث (كبير!!) صغائر أو توافه تراكمت فمهدت لحدوثه. حتى النبوات كانت نتيجة مباشرة للطغيان الذي سبق ظهورها....

في هذا السياق نستطيع التخلي عن كل زعم يضفي قداسة على التاريخ، ويمكننا التخلص من بلاهة الحاضر، وربما استطعنا أن نفهم أسباب الاعتداءات والانتحار والجنون والعبقرية. العالم مجرد أسباب مترابطة، والأشياء عادية جدا وبشعة جدا وجميلة جدا (أشكر من كل قلبي هذا العالم على تناقضه)....

شيء واحد نستطيع استثناءه من هذه القاعدة؛ إنه الحب، ذاك الانقلاب الذي أخرجنا من العدم إلى الوجود، وحرك فينا

الحنين إلى ما استتر وراء الحجب الرقيقة. كأنما التاريخ كله طفرة واحدة اسمها الحب ووقودها العشق وآلاتها الفضول والشوق والإصرار. فإن آنست في نفسك غنى يقلب كيانها فاعلم أنك غارق في تجلٍ جديد من تجليات الحب، فاجعل لنفسك طفرة تستحق وضعكَ على خارطة الوجود....

أما الكلام الجميل فلا يصنعه غير الحب، وأما الأفكار السخية فمن الحب وإليه....

‘‘‘

#كلام_مُسَيَّس

منظومات القهر

أخاف من هذه المنظومات التي تعيد إنتاج القهر وإن اختلفت عناوينها العريضة....

أخاف من المبشرين؛ فليس من آجل بعاجل إلا في تجارتكم مع ملك الملوك جلَّ في علاه. ثم إن كل عنوان عريض لن يصلح أن يكون تجارة دنيوية. تلك الأشياء تصلح أن نعمل لها لا بها؛ الدين، الوطنية، العشائرية، القومية والحرية. هذه مجرد أمثلة، وسواها كثير....

أخاف من قهر الذات لذاتها. حين يبجل المرء نفسه ويظن بها العصمة. تلك أشياء لم ينجُ منها أكثر البشر وفيها هلاكهم. من أجل ذلك كثر بيننا المبشرون وقلَّ المعلمون. المبشر يعدك ويملأ

رأسك بمعلومات ناجزة وربما استعلى عليك. أما المعلم فيرشدك إلى نقصه ونقصك، إنه يعودك على طرح الأسئلة بدلا من تلقي الإجابات....

في بلادنا، كل مستبِد كان مستبَدا به؛ الأب والأستاذ والموظف والحاكم والمثقف. المَثقفون حالة خاصة بين هؤلاء إذ سرعان ما يتحولون إلى مبشرين. هم يرومون هدم البناء كله لأنهم يحجمون عن قلع الشوك بأيديهم....

إن رأيتم صنفين من البشر يتقلبان في النعم فأسقطوهما فورا من حساباتكم؛ المثقفين والمتدينين.....

‘‘‘

#كلام_مُسَيَّس

سايكس بيكو

موضوع خفيف لطيف....

بصراحة، الوطنية في بلادنا مصيبة كبرى لأنها جُعلَت غلافاً للهوية؛ أي فعلَ خنق وإخضاع. وتُركَ مجالُ تفسيرها سائبا لكل من هبَّ ودبَّ ودجَّ. فصارت أسطورة قاهرة بنص مقدس كله همهمات وغمغمات....

يستطيع أيٌّ كان أن يتهمك في صدق وطنيتك أو إخلاص قوميتك. ذاك اتهامٌ في ما هو فطري من أمرك. الشنيع فيه أنه ضيق

إلى درجة تحبس الدم في عروق تمد بشريتك بالحياة. والأشنع من ذلك أنه محكوم بخطوط وهمية رسمها محتل فوق ورقة....

هل تستطيع أن تكون أردنيا دون اللجوء إلى سايكس بيكو؟ واقعيا، أنت كذلك؛ بسحنتك ومزاجك ولكنتك ونبض قلبك. أما عندهم فلا، لأن عليك قبل ذلك أن تخضع، وتحفظ الكليشيهات جيدا، ثم تقبل تلك الخطوط التي لم يبحث في أصلها أحد*

*ملاحظة على هامش الكلام: خطوط سايكس بيكو وُضعت تطبيقا لمبدأ عام في السياسة الدولية هو مبدأ الدولة القطرية أو القومية، غير أنها شذّت عن أصلها الذي أقرّه الأوروبيون بعد معاهدة وستفاليا في منتصف القرن السابع عشر. في ذاك الوقت قُسّمت القارة الأوروبية إلى مجموعة من الدول القومية تخليصا لها من نظام الإقطاعيات وتدشينا لنظام قانوني يضمن حل النزاعات ويحقق مصلحة المجموع. منذ ذلك الوقت بدأ النظام الإقطاعي بالتلاشي، وانقرض السادة الذين كانوا يحكمون مجموعة من الأقنان. الأهم من ذلك أن تلك التقسيمات راعت إلى حد ما التنوع العرقي واللغوي والثقافي في القارة الأوروبية، فامتزج الإطار القانوني بالواقع الديموغرافي وانتجا كيانا قابلا للدوام. طبعا كان هناك بعض المناطق التي خرجت قليلا عن القاعدة مثل سويسرا بسبب التشابك الذي لا يمكن فصمه بين أعراق مختلفة، لكن هذه المشكلة حُلت أيضا ضمن إطار قانوني يقوم على مبدأ الحكم الذاتي أو نظام الكانتونات.

عندنا أقدم الأوروبيون على جريمة نكراء برسم هذه الخطوط، فهم أولا لم يراعوا فيها اختلافا حقيقيا بين شعوب المنطقة؛ لا في اللغة ولا الثقافة ولا الأعراق. ثم عكسوا الآية فوضعوا داخل كل قسم من الخطوط سيدا وجعلوا له شعبا من الأقنان. واتُّخذت هذه القسمة الضيزى هوية نبغض بعضنا من أجلها وتنتهك إنسانيتنا دفاعا عنها....

ألا نستحق الشفقة؟

‘‘‘

#كلام_مُسَيَّس

غايات الشريعة

الغاية الأساسية للشريعة أن تحفظ الدين والعقل والنفس والنسل والمال... ولا يقوم إسلام بغير هذه المقاصد الخمس، ولا روح للفقه بدونها...

والصراع الذي يدور حاليا هو صراع من ضيّع الدين وجمّد العقل وأزهق الأنفس وشرّد النسل واستولى على المال، صراعه مع الفكرة والروح والأمل والكرامة...

ولعلّ حفظ الدين هو حفظ العقيدة، فهي الجزء الوحيد الثابت من الدين، وما سواه اجتهادات تصيب وتخطئ. والعقيدة قد تكون كل عقيدة نبتت في الأرض التي تحقق الشريعة مقاصدها

فوقها. فالنصارى آمنون على عقائدهم، وحفظ دينهم من مقاصد الشريعة. واليهود كذلك. ومن شاء أن يؤمن فليؤمن، ومن شاء أن يكفر فليكفر. المهم أن تُحفَظ حرية الاختيار، ولا يكون اختيار بغير عقول سليمة وأنفس آمنة ونسل طموح ومال مصون...

الذين ضيّعوا هذه الأوطان ضيعوها بنصاراها ومسلميها، بدروزها وعلوييها. نهبوا الخيرات واصطفوا من كل طائفة طغمة فاسدة تقطف معهم من ثمار الاستبداد وتترك للباقين المر والعلقم...

هم يخشون غايات الشريعة واحتمال انبعاثها، فتصنع غدا آمنا لا مكان فيه لطمع نفوسهم. يهلعون ويجزعون ويمارسون حروبا قذرة لا إنسانية فيها. يخشون أن تتجدد الشريعة، أن تنفض عنها غبار القرون المتطاولة، فتستبقي مقاصدها الأساسية، وتستل من نور الله فقها مواكبا لتطور البشرية تتحقق فيه كرامة الجميع. تتحقق فيه حرية العقيدة وسلطة الأمة والرقابة والمحاسبة والعدالة وحسن توزيع الموارد...

هم لا يحاربون الإخوان؛ فعنفوان الإسلام أكبر من الجميع. إنهم يخشون الاحتمال فقط، وأن يُفتح باب لا يبقي من فسادهم شيئا ولا يذر...

‘‘‘

#في_معضلة الثقافة

فقط بالعكس

لا أعرف لماذا يسير المثقفون في بلادنا بعكس اتجاه العالم. فمما تراه طائفة من خبراء النفس البشرية أن للمثقف ثلاثة وجوه ينظر بها إلى العالم، وهي تُعدُّ درجات في سلم نضوجه: المرحلة الجمالية فالمرحلة الدينية فالمرحلة الأخلاقية. في الأولى يسيطر عليه الطيش الشهواني. في الثانية يؤدلج العالم، وفي الثالثة يطغى عليه الشعور بالواجب....

عندنا يختلف الأمر كثيرا؛ فمعظم مثقفينا خرجوا من رحم الأحزاب المؤدلجة، أو أنهم كانوا مثاليين جدا في أول نشأتهم. بعد ذلك يحدث شيء عجيب؛ فإما أن يصاب المثقف بالكساح العقلي ويبقى غريق أدلجته. هذه الفئة في الغالب تصطدم مع العالم اصطداما مهلكا وتضطر إلى دفع ثمن أخلاقي باهظ كذاك الذي يدفعه الآن مثقفو البراميل المتفجرة. وإما أن ينتهي الأمر بالمثقف إلى حالة من التصابي، والهذيان الشهواني، فيرقص على أنغام غرائزه، ويحلق في سماء المجد بما لديه من معرفة موسوعية عن أنواع البيرة والعرق وأرداف النساء.

،،،

#في_معضلة_الثقافة

خوارج الثقافة

وكما أن للدين خوارجه فإن للثقافة خوارجها. ولعنة المثقف الخارجي أشد وطأة على الناس من لعنة المتدين الخارجي؛ فالثاني يفكر نيابة عن الله، أما الأول فإنه يحل محل الله. المتدين يلوي عنق نص موجود أما المثقف فيبتدع نصوصه ويرسلها آيات محكمات لا يأتيها الباطل من أي اتجاه.

مشكلة هؤلاء أنهم يسكنون في فراغ، وفي الفراغ يقدر المرء أن يشكل ما شاء من النظريات ويذهب بالظنون إلى ما وراء المرض النفسي. كلهم يتحدثون بلا أدلة. فقط ينفسون عن آرائهم المكبوتة. وتخيلوا حجم الدمار الذي يمكن أن يوقعه بالكون إله مكبوت....

‘‘‘

#إنسانيات

مناضلون

يبدو أن هناك صنفين من المناضلين. صنف تغريه السلطة فيندمج معها، وربما حالفه الحظ فصار وزيرا أو نائبا. وصنف آخر يحافظ على عهوده القديمة فيتحول بعد حين من الدهر إلى "مناضل تاريخي". هذا الوصف العجيب ما زال دارجا بين سكان العام ألفين وتسعة عشر، ويبدو أنه يشير إلى رتبة لا تُمنح

إلا للأفذاذ من المناضلين التاريخيين (لا أجد وصفا آخر يليق بهذه العظمة)...

على كل حال، بكم يباع كيلو النضال في بلادنا؟ لا بد أن له مقاييس معلومة تجعل لهذه الألقاب معنى محددا. مناضل تاريخي! مناضل نصف تاريخي! مناضل صيفي!!! مناضل مئتان وعشرون فولت!!!!!! المهم في الموضوع، وهو سؤال مشروع: لماذا لا يخجل هؤلاء الناس من ألقاب التفخيم؟ هذا دأب العقلاء؛ إنهم لا يحبون الثناء القليل، فكيف إذا كان مبالغا فيه، خصوصا حين يصل إلى درجة من درجات الكوميديا التاريخية....

آه، نسيت أن أقول لكم؛ هناك صنف ثالث من المناضلين هو الفرع التنويري. هذه الحالة خاصة جدا وتحتاج إلى دراسة معمقة. انسوا أمرهم الآن....

فوق السطور وليس بينها: ما الذي يدفع الناس إلى استخدام هذه اللغة المهترئة؟ شيء عجيب، فهؤلاء الناس أذكياء ومثقفون. لكنَّ الذكاء لا يمنع الحماقة؛ فالحماقة "جنية" تسكن في روح الإنسان، وتتكيف مع علمه وجهله، ولا يمكن شفاؤها بالتعليم. هكذا رأى فلوبير، وقبله بقرون حام شاعرنا العربي حول نفس المعنى فأخبرنا أن "الحماقة أعيت من يداويها".....

‘‘‘

#إنسانيات

مواعظ

لا أحبُّ المواعظ، ليس فقط لأنها أبوية ومتعالية، بل لأنها تفرض علينا الانصياع لشيء لم نختبره بعد، ولأنها في الغالب لا تنطوي على نوايا حسنة. ما يبدو، ربما، أجدى من المواعظ إن دعاك واجبٌ إلى الكلام أن ترسل تلميحات أو توجه شعاع النور نحو حدث واحد. الإضاءات جيدة لأنها مستفزة، وأعظم النار تأتي من مستصغر الشرر....

في إعلامنا، وفي فننا، وفي جمعاتنا نمارس أطنانا من المواعظ، ولا نسمح للناس أن ينجرفوا مع تيار الحياة. نأخذهم من الحياة ونجعلهم بلا ملامح. إن المواعظ بغيضة، مواعظ الموظفين والكتبة والمتسلقين. ما أبغض المتسلقين على بيوت الله إلى قلبي، بيوت الله أطهر وأجل. وكم أتمنى لو تهتز بهم منابرها الطاهرة فتلقي بهم إلى مزابل التاريخ.

‘‘‘

#الدين_القيّم

بدائل

أصعب شيء في الدنيا أن تختار بين بدائل....

تذهب إلى صلاة الجمعة فيخوفونك من النفس الذي تتنفسه. فإذا خرجت إلى الدنيا آمنت أنه لا بد من حل آخر.....

خطيب الجمعة يقول لك "اتّبع ولا تبتدع. وكلما تقدم الزمن قل العلم وكثر الخَبَث" تفكر هنا بعقلك: في أي عالم يعيش أخونا هذا؟ لا بد أنه مرتاح للأشياء المزعجة!!

تقرأ القرآن الكريم فتسمع قول الحق "فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سويـًا" هذه الآية عظيمة جدا وفيها معنى يستتر وراء معنى آخر. حتى لو تعسفنا قليلا في فهمها فإن حقنا البشري باقٍ أبد الدهر؛ ذلك أننا بقوة الخيال نحيا، وبه نحبُّ أن نقفز بخفة بين تلك المعاني التي تحيل إلى معانٍ أخرى. الشكر لك أنك منحتنا قوة الخيال يا الله.

حين تتمثل روح الله في بشر فلن يمنعك شيء من الإيمان بأنك بعض من روح الله، وأن تلك الهبة التي تنزلت على جبريل قد دخلت عالم الإنسان كي تذكرك بما كان ويكون. عندئذ سيهمس العارفون بالله في أذنك "إن شأن الله مع الإنسان شأن من يريد أن يرى تحقق الإلهي في البشري" وسيقنعك المعتزلة بقولهم أن

الجمال والقبح أصلان من أصول التشريع. عندئذ، إن كنت فطنا، ستدرك من "الأمل الفسيح" قسطا كبيرا.

هناك حلول فقهية وسياسية كثيرة تدخل تحت هذه المباديء الثلاثة: تحقق الإلهي في البشري، وتقييم الأشياء بجمالها كوسيلة لفهم حلالها وحرامها، والبحث عن الأمل الفسيح. الجمود الذي يفرضه عليك خطيب الجمعة لا يحقق أيًا منها، بل يقف بك دائما عند نقطة الصفر حيث تخسر كثيرا من مزايا تلك النفخة الإلهية. الله لم يخلقك عاطلا عن العمل، ولم يقصر مواهبه على الجيل الأول، ثم إنه لم يجعل عقلك زائدة دودية في أعلى جسمك.

أريد، بل أقاتل من أجل أن أحتفظ بوجودي كإنسان، وأن لا تهتز ثقتي بكمال انتسابي إلى الشرط الإنساني. عقلي يؤلمني وقلبي يشدني إلى المطلق. للمرة الأولى في حياتي أفهم حريتي كما يجب، وأشعر أن الله سيباركها إذا أقحمت نفسي في عالمه وشكّلت بيديّ مراده من الكلمات. لن أرى نفسي في أي مرآة أخرى. احذروا وكونوا دقيقين هنا؛ لست من الذين يسطو عليهم تراثٌ غابر، لكنَّ زيتونتي مؤابية ولا أبتغي حاضرا ليس فيه من عرق جبيني شيء....

‘‘‘

#إنسانيات

أعمدة بيتك

أحاول أن لا أتورط في الصراعات كثيرا، إلا صراعا يطعنني في حريتي....

لست عبدا لنزوات البشر، ولي نظرية في هذا الشأن؛ فإن أكثر ما نشاهده من تحريض إنما هو فعل فاعل ذي مآرب شخصية. تكمن المشكلة كلها في حب الكماليات؛ فالإنسان الذي يبحث عن حاجاته الأساسية لا يكذب ولا يطغى ولا يوقع العداوة بين الناس ولا يعادي الله ولا يسرق وطنه ولا يتحزب ولا يتعنصر ولا يتكبر. أما نقيضه فيفعل كل ذلك وأكثر، تدفعه شهواته إلى أن يركب ظهر كل شخص أو مجموعة من الناس توصله إلى غايته....

وكي نعرف ما هي الكماليات فإنها من نوعين؛ كماليات مادية وكماليات معنوية. الجاه والمال هما سم الإنسانية الذي يوردها الهلاك. والخداع الذي يُمارس هو استجلاب لواحدة من المنفعتين أو لهما كليهما. إنه خداع ولا شك؛ يمارسه الزعيم الفاسد والسياسي الإمعة والمثقف الشهواني ومرشح البرلمان الطامع والوطني الكذاب وشيخ العشيرة الفاسد. إن عالما يتشكل من هؤلاء سيتحول لا بد إلى محرقة من النزاعات. ووقود النزاعات أنت يا من يخدعك الكلام، وتستثار فيك العنجهية، ويُضرب على وتر الغرائز فيك، فتتردى من سيء إلى أسوأ....

حاجاتك الأساسية رزق يغنيك عن سؤال الناس، ونفس حرة، وعقل لا يكف عن السؤال. تلك أعمدة إنسانيتك التي تنجيك من عبادة البشر، ومن شر الغريزة، وتقودك إلى أعلى المقامات....

‘‘‘

#إنسانيات

أمهات

في الثورة السورية مات آلاف الأطفال. كانت نشرات الأخبار تنقل المشاهد بتفاصيلها الدقيقة. تكررت في معظم المشاهد صور آباء مفجوعين يحتضنون جثث أبنائهم، أو أقارب يذرفون الدموع على الطفولة الشهيدة. العجيب أن الأمهات لم يظهرن في أي مشهد من تلك المشاهد، لم نشاهد أثر الفاجعة في عيونهن، كنَّ يختفين من المشهد ولا يشاركن فيه ولا يبدو لهنَّ أثر بعد ذلك. هل تعرفون لماذا؟ لأن الأم، كل أم، لا تبتعد عن طفلها شبراً واحداً حين يدنو الخطر. كنّ ميتات فالأم تسبق ابنها إلى الموت؛ تحتضنه فترافقه أو تفتديه فيبقى بعدها.....

‘‘‘

#شؤون_قرآنية

قريب

"وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعِ إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون"

هذه آية شديدة الصلة برمضان، وقد قيل فيها كثير، غير أن من أعظم المفسرين الذين فسروها اثنين: الأول هو الرازي في "مفاتيح الغيب"، والثاني هو القشيري في "لطائف الإشارات"....

أما الرازي فنظر إلى السؤال من ثلاثة وجوه؛ من حيث هو سؤال عن ذات الله عز وجل، ثم من حيث هو سؤال عن صفاته، وأخيرا من حيث هو سؤال عن أفعاله. فالسؤال عن ذاته سؤال وجودي يتعلق بالماهيات وقرب الخالق منها. وهو بهذه الصفة قريب، ذلك أنه الموجد والخالق، والحقيقة التي لا تقبل النقض، والواحد الذي تدل عليه الكثرة. والسؤال عن صفاته متعلق بسمعه وبصره وسائر صفاته المخبرة عن كماله؛ فهو أيضا قريب لطيف قيوم عليم. وأما أفعاله فنتيجة لما سبق لاقتران التصريح عن الإجابة بالقرب "فإني قريب أجيب"....

أما القشيري فرأى في الآية وجه تكليف ووجه تعريف. فالتعريف في قوله "أجيب دعوة الداع" والتكليف في قوله "فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي" وقد قدم الله سبحانه وتعالى التعريف على التكليف ترغيبا لعباده بالطاعة، وتفضلا عليهم بتأكيد النتيجة قبل ذكر

المقدمة... وفي هذا لطيفة عميقة الدلالة نفسيا وبلاغيا....

فسبحان من لا تنقضي عجائبه، ولا تخلق نفائس كتابه....

‘‘‘

#شؤون_قرآنية

أعظم شهادة

"شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم".... آل عمران ١٨

تلك أعظم شهادة لأنها من ذات الحق، فهي "شهادة الحق للحق بأنه الحق"... القشيري. ثم إنها مشفوعة بشهادة الصفوة من أوليائه من الملائكة والمقربين. وقد شهد الله سبحانه وتعالى هذه الشهادة بالخطاب المباشر الوارد في كتبه وعلى ألسنة رسله. وبثها كذلك في تفاصيل ملكوته المعجز؛ فآياته ناطقة في محكم تنزيله، وتفاصيل خلقه مرشدة إلى نفس الحقيقة. والكون كتاب الله المنظور الهادي إليه بالعبرة والتفكر والذكر. وفي نور كل معرفة قبس منه، وكل فكرة إنما تؤول إليه، وما شهد العارفون غيره، ولا اطمأنت القلوب إلا إليه.

أما قيوميته ففي لب شهادته إن كانت كلمة "قائما" في الآية حالا لفاعل الفعل شهد. أو أنها صفة للنفي فيكون تقدير الكلام "لا إله قائما بالقسط إلا هو" أو تفصيل وتأكيد إن عُدت حالا للضمير

"هو" العائد على ذات الله والوارد قبل كلمة الملائكة....

ولله في كل تحريكةٍ،،،،، وفي كل تسكينةٍ شاهدُ

وفي كل شيء له آية،،،،، تدل عل أنه الواحدُ

وحّدوه

،،،

#شؤون_قرآنية

مفاتح

"وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين" الأنعام ٥٩

في هذه الآية لطيفة تتعلق بالمعنى المزدوج الذي تؤدي إليه كلمة مفاتح؛ فهي إما جمع لكلمة "مَفتح" بفتح الميم، وتعني في هذه الحالة خزائن الغيب التي تحمل مكونات الأسرار. وإما أنها جمع لكلمة "مِفتح" بكسر الميم فيكون المقصود بها المفاتيح؛ أي الوسائل التي يُتوصل بها إلى معرفة الغيب. وأغلب الظن أن المعنى هنا مزيج من كلا الحالتين؛ فخزائن الغيب عنده منذ الأزل، ووسائل بلوغها بيده إن شاء أطلع المخصوصين من عباده عليها، وإن شاء استأثر بها لنفسه.

ويرى أهل الكلام مثل الفخر الرازي أن علم الله بخزائن الغيب إنما هو علمه بنفسه جل وعلا. فهو الموجد، والعلة الأولى التي نشأت عنها جميع الممكنات، وامتنعت بمشيئتها ممكنات أخر. فعلمه بنفسه إحاطة بكل الأحوال؛ فهو الذي يعلم ما كان وما يكون، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون. وما تكملة الآية عن البر والبحر والورقة والحبة والرطب واليابس إلا تفاصيل من أجل تقريب المعنى للأذهان.

ويحسن بنا أن نتذكر هنا أن علم الله بخزائن الغيب وبمفاتيحه ليس مدعاة لتواكل الإنسان أو ركونه إلى الغيبيات التي لا تنتمي إلى واقعه. فإن مفاتيح الغيب هي مجال المعرفة التي يسعى إليها الإنسان بقلبه أولا، وهذا مناط الإيمان، وبحسه وعقله ثانيا، وهذان مناط العلم التجريبي بكافة فتوحاته؛ فإن السماء لا تمطر ذهبا، والله لا يمنح أسراره للمتواكلين. فإن امتزجت إشراقات قلبه بعلوم حسه وعقله كان خليفة الله في أرضه، يعمرها ويقيم منهجه عليها....

ذاك هو الإسلام كما يجدر بنا أن نفهمه.

‘‘‘

#شؤون_قرآنية

بلاغة

حرف الفاء في الآية الكريمة "... فطوَّعَت له نفسُه قتلَ أخيه فأصبحَ من الخاسرين" شكّل بالنسبة لي معضلة؛ ذلك أنّ الفاء تفيد التعاقب السريع، على العكس من (ثمَّ) التي تفيد التراخي. وهذا التعاقب السريع يتنافى مع فعل التطويع، الذي هو عمل قائم على تكرار المحاولة، بسوق المبررات مرة بعد أخرى وزمنا بعد زمن، وعلى صراع النفس بين إقدام وإحجام. فلماذا كانت (ف) ولم تكن (ثمَّ)؟؟؟

لعلنا أمام احتمالين؛ الأول أن القتل لا يتم إلا في غياب العقل غيابا تاما يمنع التفكير ويشل القدرة على التمييز. أي أنه قتل غضبي، حيواني بمعنى من المعاني. وفي هذه الحالة يكون الإقدام عليه غاية في البساطة والاستهتار. عندئذ يكون التطويع مجرد شرارة ألهبت صدر القاتل فأقدم على فعلته النكراء وباء بالخسران المبين...

القتل إذن ضعف في القاتل، وسفاهة في عقله ونزول به عن مرتبة الأنسانية...

الاحتمال الثاني أن الآية القرآنية التي تتحدث إلينا من خارج الزمن الذي وقعت فيه الحادثة؛ تختصر ما لا يضيف جديدا في تسلسل الأحداث، فتدمج لحظتين متباعدتين زمنيا لتجعل منهما

مشهدا متصلا، وعندئذ يبدو الأمر للمشاهد المستمع بلا فواصل زمنية، وتكون العبرة أوقع في النفس وأشد تأثيراً...

أي أن المستمع هنا في مركز الخطاب وفي بؤرة الاهتمام. ومن زمنه تنطلق الخيوط فترمي بصرها إلى البعيد لترى منه ملامحه الكبيرة وتتجاوز عن التفاصيل...

إنها بلاغة تتجاوز ضروريات اللغة وتقاليد الكلام، لتصنع من الحقيقة نفسها؛ أي من الحدث المروي، نسخا جديدة مُشَكَّلَةً ومعجونةً بطريقة مختلفة، لكنها حقيقة لم تخسر من قيمتها شيئا...

‘‘‘

#شؤون_قرآنية

حياة

"يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون** واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب" الأنفال ٢٤-٢٥

الاستجابة تختلف عن الإجابة؛ ففيها فضل ترقب واهتمام وعزم ومراعاة للتفاصيل؛ هكذا رأى معظم المفسرين من أهل السنة وأهل الكلام مثل الطبري ومحمد رشيد رضا والفخر الرازي والشيخ الشعراوي. أما أهل العرفان مثل القشيري فذهبوا

إلى أن الاستجابة حالة طوعية ليس فيها إكراه أو خوف أو طمع. وعند مقارنة التفسيرين نخلص إلى أنهما لا يتعارضان بالضرورة؛ فمفسرو أهل السنة وأهل الكلام وصفوا آلية الاستجابة حين ورود الأمر، أما أهل العرفان فوصفوا الحالة النفسية للمؤمن حال تفاعله مع الأمر الوارد إليه.

لكن، ما هي علة الأمر الوارد من الله؟ تفسر الآيات نفسها بنفسها فتذكر أن الأمر دعوة لما يحيي المؤمنين. وقد حُمل هذا المعنى على مترادفات تؤدي إلى نفس النتيجة. فمن المفسرين من قال أنه الإسلام، ومنهم من قال أنه القرآن، وذهب بعضهم إلى أنه الجهاد، وقال آخرون أنه الحق. ولو أردنا أن نجمع كل التفسيرات على معنى واحد لقلنا أنه الحق بالذات؛ فكل ما ذُكر قبله يؤول إليه، فهو الوصف العام، وما سواه من إسلام أو قرآن أو جهاد إنما هي بعض تجلياته.

إن الإنسان يحيا بالحق؛ فإن أعرض عن الحق تخلى عن جوهر حياته. لذلك أردف الله سبحانه وتعالى الخطاب بإعلام المؤمنين أن الله يحول بين المرء وقلبه. وأي حائل أعظم من بزوغ الحق ثم يصر الإنسان على ما يعاكسه، وأن يظهر الإجرام وتكثر الدناءة ثم يجد لها الإنسان من المسوغات ما لا يقبله ذوق سليم. فالقلب هو سر الحياة. والقلب كذلك آلة النماء والتطور، لذلك وافق معظم المفسرين ما ذهب إليه مجاهد من أن المقصود بالقلب هنا هو العقل والفهم؛ فكأنما تعطيل العقل أيضا اعتداء على الحياة.

وكأنما قبول الإجرام غياب للعقل. يستوي في ذلك أن يكون المرء مؤمنا أو غير مؤمن لأن الآية جعلت خطابها للمؤمنين خاصة، فنبهتهم إلى مواطن الزلل التي سيقع بعضهم فيها، وأدرجتهم ضمن أولئك الذين قد يُحال بينهم وبين قلوبهم إن هم عطلوا العقل وحاربوا الحياة، واستسهلوا الرضوخ، وسكتوا عن الحق، وأعانوا الظالمين، وكانوا بعضا من جند الطغيان.

هل يفسر هذا أن طوائف عريضة ممن هم داخلون في دائرة المؤمنين قد وقفوا مواقف تتناقض مع الحق ومع الحياة وتغاضت عن أكبر جرائم عصرنا هذا؟ ربما الأمر كذلك؛ فهي فتنة حذرنا الله منها في الآية الثانية، وأمرنا باتقاء شرها.....

إنما يعرف الرجال بالحق

‘‘‘

#بنات_الفلسفة

الحداثة

فرضت الحداثة نفسها كمنجز إنساني شكل ملامح البشر ونظم علاقاتهم ببعضهم. بدأت القصة منذ زمن بعيد، من قبل الثورة العلمية بقرون. كانت هناك إرهاصات تناقش وسائل المعرفة البشرية. بعض الناس وثقوا بالعقل التجريدي، وآخرون لجأوا إلى الغيبيات. غير أن كلا الوسيلتين لم تنجح بدفع الحضارة البشرية دفعة قوية إلى الأمام. عانى البشر طويلا من الظلم، وخضعوا لمن

يفتش في نواياهم، وحكم أشخاص باسم الآلهة، وبقيت الأمزجة والتهويمات والرؤى الشخصية هي المسيطرة على عالم البشر وعلى مصائرهم.

فلما قرر الإنسان أن يثور على ماضيه وجد أنه لا سبيل أمامه لإحقاق حق أو إبطال باطل سوى أن يمتلك من الوسائل ما يمكنه من ضبط الأمور وقياسها قياسا سليما. كانت تلك هي الشرارة التي انبثق منها عصر النهضة أو عصر العلم التجريبي. صار الواقع هو المهيمن على مفهوم الصدق والكذب، فكانت نتيجة ذلك عقلانية حلقت في سماء الضبط والدقة والقياس. وانعكست على كل ملامح الحياة. ففي العلوم صار للكميات وحدات قياس عالمية، وللزمان والمكان مراجع مضبوطة بدقة. في الهندسة والطب والجيولوجيا والفيزياء والإدارة، بل في كل نشاط بشري قائم، أصبح هناك لغة كونية تسهل التفاهم بين البشر وتمكنهم من أداء أعمالهم بدقة.

يجري الأطباء عمليات في عمان مثلا، ويشاركهم أطباء آخرون نفس العملية عبر الشاشات وهم يجلسون في واشنطن. يتحدث مهندس كوري مع مهندس إيطالي بلغة هندسية لا يختلفان على حرف من حروفها. يتحدث الطيارون إلى أبراج المطارات بلغة موحدة، وهكذا هو الأمر في كل شأن من شؤون الحياة.

هذه الظاهرة هي ما يمكن تسميتها بالحداثة. فالحداثة هي العقلانية والضبط، فلا صدفة ولا غيبيات، بل هي مقاييس معتمدة لا يختلف عليها اثنان من البشر.

غير أن الحداثة لم تطل العلوم فقط، فهناك حداثة سياسية بدأت في عصر الثورات. الثورة الإنجليزية ١٦٨٠، والثورة الأمريكية ١٧٧٦، والثورة الفرنسية ١٧٨٩. هذه الحداثة السياسية أفرزت ما نتحدث عنه اليوم من مفاهيم يقوم عليها بنيان الدول، كالديموقراطية والمواطنة والدولة المدنية وحقوق الإنسان. ولو تمعنا في هذه المفاهيم لوجدناها مجرد أدوات قياس هي الأخرى. فالمجالس التشريعية والسلطات المتقابلة المفصولة عن بعضها، كلها وسائل تقييم وضبط، بل وسائل وضوح تهدف إلى وضع الأمور في نصابها. خذوا مفهوم المواطنة مثلا، وانظروا كم هو دقيق في تعريفاته بحيث لا يحتمل اللبس، فالمواطنة واقع قانوني وليست خطبا رنانة أو أصولا بعيدة أو سوى ذلك مما هو داخل في مجال النوايا ولا يشكل سندا يمكن الاعتماد عليه لمعرفة الصدق والخيرية من عدمهما.

وطالت الحداثة كل شيء آخر، المجال القانوني والفن والإدارة والاقتصاد واللاهوت، فكانت كلا متكاملا لا يمكن فصل جزء منه عن الآخر. لهذا السبب يجدر بمن ينبري للدفاع عن العلوم أن يكون حداثيا في جوانب حياته الأخرى. فلا يتغاضى عن التخلف السياسي، أو يرضى بانتهاكات القانون، أو يعيش مطبلا ومزمرا لحكام متألهين، أو يرى الدولة عشيرة متنفذة وتنفيعات، أو يكون جزءا من نظام يقوم على كبت الحريات وتكميم الأفواه. من يفعل هذا يكن متناقضا، بل دجالا كبيرا يتشدق بأشياء ويفعل في حياته أشياء أخرى.

للأسف، نحن نسبح وسط محيط من هؤلاء الدجالين، الذين يهرفون بما لا يعرفون، ويغطون غاياتهم بكلام معسول عن علم لا يعرفون عن أصوله شيئا.....

‘‘‘

#بنات_الفلسفة

الإعدام كراهة للقاتل والمقتول

(من نقاش على عزت بيغوفيتش لنفس الفكرة)

يخطئ كثيراً من يربط العقوبة بصفتها الرادعة فقط؛ فإن شأنها أهمُّ من ذلك بكثير....

في القانون فلسفتان؛ واحدة تبتغي العدالة، وأخرى تبتغي حماية المجتمع. وحول هاتين الفلسفتين، جمعا وتفريقا، دارت عجلة القانون منذ أيام البابليين، فالإغريق، فالرومان، وصولا إلى زمننا المعاصر....

والفرق بين الفلسفتين أن واحدة منهما إنسانية للغاية بينما الأخرى مادية جامدة. ولعل مفاجأة المفاجآت أن تعلموا أن فلسفة العدالة التي تقوم على مبدأ القصاص (العين بالعين والسن بالسن والقاتل يُقتل والجزاء من جنس العمل) هي الفلسفة الإنسانية الخالصة، بينما الأخرى مادية نفعية تضع الإنسان في مرتبة دون مرتبته الحقيقية.

فلسفة القصاص تحترم الإنسان إذ تحاسبه كشخص عاقل، حر الإرادة، وله قصد وراء اختياراته. إنها تجعل الإثم بشرياً بذات الدرجة التي تجعل فيها الخير بشريا أيضاً. وتحوم أحكامها حول النية في اقتراف الجرم، فقاتل العمد يُقتَل وقاتل الخطأ يُسامح. وربما كان مبدأ القصاص إمعانا في تأكيد المسؤولية البشرية، وتنبيها على تفرد هذا الكائن بصفات الحرية والرشد. وللفيلسوف هيجل قول مشهور يقرر فيه أن "العقوبة نفي للإثم" فهي إحقاق للعدالة، ومبدأ يُبتغى في حد ذاته، سواء أدى ذلك إلى الردع أو لم يؤدِ إليه....

أما الفلسفة الثانية فهي تتجاهل كل ما سبق وتجعل القانون تابعا للمصلحة . ولعلكم تعلمون أن المصلحة دائما هي مصلحة الأقوى كشخص حاكم أو كنظام شمولي أو كفئة متنفذة أو كطبقة مسيطرة. والأخطر من ذلك أنها مزاجية؛ فهي في سعيها لحماية (المجتمع/ المصلحة) قد توقع العقوبة على من لا يستحق. هل سمعتم عن عمليات التطهير في سيبيريا، أو عن اغتيالات الرفاق، أو عن التضخم الرأسمالي الذي أكل الطبقات الدنيا بأخضرها ويابسها. كل هذا جرى باسم القانون، وفي دول جردت الإنسان من مسؤولياته الأخلاقية والأدبية، فكان تابعا، وكان شيئا، وكان مجرد ورقة في مهب الريح يصنعها الصراع الطبقي، دون أدنى اعتبار لكرامته وقيمته التي أُودعت في عقله وقدرته على الاختيار.

القانون يحمي حقوق الضعفاء، ومن أهم حقوقهم أن ينالوا العدالة. والعدالة تعني أن يقع على مقترف الجريمة ما وقع على الضحية؛ بالتمام والكمال. أما الحقوق الشمولية التي تذيب شخصية الفرد في المجتمع فهي مجرد حقوق "عضو في الطبقة الوسطى"..... كارل ماركس. فأين مشاعره وخلجاته وأفكاره واختياراته؟؟ أو أنها هراء وميتافيزيقيا باردة (هكذا وصف هؤلاء الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان).

مقترف الجريمة ليس حجرا سقط بفعل الجاذبية الأرضية على رأس رجل فقتله، ولا سيارة جامحة أودت بحياة ركابها. الإنسان معقد أكثر مما تستطيع وصفه قوانين علم الاجتماع أو استشرافات علماء النفس. المجرم إنسان فكّر وقدّر واختار بملء إرادته فأوقع الأذى على الضحية. إنه إنسان، ومن تكريمه أن يعاقب كإنسان لا أن يكون في نظر التشريع فاقدا لأهليته كذئب تحركه الغريزة، أو ماء يجري في نهر لم يرسم الماء مجراه....

اقرأوا الآية الكريمة "ولكم في القِصاص حياةٌ يا أولي الألباب لعلكم تتقون"... اقرأوها وتوقفوا عند كلمة الألباب؛ فهي سر الموضوع كله....

‘‘‘

#إنسانيات

المعرفة

اعلما، يا طالب وطالبة المعرفة، أن هذا الدرب محفوف بالآلام، وربما اعترضكما فيه ما يؤدي بكما إلى الوحشة من الخلق، والاغتراب عن الأهل، والاكتئاب لأيسر سبب....

إن المعرفة جسد وروح، أو قشر ولب؛ فقشرها ما تتقوم به الدنيا من أسباب ظاهرة في الطبيعة والأجساد وسائر الأشياء، ولبها ما يصل بك إلى الحكمة من وراء الأسباب، فتراها في ديمومتها لا في انقطاعها، وفي وحدتها لا في كثرتها، وفي قصدها لا في عشوائيتها. ولقد ذكر أبو حامد الغزالي شيئا من هذا في "معراج السالكين" فشبّه الكون بجسد الإنسان؛ النفس تسري فيه وتبث في أرجائه الحياة. إن للكون نفسا تحركه وتعدل طبائعه وتمنحه الإحساس وتكلّفه وتعرّفه وترسل فيه الرسل حاملين للرسالات ومؤيدين بالكتب. والقابض على لب المعرفة كالقابض على سراب الأمنيات، فليس حظكما منها إلا السعي وراء السعي مهما امتدت بكما الآباد واشتعلت فيكما دواعي الاشتياق.

ولا تستغربا من قولي أن للكون نفسا؛ فبعض ما نعرفه من النفس أنها شعور يثمر إرادة، وإن ما نراه في الحوادث هو إرادة واحدة متصلة تتحرك على حامل يفصل أجزاءها اسمه الزمن. والكلام بعد ذلك مزلة، فإن أشرق عليكما شعاع نور يتجاوز هذا

الفهم فاجتهدا في كتمانه لأن العبارة لن تسعف المعرفة، وسوف تُظَن بكما الظنون، وأقلها أنكما بعض من معاتيه الناس. ولقد حاول كثيرون ارتقاء هذه المزلة فارتدوا خائبين؛ ذلك أن شؤون الأبدية ليست من شؤون المواقيت، واختفاء الزمان من الوجود وعي محض لا يمكن تخيله. والتفكر في الغاية ربما يؤدي إلى إنكارها، تارة بادعاء العشوائية، وتارة بادعاء ما يسمو عليها من قدرة خلاقة لا يمكن توقع مآلاتها كما ادعى هنري بيرغسون في "التطور الخالق".

فحاولا أن تظفرا بالأنس، واجتهدا بفهم الأسباب المادية فهما شموليا يخرج بكما عن دواعي الشره والنكران. وتذكرا أن المعرفة الحقيقية تخص بإشراقاتها ما صفا من النفوس. وهذا طريقه أمران: التخلية والتحلية. فالتخلية أن تتخليا عن الصفات الذميمة من غرور وطمع وشره وسوء ظن وكره وانانية. والتحلية أن تتحليا بالمكارم من نبل وحب وعطف وقناعة وصدق وشهامة. ولن يكون هذا يسيرا لكنه ممكن، فالقلب وعاء، ولن يتحلى حتى يتخلى. فإن كنتما من أهل السعادة وصدقتما الوعد حصل الأنس في قلوبكما فاستشعرتما ثمرته في التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود. عندئذ يحصل الشوق، وتحبان اللقاء، وتستعجلانه.....

‘‘‘

#إنسانيات

علمانيون

قرأتُ لعلمانيين كثر، وبعضهم ترك فيَّ أثرا بيّنا لجمال أفكارهم وعمق ما يطرحون. على رأس القائمة نصر حامد أبو زيد، محمد أركون، محمد عابد الجابري، جورج طرابيشي وآخرون، أما محمد شحرور فلم آخذه حتى هذه اللحظة مأخذا جديا. الشيء الذي كنت أبحث عنه عند كل واحد من هؤلاء هو القدرة على استنطاق النصوص وتأويلها، ذلك أن النص الديني نص فائق المواهب، على أن يلج إليه ذهن حصيف وقلب خالٍ من نوازع البغضاء....

بهذه المخرجات لم أجد في نفسي تناقضا بين علمانية رشيدة وإيمان توحيدي عميق. تعايش في داخلي منهج نصر أبو زيد التأريخي مع صوفية ابن القيم في مدارج السالكين. لم أغضب من "التفكيك" ولا "الديالكتيك" ولا استفزني أن يكون النص القرآني مخلوقا من حيث هو كلام يسري في عالم البشر، ووجدت شبها عجيبا بين أبي حامد الغزالي وديفيد هيوم. أعجبني أن يُقرأ القرآن الكريم بمنهجين؛ ديني ودنيوي، ولا بأس خلال هذا إن استُنطق القرآن بعيدا عن هموم الآخرة. تعلمت من مالك بن نبي أن "الصالحون" في الآية الكريمة "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون" هم أهل الصلاح التقني لأنهم أولى بإعمار الأرض. وبناء على نفس الفكرة سمحت لنفسي أن

أعزو الأجر والعمل في "إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا" إلى معنى دنيوي خالص؛ عمل عضلي أو فكري يقابله أجر دنيوي؛ فللدنيا نصيبها من إيماننا، ولها كذلك قوانينها التي لا يتجاهلها إلا أحمق....

لماذا أقول هذه الأشياء؛ لأنني ببساطة أمقت المكاره الفكرية، وتستفزني البلادة، وأحتقر الإنسان الذي يتخلى عن شخصيته. والأشياء الثلاثة السابقة يقدمها لك بعضهم على طبق من دناءة. يحتقرون المجتمع ولا ينتقدونه؛ هذا وجه المكرهة الفكرية. يقدمون لك حلولا جاهزة؛ هذا هو وجه البلادة. يأمرونك بالتغريب ويمارسونه ويتعالون عليك إذا لم تمارسه، يتحدثون بعربية بليغة ليهدموا كل شيء له علاقة بالعرب، يظنون الأمور تأتي "بالساهل" فما هو إلا أن نسلمهم مفاتيح عقولنا لنغرق معهم في استكلابهم وضياعهم الذي يسمونه "تنويرا"،،،، (تنوير استكلابي) هذا هو وجه التخلي عن الشخصية والذوبان في الحالة الاستكلابية المزمنة....

بعض العلمانيين المحدثين يمارسون أعتى وأعته أنواع الهمجية الفكرية. لديهم أفكار بلا فكر. إنهم مشاريع طغاة وأشخاص متوحشون في ثياب أنيقة. هؤلاء لا يصلحون أن يكونوا أدوات حضارية؛ فللحضارة شروطها الدنيوية بالطبع، وعلى رأسها أن تكون لك شخصية ترسم لك مسارك الحضاري...

صدقوني، سترحلون وتموتون غير مأسوف عليكم....

،،،

#في_قراءة_الواقع

كيف نقرأ التاريخ

عاش ابن الراوندي والحلاج في زمان واحد ومكان واحد. الأول كان ملحدا كبيرا، وله مؤلفات ضخمة في نقض عقيدة الإسلام. أما الثاني فكان شيخا صوفيا ذا شطحات. فلما ضاقت السلطة السياسية بذي الشطحات صلبته. وتركت الملحد وشأنه حتى مات موتة ربه، إذ لم يكن في مؤلفاته ولا خطبه الإلحادية التي اعتاد أن يلقيها على الناس في أسواق بغداد ما يهدد السلطة وزبانيتها من شرطة العقائد.....

اليوم، ما زلنا نقرأ التاريخ بعين عوراء، ونظن أن قتل الحلاج كان حدا شرعيا بريئا من دنس السلطة المستبدة. هكذا يقرأ الغافلون الأحداث، يقرأونها بأمانيهم فينثرون على رؤوس الناس لآلىء الغفلة....

‘‘‘

#في_قراءة_الواقع

فلسطين

كل يتاجر بفلسطين باحثا عن موطئ قدم لنفسه في هذا العالم المأساوي....

من ملكيات وأنصاف ملكيات وجمهوريات وقوى معارضة وقيادات (نضالية)، وصولا إلى الحالة (الإنسانوية) التي هي آخر تجليات هذه التجارة الرابحة....

ممنوع على الفلسطيني أن يستخدم سكينا، لكن لا بأس أن يستقبل في صدره أو في رأس ابنه رصاصة صغيرة بحجم حبة البندق. يُلام صاحب الحق إذا أحس بالمهانة، وعليه بحسب هؤلاء أن يتحول إلى عقل محض، يناقش على مائدة بُسطَت من دم أطفاله جدوى المقاومة، والوسيلة الأنجع للتعبير عن غضبه الهاديء الرزين.

بعض (الإنسانوية) تجسيد لسقوط الإنسانية؛ لأنها تجارة ورقص على جراح الآخرين...

ولأصحاب النوايا الحسنة نقول: العقل في عالم البشر وسيلة كي يصلوا بمركبهم إلى شاطئ الأمان ذي الضفاف الثلاث؛ الحق والخير والجمال. فإن عُدمت هذه الثلاث فلا خير في عقل ولا في إنسانية....

‘‘‘

#في_قراءة_الواقع

فوضى

يحدثُ كثيراً في بلاد الكذب الجارف والجهالة المستعلية والوضاعة الفاجرة أن تتحطم أحلام الرجال الحكماء على ثالوث الكذب والجهالة والوضاعة، ثم لا يجدوا مفراً إلا الإقرار بأن ما رسخ من طبائع الناس وسنن الأحداث أقوى من أن تناطحه الحكمة برأسها العاري ويديها المقيدتين....

في هذه البلاد ينتشر داء الفوضى التي هي شيء آخر غير الهرج والمرج وما يغشى المجتمعات في أوقات البلايا. الفوضى تعني في حالتنا هذه أن لا يكون في شؤون الناس نظام من أساسه؛ أي أن يحيا المجتمع و(يدير) حياته بأسلوب الارتجال وردود الأفعال، وما يتيسر له من يقينيات مشوَّشة، أو يُحشى في دماغه من أفكار بائسة، أو يستخرج من قاع نفسه من صفات بدائية مظلمة....

الفوضى تعني أن لا تجد خطة من أي نوع، وإنما هي محض تهويمات كلامية لا تسمن ولا تغني، بل إنها تفاقم حالة البؤس وتقود الناس إلى الهلاك بمعناه المادي والمعنوي....

للحديث تفاصيل كثيرة....

‘‘‘

#في_معضلة_الثقافة

حدث ولا حرج

لا بد أن لدى تلك السيدة الجميلة كما كبيرا جدا من الطاقة الفائضة التي تجعلها دائمة الانشغال بحوالي ألف مليون قضية من القضايا التي تندرج تحت بند المثاليات. ولها جَلَد عجيب على ترداد ما يقوله الآخرون الذين يتبنون مثالياتها. وتستطيع أيضا أن تعري الخصوم بمجرد النظر إليهم من شاهق مثالياتها...

تلك السيدة الجميلة صفيقة كصفاقة إله إغريقي يبذر الشر في الأرض ثم يحلق إلى السماء بجناحيه الأبيضين الرقيقين....

أما النسخة الذكورية من تلك السيدة الجميلة التي لديها كم كبير جدا من الطاقة الفائضة فمشغول بتمثاله الجديد. إنه يضع التفاصيل النهائية لشكل مناطق التمثال الحساسة. وسيفرغ بعد ذلك لتوقيع كتابه الجديد "القول الرزين في كشف خرافة الحور العين"....

والمثقف الزبال يتحول إلى كانس قمامة... بعد حين يبني محرقة تساعده على التخلص من القذارة المتراكمة....

هذا النوع من المثقفين بحاجة إلى أقرب مستشفى مجانين كي لا يملأ العالم بالمحارق.

على كل حال، هذه الأرض تصلح، فقط، لإشعال الحرائق الكبيرة. كلُّ قلب فيها عودُ ثقاب ورئاتُ أهلها طافحة بالغازات

السامة. إن تكلمتَ كنتَ أول المحترقين، وإن لذتَ بالصمت اختنقتَ بما حقنوك به من سموم....

‘‘‘

#وجدانيات

لكنهم عبادي

كان نبي الله داوود عليه السلام يغلّب جانب العقوبة تجاه أعدائه على جانب العفو. ولذلك عدة أسباب نستطيع تخمين بعضها: منها أنه كان محاربا شرسا بدليل قتله جالوت وهو ،أي داوود، ما يزال مراهقا لم يشتد ساعده بعد. ومنها كذلك أنه عنيد ولا يترك أمرا صعبا حتى يتمه، لذلك قال الله فيه: "وألنا له الحديد". وربما كان منها أيضا أنه شخصية انقباضية تكتم عاطفتها فإذا انفجرت هذه العاطفة جاءت مثل السيل الجارف، وكانت صادقة ونقية؛ لذلك أوبت المخلوقات معه من جمال صوته وعمق إحساسه حين مناجاة ربه.

فلما بنى داوود بيته المقدس تهدم البيت بعد البناء مباشرة، فأعاد الكرّة فتهدم البيت ثانية، وأعادها وأعادها فكانت النتيجة نفسها في كل مرة. عندئذ شكا إلى ربه ما يجده فأوحى الله إليه أن بنيان هذا البيت لا يقوم على يدي من يسفك دماء الناس بدلا من أن يرحمهم. فتضرع داوود لربه أنه إنما سفك الدم في سبيله؛ فأجابه الله: نعم، ولكنهم عبادي.....

فتأملوا في رحمة الله بعباده، واهجروا رجلين: رجلا ينصب نفسه ناطقا رسميا نيابة عن الله، فيصطاد في أحزان الناس، ويتنطع كي يخبرنا متى تكون رحمة الله ومتى يكون عفوه. ورجلا يسفك دماء البشر تحت ذرائع كاذبة، وهو يفعل ذلك من أجل كرسي حكمه. (حاشا لداوود عليه السلام أن يكون من هؤلاء، وإنما الشيء بالشيء يذكر)

واهجروا كذلك من يلزمهما أو يبرر لهما فإنما ميزان الحق في هذه الدنيا دم الإنسان.....

‘‘‘

#وجدانيات

خطر

في اللغة أشياء عجيبة تكشف البنية النفسية التي لا نعرفها. من ذلك أن كل حركة للتفكير في لغتنا مقرونة بالخطر؛ فنقول جاءتني "خواطر"، أو "خطر" في بالي، أو تلك "خطرة" راودتني، وكثير من الاشتقاقات المشابهة.....

هذه مجرد إضاءة لا أكثر، لكنها محفوفة بالآلام، ولكم القرار عزيزي وعزيزتي. فإما أن تسلكوا سبل السلام وتجتروا كل القوالب الآمنة، أو تقرروا تشغيل هذا الشيء الثاوي في رؤوسكم، فتفكروا وتقتحموا الخطر....

طوبى لكم إن قررتم المخاطرة، وليحفظكم قدس الأقداس مع الشهداء والأفذاذ من بني البشر.

‘‘‘

#وجدانيات

اليقين

هل اليقين اكتساب يناله الإنسان بمجاهدة نفسه وسوقها إلى حيث يحسن ظنه؟ أم هو هبة الألطاف إليه فيرتقي بها من سِلم إلى تسليم إلى إسلام؟

ربما هو هذا وذاك، وللموهوبين نصيب أوفر من السعادة. غير أن اليقين مرحلة أعلى من الشعور؛ لعلها حضور أو عصمة، فاكتمال يدرأ عنك الأذى فيدفعه إلى حيث يتلقاه الذين تعلقت بالوهم قلوبهم.

إنها دار ابتلاء، وليس لك بدٌ من زلزلاتها فاحفظ نفسك بالذكر الذي يتخلل كيانك، وصنها بالقرب، وابرأ إلى الله من أكدار البشر.

دامت عافيتكم ويسر الله لكم أسباب الطمأنينة

‘‘‘

#وجدانيات

الابتراء طاعة المحبين.... النفري

تعرف أنك تلميذ في مدرسة أحدهم حين يقول في جملة واحدة ما لا تستطيع أنت قوله في مئة صفحة. هي إلهامات تشرق على قلوب العارفين، لكنها لا تغير القاعدة الأساسية؛ فإن تكثيف المعاني في

عبارات قصيرة موهبةٌ لا يستطيعها أي أحد، وكثرة الكلام ليست علامة على علم أو معرفة. شيء من هذا القبيل عبر عنه غوته حين كتب في أحد المرات رسالة إلى صديقه قائلا له: سأكتب لك رسالة طويلة لأنني لا أمتلك الوقت الكافي لكتابة رسالة قصيرة، فاعذرني هذه المرة يا صديقي....

نعود إلى عبارة النفري الرشيقة التي أجملت في ثلاث كلمات قاعدة أساسية من قواعد الحب. إنها المبادرة إلى رضا المحبوب، وتلمس حاجاته ورغباته قبل أن يطلبها. إن ابتداءك حبيبك بما يسره يعني انشغالك بأمره في كل ساعات حياتك. وإنك حين تهب الحبيب فكرك تكون وهبته أثمن ما تملك، وذللت له كل ما قد يحول بينه وبين أمانيه. والمحب يطوي من أجل حبيبه الزمان والمكان، بل يلغيهما؛ فالحب كما تصوره كيركجارد وله كامل الحق في ذلك: معدن من معادن الأبدية وعبء على الزمان الأرضي. والإنسان المحب يلاقي السكينة إذا أحال حبه إلى الأبدية.

ولعلكم تعلمون أن أدوم حب هو ما عبر عن نفسه بهذه الصفة. الحب في حالة البشر تضحية من أجل المحبوب، ولا توجد هذه التضحية التي تبادر إلى رضا محبوبها إلا نادرا. توجد فقط عند الآباء والأمهات وعند الأفذاذ النوادر من العشاق.

أما هناك حيث النور الأبدي، وحيث ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فالحب هو كل شيء، وحبيبك

يبادرك بحاجاتك وخواطرك لأنه دائما، هنا وهناك، أقرب إليك من حبل الوريد.

‘‘‘

#شؤون_شخصية

قمر العشاق

ضحك عليَّ الفيسبوك هذه الليلة. أخبرني عن قمر لافت في السماء يسمونه "قمر العشاق" أو "قمر الحصادين". صدقتُهُ وخرجتُ من فوري إلى القمر المزعوم فلم أجد فيه شيئا مختلفا. إنه قمر عادي يدور دورته القديمة، وسيخفت نوره بعد يومين أو ثلاثة.....

الشيء المهم أنني لم أشعر بخيبة أمل من القمر الذي أخبرني عنه الفيسبوك؛ فلكل قمر طريقته في الخداع، ولهذه النفس جَلَدٌ على قبول الخيبات وانتظار سماء جديدة يظهر فيها قمرٌ بمستوى الأشواق....

‘‘‘

#شؤون_شخصية

المجد

أصارحكم؛ ما زلت منذ وعيت الدنيا أسعى للمجد، ومجدي محفوف بالمشقات: لا تسأل أحدا شيئا، لا تَطعم خبزا مرا، لا تغصب حقا، لا تكظم نورا أشرق في صدرك، لا تمنع عقلك من فكرة. لا تكن إمعة، ولا يستعبدك ذو سلطة، ولا تمنِ نفسك بما تدفع ثمنه من كرامتك. واترك فيها أثرا يبقى بعدك، فإذا خرجت منها فكن من الذين يخرجون من طيب إلى أطيب منه....

وإن مررتَ ببعض أكابرها فانظر إن دفعوا ثمنا من هوان نفوسهم. وجسَّ نبضهم هل يتخبطون بلا قرار. وافحص ضمائرهم، وزن بضاعة عقولهم. فإذا أدركت أنهم فانون بلا ذكرى، وفارغون بلا معنى، وأنهم عبيد ما لا يبقى، فابصق عليهم وامضِ آمنا في طريقك....

هذا النوع من المجد لا يلزمك.

‘‘‘

#شؤون_شخصية

نِعَم اللّهَ

أن يكون لك من يومك صباح هادئ تُلاعب فيه أطفالك قبل ذهابهم إلى المدرسة، ثم تستمع إلى فيروز بينما أنت تعدّ لنفسك إفطارا مستعجلا، تلك نعمة من نعم الله التي أبقاها لك بينما العالم يحترق غير بعيد عنك....

أن يصحو أبواك ليبتهلا إلى الله بأن ينير دربك كل يوم، وأن تستقبلك زوجة محبة بابتسامة نابعة من قلبها حين عودتك من عملك. أن يكون لك زملاء بشوشون يضربون مثلك في الأرض طلبا لرزق أطفالهم. أن تبحث المقادير عن إسعادك، وأن تتم عليك ما يكفيك بعضه، وأن يبقى عليك عقلك فتفكر بحرية وتغضب من ناس وترضى عن ناس. أن تحس بالأمان لأنك لست مجرد ذرة في آلة أوجدها العدم. أن تكون لك بقية من ضمير تستل من عينك دمعة شفقة. أن تحس بمسؤولية ما لأنك من جنس هذه الطينة البشرية. أن تعدّ نفسك لشيء عظيم كي تكون بمستوى المسؤولية إن استدعيت على عجل....

تلك بعض من نعم الله يعرفها من يرى الله ويحب الله ويخشى الله.....

‘‘‘

#عمّانيات

عن عمّان وسيلادي والهيج

بعد عام عدتُ إليها، ذلك أن من طقوسنا كعاشقَين أن نحتفل كلَّ أيلول بذكرى اللقاء الأول. ترتمي عمّانُ مجهدة بعد صيف ثقيل، فأمكث عند رأسها؛ أمسّد شعرها، وأختلس، كما تعودت، من وجنتيها قبلا تكفيني زادا حتى لقاء قادم....

ولأنني عاشق حتى آخر ذبحة صدرية ستصيبني من جراء عشقي؛ فإنني أترجم فيها ما علمتني إياه (ميرابي) عن عشاق مطوقين بالنار التي تعتمل في أفئدتهم. وأزنُ نبض قلبها كما يزن الجواهري ذرات جوهرته الصقيلة. ثم أتماهى معها فأشعر بأوجاعها المخبوءة في طبقاتها الدفينة، هناك حيث المكان الذي تفرض السنون عليه قوانينها فتسلبه نضارته أو تستلُّ من عينيه بريق الحياة.

في قلب عمان لا تدرك كثيرا من تغيراتها. ما زالت الأزقة ضيقة، والباعة يمارسون غواية المدينة عليك. وفي مسجدها كوة تشرق منها روح المدينة الجليلة. أمس صليتُ الظهر هناك، فأهداني القدر ابن عم جلس لينعم بالسلام. افترقنا آخر مرة كركيَّين واجتمعنا اليوم عمانيَّين. ما أعظم هذه المدينة. ثم تمشي؛ والخطى في قلب عمان موسيقى سريالية يغيب فيها عقلك حتى إشعار آخر فتحدثك نفسك بكل متعة ممكنة. أما المتع فنصف سماوية ونصف أرضية؛

إنه امتزاج عجيب ترضي فيه جسدك لتستريح روحك. تقف في طابور طويل تحت شمس حارقة كي تلتهب شفتاك من صحن كنافة ما زالت النار ترسل لهبها فيه. أو تشتهي الحلوى المكشوفة معللا ذلك بأن المرض بعمان ترياق ضد فنائك. أو تدلف إلى واحد من الأزقة التي تناديك فيها رائحة اللحم والخبز فتأكل حتى آخر نفس يستغيث. كانت متعا فصارت هاجسا يناديك من عميق، أنْ لا ترحل من هنا؛ فبينك يوم هربت من المدرسة وبينك اليوم رمشة عين، والحبيبة التي تنتظرك عند الزاوية تقف هناك، وفي الهواء قصيدتك التي يتنفسها المارة، ويد الله تمسح وجه المدينة، وأنت المراهق الذي امتزجت طينته بهذا المكان فأقام فوقه صرحا من الأحلام....

ثم تعود إلى الوجنتين فشهوة القبل استبدت بك، ما زال عليك أن ترضي شفتيها وعنقها وكامل الجسد الذي تركته على خير ما يرام. ترحل في مسافات قصيرة فتذهلك المفاجأة؛ إن الزمن يأكل جسد هذه المدينة. لا، بل هو يأكل جسدك أنت. الزمن يأكل كل شيء. أنت أم هي؟ تصيبك لحظة وجودية صوفية صادمة، تكاد لا تدرك الفرق بينك وبينها. هذا عشق مؤكد؛ من جسد عمان تنظر إلى عزمك المتآكل. أنتما شيء واحد، لا لستما شيئا واحدا لأنك قادر على إدراك الأسرار التي تخفيها عنك عمان. تقف أمام حبيبتك التي شاخت فاختارت أن تستبدل تجاعيد وجهها بكتل من الأسمنت الشاهق. تلك الأماكن التي طبعتَ فوقها قبلا صارت أبراجا تناطح السماء! ذاك جمال اصطناعي يقتل مشاعرك. العاشق

يلتصق بذكرى المشهد الأول. ما له وللحضارة؛ إنه يعشق صورا صنعت وجدانه، يعشق أنفاسا، غمزات، بريقا، غنجا، لكنه بالتأكيد لا يتذكر شيئا عن المساحيق التي تُطلى بها الوجوه. أقسى شعور في العالم أن تكتشف أن حبيبتك تتشبه بأخريات. هذا زمن يليق بالقرود فقد جعل المدن نسخا عن بعضها، ما لعمان وما صنعوه في دبي أو بيروت أو اي مدينة أخرى على وجه الأرض. عمان أجلُّ من أن تتشبه بمكان آخر أو تُطبق عليها قوانين المستعمرات البشرية.

وقفتُ فوق أحد تلك الأبراج، جعلوه مطلا على عمان الشرقية، لم يعلموا أنهم بهذه الإطلالة إنما كانوا يزرعون في قلبي خنجرا....

وحين اكتمل اللقاء الرابع والأربعون نطقت عمان بسر وحيد. قالت لي: حذارِ من أيلول، أقصد هذا الأيلول بالذات فقد تسلقته الأشباح وضربتَ معه موعدا في آخره. لم تعد أنت القضية العمانية، عشقك شيء يخصك. لقد شاهت الأرواح. إن في المدينة كثيرا من المارقين، بل إن فيها جيوشا من الدجالين الذين يريدون قطع صلتها بنفسها. عمان لم يختطفها صوت أذان، ولا حجاب على رأس امرأة، ولا تلاوة قرآن، ولا لوحة عُلقت على عمود. احذروا من التدليس، ومن الذين يضعون الألفاظ في غير مواضعها. إنهم يخططون لقتل الجياد. يحتقرونها، ويحتقرونكم، ويقطعون كل جذر له صلة بها أو بكم. كيف يمكن لمدينة أن تحيا بغير نَسَب؟ وأين جلالها حين تتعرى أمام همجيتهم؟

أخشى على عمان منهم؛ إنهم زائفون ومتطرفون وقمعيون وطائفيون ولهم ألسنة متدلية. سيمضغون جسدها خلال رقصة إيروتيكية. المكان نحن، نهبه بركاتنا أو نصب عليه لعناتنا. وللحب الصادق علامات ليس من بينها أن يُقاس مقدار الحب بعدد الخمارات في شوارع المدينة...

‘‘‘

#عمّانيات

سائدة رحمن

أكاد أشمُّ عطرَ الجنّة في الليل، وكلما طالت ساعاته كنتُ أقربَ إلى تحقيق غايتي. لذلك لا يروقني الصيف؛ إذ ليس في ليله مساحة تليق بالأسرار، ولا تجد فيه رذاذ مطر ناعم، ولا يجود الطين فيخبرك عن أصل الحياة. ليل الشتاء يجمع الحسنيين، وحبذا لو زمجرت عاصفة وأنت في سهوة الحالمين، أو نقرت أجنحة الملائكة على شباكك الخاشع. وقمة ذلك كله أن يكون المشهد عمّانيًا، حين الأغصان ما تزال حبلى باللوز الأخضر، والقطرات لها وحدها الحق أن تداعب وجنة الحجر المهيب، بينما الياسمين يعد خطة الاجتياح القادم....

الليل والمطر وعمان، وطن لا تغزوه انتكاسة. ليل الحكيم "مانغويل" الذي يتحول العاشق فيه إلى محض روح، والماء الذي

يجري كما الإنسان لمستقر له، والمدينة التي تشبه إناء من الفضة. إنها مائدة من موائد الرحمن....

‘‘‘

#في_معضلة_التنوير

الخطاب العلماني

كثير من الخطاب العلماني الأردني تدميري، منفلت أخلاقيا، شبقي وشخصي إلى أبعد حد. في هذه الحالة تقدم داعش ومثيلاتها لسدنة هذا الخطاب خدمة كبيرة، إذ تلبسه صفة العمومية، وتغطي على نوازع ضحلة فيه، فضلا عن كون هذه النوازع شخصية جدا، ومكتنزة بكراهية المجتمع واحتقاره. هذا الخطاب يختلف تماما عن الخطاب الغربي التفكيكي الذي هو عمل عقلي جبار، يستند إلى منجز تراكمي، موضوعي، نظر إلى تراثه بعين علمية، فأبقى ما أبقى واستبعد ما استبعد. والفرق في الذكاء وعمق الفكرة واضح جدا بين الحالتين.

ذكرني حديث أحدهم عن الفوائد الاقتصادية الجمة لزراعة العنب باجترارية هذا الخطاب الذي ينطلق من النتيجة إلى المقدمة عبر تهويمات تفتقر إلى أدنى درجات التماسك فضلا عن المنهج العلمي. كذلك تبدو الهجمة على المناهج هجمة مبتسرة، تبدأ وتنتهي محكومة بمعطيات الظاهرة الداعشية. ثم إنها فردية وتستثني أركان العملية التربوية الأخرى كالمعلم واستقلالية

المؤسسات التعليمية. هذا كله لأن هذا الخطاب قديم، ويسير منذ عشرات السنوات على نفس الشاكلة. غير أن الهزة العميقة التي تعرضت لها البلدان العربية بعد ثورات الربيع، وظهور ما طمسته عقود الاستبداد والفساد السياسي والجمود الفقهي، مكنت هذا الخطاب من الإسفار عن مزيد من العداوة للمجتمع ممثلا بقيمه وعاداته ومعتقداته. ولأنه خطاب تدميري وضحل وفقير معرفيا فقد سارع إلى تضخيم اجتراراته، محافظا على جوهرها السابق ومشتدا في العداوة فقط. ولو أنك بحثت في محاولاته التجديدية لهالك سخف ما تغطيه تلك الكلمات اللاذعة. خصوصا إذا أدلى بدلوه في شأن علمي أو اقتصادي.

الخلاصة: من لم يأتِ بخير في قديمه فلن يأتي بخير في حديثه.

‘‘‘

#في_مهضلة_التنوير

اللوثة

الشيء المضحك في هذه اللوثة التي تنسب نفسها إلى التنوير زورا وبهتانا أنها تخلط عن جهل فاضح بين أن تكون تنويريا حقيقيا وأن تكون نصابا يمارس عقدة خصائه على مجتمعه. هؤلاء المستهترون بالعقل والفكر، الذين هم في أحسن أحوالهم ساردو حكايات يبدلون مواقع الكلمات ويبقون على نفس الحكاية، يوزعون على بعضهم ألقاب التفخيم والتشريف؛ باحث وناقد

وشاعر، ولم ينتج أحدهم شيئا يستحق الالتفات إليه لا في البحث ولا في النقد ولا في الشعر. (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)

وبمزيد من الصراحة، أنا عندي مشكلة موضوعية مع هؤلاء؛ مع ادعاءاتهم وفراغهم، مع المصطلحات الكبيرة التي يرمونها وهم عارون تماما من معانيها الحقيقية. أحدهم ينظر علينا في البحث والنقد بينما أقصى إنجازاته على الفيسبوك أنه شرح لنا فوائد زراعة العنب واستثماره في صناعة النبيذ. حتى هذه الفكرة لم يأت فيها برقم أو إحصائية واحدة لأن خلفيته المعرفية لا تسمح له بهذا النمط العلمي الاستدلالي من التفكير. الأخرى يقولون عنها شاعرة بينما مخزونها من كلمات اللغة العربية لا يتجاوز مائتي مفردة نصفها عن اللحية والثوب القصير وحجاب المرأة، وهي تدور منذ ثلاثين عاما حاملة على ظهرها نفس المفردات لتبصقها كل مرة في وجوهنا مع تغيير بسيط في مواقع الكلمات وتوزيع الفقرات.

التنوير ليس تهويشا، ولا درسا في موضات الجينز وموديلات البكيني. التنوير معرفة وشجاعة. أما المعرفة فليست إنشاء فارغا من المضمون. وأما الشجاعة فلا يعرفها المسترزقون، مطايا السلطة المستبدة هنا وهناك....

‘‘‘

#في_معضلة_التنوير

الشرطة التنويرية

المثقف العربي التنويري حداثي؛ أي أنه في أحسن أحواله متأخر عن زمنه بخمسين عاما. ثم إنه يكتب بلغة ذات بعد واحد، تُقصي وتدني وتصدر أحكاما قطعية؛ وهذه أدلجة يتجاوز أذاها الأذى الذي تمارسه الشرطة الدينية بمراحل. أما مفاتيح الجنة (النور) فله وحده، يمنُّ بها على من وافق هواه هواه. والآخرون، غيره، محض دواعش، إن وافقوه فأنعم وأكرم، وإن خالفوه استحقوا لعناته المقدسة...

،،،

#مناجاة

لك الحمد

يا ربِّ لك الحمدُ على ما أسلفتَ، ولك الحمد على ما أجريتَ، ولك الحمد على ما ادَّخرت

لك الحمد على أُنس ظهورك ولك الحمد على شوق بطونك، ولك الحمد أنك أولٌ فنحن منك، ولك الحمد أنك آخرٌ فنحن إليك....

لك الحمد ما امتدَّ الزمان، ولك الحمدُ ما فَنيَ الزمان، ولك الحمد ما اتسع المكان، ولك الحمد ما طُويَ المكان، ولك الحمد

أننا نحمدك، ولك الحمد أننا نعرفك، ولك الحمد أننا ندعوك، ولك الحمد أننا نناجيك، ولك الحمد أننا نستغيث بك ولك الحمد أننا نتوكل عليك ولك الحمد أننا نعتصم بك ولك الحمد أننا نسبحك ولك الحمد أننا نؤمن بك، ولك الحمد على ما نعلمه، ولك الحمد على ما نجهله، ولك الحمد على ما قدَّرتَه أن يكون، ولك الحمد على ما قدَّرتَهُ أن لا يكون، ولك الحمد على ما وراء ما لا يكون، ولك الحمد على كل ما يبلغه الحمد، ولك الحمد على كل حال

يا وهّاب يا ودود يا منعم يا ماجد يا مجيد يا عظيم، أنّى يُبلَغُ قدْرُ حمدك؟ وكل قَدْرٍ دونك في القدر، فاجعلنا من أهل القدر وبلغنا شرف أن ترضى عنّا في مواسم القَدْر

،،،

#مناجاة

في صفة الإخلاص

الحمدُ لله الأحدِ، ولا أحدَ إلا الأحد. فانظرْ وانظري إلى جلالِ الصفةِ التي تنفي نفسَها عنْ غيرِ نفسِها؛ فهي شهادةُ شهودٍ اختصَّتْ بالموجود. منْ قالَ "لا إلهَ إلا الله" كانَ من جُملةِ المؤمنين أصحابِ اليمينِ ونجا بروحِه. ومنْ قالَ "لا أحدَ إلا الأحد" كانَ من المقرَّبين الشاهدينَ المُخلَصينَ الذينَ حقَّقوا مقامَ الإحسان. وقدْ سُئلَ بعضُ العارفينَ، واسمُهُ أحمدُ بنُ يحيى، عنْ لفظِ الآحادِ:

هلْ هوَ جمعٌ لأحد؟ فقالَ: "معاذَ اللهِ، ليسَ للأحدِ جمعٌ". تلكَ هيَ الفكرةُ؛ الأحدُ أخصُّ من الواحدِ، فإنَّ الواحديَّةَ تنفي الكثرةَ في الذاتِ، وتنفي الشبيهَ أو الندَّ. أمّا الأحديَّةُ فتنفي مبدأَ الوجودِ منْ أساسِهِ عنْ كلِّ غيرٍ؛ هيَ الّتي أدركَها ابنُ عربيٍّ وجعلَها "موطنَ الأحدِ، عليها حجابُ العزَّةِ لا يُرفَعُ ابداً فلا يدركُهُ في أحديَّتِهِ سِواهُ" فإنْ تفكَّرْتَ في الواحدِ تفكَّرْتَ مَعَهُ في تجلِّياتِهِ في الخلقِ، وإنْ تفكَّرْتَ في الأحدِ غابَتْ عنكَ كلُّ الأوهامِ.

والحمدُ للهِ الصمدِ، فالأرضُ جميعاً قبضتُهُ يومَ القيامةِ والسماواتُ مطويَّاتٌ بيمينِهِ. ونُنزِّهُ ربَّنا عنْ كلِّ تشبيهٍ لا يليقُ بجلالِهِ. الكونُ صامدٌ إليهِ في الدُّنيا والآخرةِ. الأمرُ أمرُهُ والمشيئةُ مشيئتُهُ والإرادةُ إرادتُهُ. ثمَّ إنَّ حاجاتِنا إليهِ بينَ جبرٍ واختيارٍ، فمنْ كانَ في حالِ الاختيارِ دَعا ربَّه، ومنْ كانَ في حالِ الجبرِ كفاهُ ربُّه همَّ الدعاءِ. والصمدُ هوَ ما لا ينقسمُ، ولا يتجوَّفُ، ولا يتخلَّلُهُ فراغٌ، ولا يخالطُهُ غيرُهُ. فأولى بمنْ كانَتْ هذهِ صفتُهُ أنْ لا يلدَ ولا يولدَ. ونبَّهَ الإمامُ البيضاويُّ في "شرحِ أسماءِ اللهِ الحسنى" إلى معنى تفصيليٍّ ذي صلةٍ بهذا المعنى فقالَ أنَّ الصمدَ هوَ الحجرُ الأملسُ الصّلبُ الذي "لا يقبلُ الغُبارَ ولا أنْ يدخلَ فيهِ منْهُ شيءٌ ولا أنْ يخرجَ عنْهُ شيءٌ" فالصَمَدُ جوهرٌ فردٌ اكتملَتْ فيهِ الفرديَّةُ فتميَّزَ عنْ مخلوقاتِهِ بحياةٍ لا كحياتِهِمْ؛ ذلكَ أنَّ حياتَهم تميلُ إلى تكرارِ نفسِها في نسلٍ وأجناسٍ وفصائلَ. والوالدُ من المخلوقاتِ يَهَبُ بعضَ كينونتِهِ في نُطفةٍ أَوْ بويضةٍ فيكونُ منْهُ الولدُ، إنَّه، أي المخلوقُ، ليسَ حياةً منغلقةً على ذاتِها، بلْ هوَ جزءٌ منْ كلٍّ وإنْ بدا

فرداً مستقلاً، فتعالى اللهُ وتقدَّسَتْ ذاتُهُ. والصمدُ كذلكَ سيِّدٌ يُقصدُ في الحوائجِ والرغائبِ، واللهُ قيومٌ كريمٌ، ولمْ يكنْ لهُ كفواً أحد.

فليُعلَمْ ممّا سبقَ أنَّ الإخلاصَ هوَ النّقاءُ والصّفاءُ والبراءةُ منْ كلِّ شبيهٍ، وأنَّ لكلٍّ منْ أحديَّةِ الله وواحديَّتِه وصمديَّتِه صلةً بمفهوم الإخلاص لا تنفصمُ. فالصمديَّةُ هيَ صورةُ الإخلاص، والأحديَّةُ روحُهُ، والواحديَّةُ دليلٌ عليْهِ. ونحنُ كما بدأْنا بالأحديَّةِ روح الإخلاص في حالِ الإثباتِ انتهيْنا بها في حالِ النّفي. فنصيبُها في حقِّ الخالقِ أنْ تُثبَتَ، وفي حقِّ المخلوقينَ انْ تُنفى. والإخلاصُ ينتسبُ إلى طرفي الوجودِ. فالحمدُ لله على دينِ الإخلاص، إخلاص الذّاتِ العليَّةِ الّتي صَفَتْ وعَلَتْ وتقدَّسَتْ وجَلَّتْ عَنْ كلِّ شبهٍ بينَها وبينَ مخلوقاتِها، وإخلاصِ العبادِ لمعبودِهِمْ في عبادتِهِ فلا شركَ ولا أوهامَ

‘‘‘

#إنسانيات

همُّ الكتابة

أكاد أنشطر إلى اثنين لا يلتقيان؛ أب وفيلسوف. وإني وإنْ حزتُ الأولى عن اقتدار فإني في شك من أمري بخصوص الثانية؛ ذلك أن للوهم سطوة على الإنسان، وأغلب الظن أن الحروف تعبث بي وأني مجرد شخص موهوم....

في هذا السياق، يُقال أن أبا شوبنهاور كان رجلا غنيا جدا، فاعتاش الابن على ميراث أبيه واستطاع أن يفكر في قضايا الوجود المصيرية دون أن ينغص أفكاره رزق عيال وأقساط مدارس وحاجات بيت. كذلك ديك الجن كان له مال وضياع ورثها عن أبيه في حمص فعاش عزيزا وسبّح الشعر على لسانه. وثمة آخرون عرفوا كيف يتوددون إلى السلطة فنالهم بعض رحيقها. ابن زيدون مثلا كان على صلة طيبة بملوك الطوائف فأبدع في أكنافهم، والجاحظ تنعم في ديواني المأمون والواثق، وهيغل تودد إلى نابليون حين ساءت أوضاعه المالية، وغوته وثق صلاته بدوق فايمار فأغدق الدوق عليه نعما كثيرة، أما ابن رشد فمعلوم أنه كان من سلالة قضاة تبوأوا مناصب عالية في دولة المرابطين ثم الموحدين. وأغلب الظن أنه لولا رضا الصاحب بن عباد عن أبي حيان التوحيدي في أول الأمر ما كنا عرفنا عن فيلسوف الأدباء شيئا....

المقصود من ذلك أن الكتابة هي الحرفة الوحيدة التي لا تغدق على صاحبها مالا مباشرا. لكنها وشائج تتصل بأهمية ما يكتب وحجم تأثيره في الناس، وسلطة تراقب كل شاردة وواردة فإن رضيت أمدّت وإن لم ترض منعت. والفكر عزيز لكنَّ جزاءه، إن كان له جزاء، مؤجل. والخبز لا ينضجه لهيب الكلمات....

أما الداعي فأعقل من أن يشطر نفسه، لكنها مجرد مفارقات أحببت أن أطلعكم عليها.... تأكل من خير البزنس ثم تحاكم الدنيا بمنطق المتصوفين.... هذا كثير عليك

،،،

#إنسانيات

سَفَهَ

هناك كثير من السفه في هذا العالم....

دول عظمى بقرني شيطان، كوارث اقتصادية تُمرر تحت غطاء الواجب الوطني، زعماء يخاطبون شعوبهم بديماغوجية العصر الحجري، معارضة تردح لأن المسؤول الفلاني يرتدي ملابس لا تتفق وطهرانيتها المزعومة، قصص مرعبة تنتمي إلى عالم الخيال الإجرامي، مناهج تحرض طلاب الصف الثالث الابتدائي على حرق أعداء المستقبل...

عالم عجيب، يُنصح فيه بالاغتراب، وأول الاغتراب أن تدرك ثنائية الطبيعة البشرية التي يقوم بنيانها على الخوف والطمع، وكلاهما لا ينتميان إلى عالم العقل. والعقل حضارة، والحضارة ليست تقنية. الحضارة هي العدالة، وتصالح الإنسان مع الطبيعة، ومع نفسه، ومع الله....

‘‘‘

#إنسانيات

دهشة

كلّما ازددتُ اطلاعـًا، قويَ عندي اليقينُ بأنَّ الكونَ ومضةٌ أُطلقَت، فشكَّلَها خيالُنا على صُوَرٍ دونَ صُور. وكانت الاحتمالاتُ كثيرةً، وفي كلِّ احتمالٍ منها فيضٌ وغنى....

بطريقةٍ أخرى: في البدءِ كانَتْ الكلمةُ. ولكنَّ البدءَ قد بدأَ للتو؛ وهذا التوُّ ما يزالُ جاريـًا، ونحن نُأولُ الكلمة، وخيالنا يولِّدُ المعاني ويلمُ ما تناثرَ، ويمدُنا بأجملِ أحاسيسِ الدهشة....

إن لمْ تجدْ ما يدهشُك فابحثْ عنْ نقصٍ يشوبُ إنسانيتَك....

سبحانَهُ في علاه....

‘‘‘

#إنسانيات

زهد

أقدس ما قد يفعله إنسان لنفسه هو أن يحررها من رغباتها ويقلل ما استطاع من حاجاتها، لا سيما في زمن تنوعت فيه أنماط الاستهلاك حتى انمحت المسافة بين الرغبة والحاجة، فضاقت بالإنسان دنياه من حيث ظنها تطورت وحققت له أسباب الراحة. إن كل رغبة هي قيد يحول بين الإنسان وحريته، والزهد فضيلة

صعبت على الأقدمين فما بالكم بإنسان يُروَّج أمامه كل شيء في الليل والنهار: أصناف الأطعمة، السيارات، الملابس، النساء الجميلات، الإجازات الممتعة، وكل شيء تشتغل عليه آلة الإعلام فتحضره الصورة إلى عقر دارك وتتفنن في تزويقه وتزويره لك.

‘‘‘

#كلام_مُسَيَّس

أفكار غير مترابطة

الديموقراطية هي دفع الله الناس بعضهم ببعض: تحارب السلطة المستبدة كل نزوع للحرية الفردية لأن الفردانية هي مادة الحلم والثورة. السلطة تحب الأشخاص الذين يشبهون بعضهم؛ إذ يسهل عليها بتشابههم أن تشكل أحلامهم بالطريقة التي تناسب بقاءها...

الاستبداد لا يعرف قانون التدافع؛ إنه لا يعترف إلا بقانون الهيمنة. فإما آكل أو مأكول.

صديقي أو عدوي: من هو صديق السلطة؟ إنه بالتأكيد خادمها المطيع الذي يتفانى في تحقيق هيمنتها على المجتمع. ومن هو صديق الإسلامي أو اليساري أو الليبرالي الـمُعدَّل؟ إنه الذي يتماهى معه إلى حد الإيمان المطلق بأفكاره. ومن هو صديق الرجل العامي البسيط؟ إنه الذي يوافقه في يقينياته ويملأ إناءه الفارغ من الفكر بالطمأنينة.

لا توجد حلول وسط. الظل واحد والمرايا متعددة....

الخوف لا يبني أوطانا: من أين تصدر كل هذه الانسدادات؟ من العاطفة واليقين. أما العاطفة فهي الجانب المشوه من إنسانيتنا المرعوبة، فهي الروح التي تغذي فينا نوازع الطمع والكراهية والطموح والاحتقار والشك والخوف والخداع. إن المعركة على السلطة ثم معركة السلطة نفسها تنهل من هذه العيوب النفسية الخطيرة التي لم تتهذب لأنها خرجت من مجتمع بدائي يجاهد من أجل البقاء فيمارس القيم على طريقة "كل شيء أو لا شيء" هذه الحالة تفضي إلى خلل في العلاقات؛ فالناس إما أصحاب قداسة، وإما أبالسة. ومن يختلف عني مطرود من رحمتي، ومن يوافقني هو كل الجمال.

الدين المختطف: لقد اختطفت الثقافةُ الدينَ، حيث الحلول الوسط، ثقافيا، معدومة. وأتقنت السياسة أصول اللعبة. هكذا تحولنا إلى أشخاص مستقطبين، نختلف حول الحسين ويزيد، والواثق وابن حنبل، والغزالي وابن رشد. كل هذه الخلافات لا محل لها من الإعراب في هذا العالم الذي يقوم على مبدأ النسبية....

الرموز: كلما ابتعدنا بالزمان عن الراحلين تحولوا إلى أشباه آلهة. لكل عشيرة رموزها المطهرة والنقد ممنوع، ولكل شعب أبطاله الخالدون الذين لا يستحقون الخلود، وللتاريخ رجاله الذين لا نقبل فيهم المساومة وهم مجرد أشخاص عاديين. يتحول كل شيء إلى معركة حول الرجال؛ فتُنسى القيم، ويُحارَب العقل

النقدي، ويزدهر التعصب....

انهشوهم: إن شعبا مملوءا بالعاطفة مملوء حتما باليقين. لكنه يقين ناهش وخائف ومضطرب. بل هو يقين الجلافة. يجسده أولئك المشدودون إلى سلاسلهم الطهرانية؛ بدءا من الذات؛ إلى رموز العشيرة، إلى أعلام الوطنية، ثم رجال الطائفة، وعلماء الدين، وأبطال التاريخ. حلقات خانقة تقتل فينا مساحات التواصل الإنساني، وتضيق بحجم أوطاننا إلى حجم أرواحنا الضيقة.

نحن محبوسون، وكلما فتحت لنا طاقة خفنا منها، وكلما اقترب منا النور ازددنا شراسة....

‘‘‘

#كلام_مُسَيَّس

مجرد رقم

في هذه البلاد يستطيع أي وغد أن يفجر شرايينك، ويعلق جثتك، ثم يلغي اسمك من سجلات الموتى. ولن تنجو من أقذع التهم؛ ستحاكم حتى وأنت هباء منثور بتهمة الاعتداء على حرية التعبير لأنك مارست الحشرجة أثناء ذبحك. سيسبك رجال مثقفون في وقت الفراغ الذي يتوفر لهم بين نزوة ونزوة، وستلعنك نساء مشبوهات يتعاطين الحشيش في مواخير التواصل الاجتماعي. ولن تفعل لك الدولة شيئا لأنها تحولت منذ زمن بعيد إلى شركة أمن وحماية. هل تعرف كيف تعمل شركات الأمن والحماية؟

إنها فقط تحل مشكلة البطالة في صفوف الرجال الهرمين الذين لم يعودوا قادرين على توفير الأمن والحماية....

سيحرمونك قبرا فوق هذه الأرض التي ليست لك؛ إنها للجميع لكنها ليست لك. أنت "داعشي" مارق، وطائفي متوحش. إنك مجرد رقم وضعناه في خانته التي ترضي غرورنا. فمت بداعشيتك، أو بغيضك، أو بأي شيء يخلصنا منك....

‘‘‘

#بنات_الفلسفة

جواد سابق

سأعترف، كنت كائنا هشا، واحدا من ذلك الجيل الإسلامي الكلاسيكي الذي بدأ يظهر مع نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات. تلك مرحلة "الصحوة الإسلامية". أو، لنسمها، طغيان بديهية نهاية العالم؛ حيث تتحقق العدالة حين يستفيق الناس من غيبوبتهم فيعلنون التوبة. كانت المرحلة التي بُنيت فيها هشاشتي أقرب إلى أن تكون صحوة تحريضية وجدت أمامها ما ظنته مشروعا ناجزا؛ أي الدين المؤدلج، فتمسكت به. زاحمتها أشياء أخرى مثل القومية والشيوعية لكنّ هاتين بالذات كانتا في طور الاحتضار. نتيجة ذلك، جسّد بعض الناس صحوتهم الدينية تجسيدا شكليا فانتشرت اللحية والحجاب والأشرطة المسجلة. وتمسك

بعضهم بها كرؤية وجودية دون أن ينعكس ذلك على مستوى أدائهم للطقوس. كنت واحدا من هذه الفئة الإسلامو-وجودية، فقد كانت علاقتي بالعبادات شبه معدومة، ومع ذلك آمنت تماما بمفهوم الدولة والجهاد الذي روج له بالإضافة إلى سيد قطب آخرون مثل أبي الأعلى المودودي وعبدالله عزام ومحمد قطب والشيخ كشك وغيرهم.

اليوم أنا أكثر قوة. خمسة وعشرون عاما غيرت فـيّ أشياء كثيرة. عرفت ما عرفت عن السياسة والتاريخ، غير أن التجربة كانت أعمق أثرا. التجربة هي القارورة التي نختبر فيها كل ما قرأناه وتعلمناه. صرت أقرب إلى الاعتقاد أن مفهوم الدولة والجهاد الذي ساد في الثمانينيات مفهوم ساذج، إنه طيب القلب لكنه ساذج. إنه مجرد اقتباس لمواقف أناس عاشوا قبل مئات السنين، فإن حاولنا أن نطبقه اليوم بحذافيره انفجرت في وجوهنا قارورة الاختبار. الآراء الفقهية التي وضعها أبو حنيفة رائعة جدا في وقتها فقط، كذلك آراء الشافعي، كذلك آراء القاضي عبد الجبار، كذلك آراء الماوردي، وكذلك آراء الشاطبي. لكن علينا أن نعلم أننا لم نقل شيئا في الفقه السياسي منذ مات الشاطبي قبل سبعمائة عام. هذا وقت طويل جدا. يلزمني في العام ألفين وتسعة عشر من يحدثني بلغة العام ألفين وتسعة عشر. هل يستطيع أحد أن يعترض على هذا المنطق؟

الذي صرت أتبناه من رأي، أن علينا كمسلمين عقلانيين، أن نفك الاشتباك بين مفهوم الدين من جهة والتنظيرات السياسية

للفقهاء القدماء من جهة ثانية. طبعا هذا رأي شائع بين كثير من المثقفين، وهناك من يشتغل عليه. لكنني أكرره هنا فقط مجرد تكرار لأنني أتحدث عن تجربتي الشخصية، وعن ذاك التغيير الكبير الذي طرأ على مواقفي، ولأنه سيكون شاهدا على وجه المفارقة الذي سأذكره بعد قليل. خلاصة الموضوع، الذي جاء به القدماء مليء بالإكراه السياسي لأنه يشتق لنفسه وجهة نظر تنسب نفسها إلى المقدس. هذا لا يصلح في زمن التكنولوجيا والاتصال والثورة الرقمية، فضلا عن الديموقراطية والتوازنات الدولية والحقوق المدنية العادلة لجميع فئات المجتمع.

أنا بذلك أقرب إلى أن أكون شخصا علمانيا، لا ضير في ذلك، رغم أنني أؤدي طقوس العبادات بحذافيرها. هنا المفارقة، قبل خمسة وعشرين عاما كنت شخصا لا يلتزم بأي فريضة ومع ذلك يتبنى آراء سيد قطب. اليوم، أنا شخص ملتزم بعباداتي جدا جدا، ومع ذلك أنا قريب جدا من العلمانية....

ما علينا، سأزعم في النهاية زعما خطيرا؛ الإسلام حالة خاصة تخدمها العلمانية؛ لأن نقله من المجال الأيديولوجي إلى المجال الأنطولوجي سيفتّح إمكاناته الروحانية ويحرره ويصقل جوهره؛ أي سيعيد التوحيد إلى واجهة الحدث. والإسلام توحيد، عقيدته وفلسفته وتصوفه وكلامه، كلها تؤدي إلى أنقى أشكال التوحيد. أي أرقى ما قد يبلغه الإنسان من منزلة فوق هذه الأرض. اتركوا

الإسلام طليقا ولا تحولوه إلى إكراه سياسي، ولا تخافوا عليه من أي شيء، لأنكم في حالة الإسلام بالذات إنما تراهنون على جواد سابق....

‘‘‘

#الدين_القيِّم

الاستعراد أخفى سؤال

القضاء هو شكل الاستجابة لحدث ما، والقدر هو توقيت الحدث والاستجابة. مثلا؛ قد يتعرض أحد الأشخاص لفايروس الإنفلونزا فلا يحدث له شيء بسبب قوة جهاز المناعة عنده، بينما يتعرض شخص آخر لنفس الفايروس في نفس اللحظة فيموت بسبب ضعف جهازه المناعي. وفي الجمادات كذلك؛ قد يؤدي مقدار ٢٠مم من الأمطار إلى انهيار طريق بسبب ضعف إنشائه، بينما لا يفعل نفس المقدار المطري شيئا في طريق آخر يجاوره بسبب قوته.

لذلك قال العلماء أن القضاء هو استعداد في المحل الذي تقع عليه النعمة أو البلاء، وقال العارفون: الاستعداد أخفى سؤال؛ أي أن حسن استعدادك للحدث جالب لك منفعته أو طارد عنك شره بإذن الله وبمشيئته، والعكس صحيح.

أنت مسؤول عن قضائك، أما قدرك فسيطرتك عليه ضعيفة. ويحدث في المجتمعات المنكوبة أن يتخبط الناس فلا يدركوا ذاك

الارتباط الرهيب بين استعدادهم وما يقع بهم من كوارث. عندئذ يمكن التنصل من أي مسؤولية فيعزوها كاهن إلى القضاء والقدر في إطار جبري يثبط الهمم، وينسبها متحذلق آخر إلى التغير المناخي في إطار من العجز والسلبية. والحقيقة أن الذريعتين وجهان لعملة واحدة، فهما محض استسلام، هذه تلبس لبوس الدين وتلك تلبس لبوس العلم. لكنهما لا تطرحان السؤال الحقيقي؛ سؤال "الاستعداد" و"المسؤولية" و"الإخلاص" في بلاد لا يحسن الناس فيها شيئا سوى أن يقفزوا من المركب حين غرقه.

‘‘‘

#بنات_الفلسفة

سببية

أميل لرأي فيه شحنة ميتافيزيقية هائلة. فحواه أن نهايات الأشياء خارجة عن سلطان الطبيعة، وارتباط الأسباب بالمسببات ظاهري فقط؛ إذ تمكث في الخفاء، عند الباب الأخير، إرادة جبارة بأمرها تكون الأشياء أو لا تكون...

والذين يحملون هذا الرأي متهمون بأنهم (جبريون)، وللجبرية نصيبها من السمعة السيئة؛ فبها يعطل الإنسان طاقاته، فيخضع للغيب، وينسحب من مسيرة التاريخ. هكذا يقولون، غير أني لا أوافقهم الرأي محتفظا بحقي في جبريتي مع إيماني بكون الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا جزءا من هذا العالم الجبري اللذيذ.

وقد أفسد الطغاة هذه النظرية واستغلوها استغلالا بشعا، وبشروا بالجبرية ليفسروا بها، فقط، وجودهم البغيض في هذه الحياة. ولو أن الناس عرفوا أن الجبرية توكيد لوجود الذات العلية، لألقوا كل الطغاة من فوق شاهق الإرادة الإنسانية، ومضوا بالحياة إلى ربيع مقيم.

دعونا نبقَ مع النهايات، ولكل نفس أسرارها، ولا أريد أن أطيل في الحديث. الموت هو أعظم النهايات، وأهمها وأخطرها. من أجل ذلك غُلّف ميقاته بالمفاجأة، ومكانه بالسرية، وطريقته بالإبهام. وما نحيط بالموت إلا بالظن، وما يحس أحدنا تجاهه إلا بالرهبة. ومنه ما يبدو سخرية، وأكثره قاسٍ وجبار.

أما اتصالنا به فهو بيت القصيد؛ فأكثر الناس مستسلمون لهذه الحقيقة بنسيانها، ولولا النسيان ما طاب عيش إنسان. ومنهم من يبادرون الموت؛ فيقتلون أنفسهم مجللين بالغضب والعار والوعيد. ومنهم من يشتريه دون أن يتدخل بشكل مباشر في غرفة عمليات الكون، فيقدم على مظانه واعيا أو غير واعٍ، تاركا الكلمة الأخيرة لتلك الإرادة الخفية الواقفة عند الباب الأخير....

وقفتَ وما في الموتِ شكٌ لواقفٍ،،، كأنَك في جفن الردى، وهو نائمُ

تمرُّ بك الأبطالُ كلمى هزيمةً،،،، ووجهُك وضاحٌ وثغرُك باسمُ

إنها القوة الدافعة التي تتحكم بكل مفاصل حياتنا، فتأمر وتنهى، وتعطي وتمنع. أتحدى أيا منكم أن تخلو حياته من أحداث كبيرة، وُجّه إليها توجيها، كأنّما كان خلالها ينفذ سياسة مرسومة منذ الأزل....

أظن الكلام صار واضحا. بورك أولئك الذين يقتحمون الموت في أرض تعد بالحياة.

بوركت فلسطين....

‘‘‘

#كلام_مُسَيَّس

فيروز

إذا كان من شيء أضرَ بفيروز فإنما هو تحولها إلى فكرة تعويضية يواجه بها الشوام فشلهم الآني الملتصق بهم منذ ثلاثمئة عام أو يزيد. وأقصد بهذا الكلام أهل بلاد الشام عموما، من سوريين ولبنانيين وأردنيين وفلسطينيين، وهم شعب معروف بنزقه ونزعته الاستعلائية.

وكلما أزدادت الأيديولوجيا حدة تأيقنت فيروز ودُفعت إلى واجهة الصراع. فهي عند العامة حالة انشداه، وعند الخاصة مرآة يشتهي بها الراؤون أنفسهم (لا بد من ذكر أسطورة نرسيس هنا، وهو فتى إغريقي رأى صورته منعكسة في الماء فتعشقها وقعد عن كل

شيء حتى مات في مكانه) أما عند المؤدلجين؛ الممانعين تحديدا، فهي إفراغ لحقد قديم على عرب الجنوب وسواهم ممن يشتركون معهم في صفة العروبة؛ إذ استحدث خيال هؤلاء المريض نزعة عروبية جديدة تقوم على احتكار المعنى بعد تخليصه من شوائب عرقية ليست مرغوبة. فالعروبة الشامية ترجع بذاكرتها إلى مرحلة التأسيس، جاعلة من الإسلام غزوا انتهك أرض الشمال فدنّس طهرانيتها. بذلك يزدري هؤلاء الصحراء والبداوة ويجعلونهما أصلا لكل نقيصة (لاحظوا كيف يستخدم هؤلاء مصطلح وهابي ويحشرونه في كل شاردة وواردة) وتتضخم ذواتهم فتتكئ أول ما تتكئ على الفن الذي تتحول فيه الطبيعة إلى أداة أيديولوجية تؤكد التفوق المزعوم. وفيروز كانت ناطقا رسميا باسم الطبيعة الشامية بملامحها القروية (أنا وشادي) أو المدنية (قديش كان في ناس عالمفرق تنطر ناس)....

على كل حال، كل ذلك ما كان ليتم لولا أن فن فيروز بالفعل شيء استثنائي؛ صادق ويلامس أعمق الخلجات. إنه نهر من اللآليء يجري في أرض ينقصها ضوء الشمس....

‘‘‘

#كلام_مُسَيَّس

ليسوا خوارج

"أيها الناس، ضحّوا يقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم. إنّه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولَم يكلم موسى تكليما، تعالى الله عمّا يقول الجعدُ علواً كبيرا" ثم نزل خالد بن عبدالله القسري عامل هشام بن عبد الملك على الكوفة، عن المنبر، فذبح الجعد كما تُذبحُ البهائم، في وسط المسجد....

حدثت هذه القصة يوم عيد الأضحى من العام مئة وخمسة للهجرة....

المأساة في القصة السابقة مأساة معرفية؛ ذلك أنها نُقلت لنا بحذافير الخطبة السابقة لتضفي على إعدام الجعد بن درهم مبررا شرعياً. بينما يوجد في الأمر التباس كبير إذا دققنا جيدا في روايات التاريخ. فالجعد كان من طراز المفكرين الكبار الثائرين على طغيان الفئة الحاكمة. وكان أساس خلافه الفكري مع بني أمية سياسيا. فقد أشاع بنو أمية عقيدة الجبر بين المسلمين منذ اعتلائهم الخلافة كي يبرروا ما اقترفوه من فظائع بحق خصومهم، وليثبّتوا دعائم ملكهم بعزو وجودهم وأفعالهم إلى القدر الإلهي الذي لا مفر من مقاومته. بينما انبرى الجعد وقليل من مفكري ذلك العصر، كمعبد الجهني والجهم بن صفوان، لنقض الفكرة الجبرية تلك، وإقرار أن الإنسان مسؤول مسؤولية كاملة عن أفعاله، وأن

ظلم الحكام وبغيهم هو خبث في النوايا، فلا يقبله الله، ولا يعفيهم من تبعاته....

نحن بهذا أمام فعل سياسي اتخذ من الشرع مبررا له كي يذبح معارضا كبيرا كالجعد بن درهم. وربما كنا فوق ذلك أمام حقيقة أخطر؛ ومضمونها أن الذبح مشكلة فقهية بذات الدرجة التي هو فيها مشكلة فهم خاطئ للنص. فالفقه المنتزع من استقلاليته، يغدو خادما مطيعا للسياسي، ومبرراتيا له في ما يقترفه من فظائع؛ وإن استند هذا الفقه إلى أصول دينية سليمة....

وكوارث الفهم الخاطئ للنص وحده أخف وطأة من الكوارث التي يؤدي إليها تطويع الفقه السليم أو الخاطئ لإرادة السلطة السياسية. ولنا في داعش مثال؛ ذلك أن من الخطأ المنهجي أن ننسب داعش والقاعدة وأمثالهما إلى فكر الخوارج، لاختلافات بينة بين الفريقين. فالخوارج القدماء كانوا طبقة من القراء الذين لم يتلقوا تدريبا فقهيا كافيا، فوقفوا عند ظواهر النصوص، واستحلوا دماء المسلمين بوقوفهم السطحي هذا. أي أن مسألتهم هي فهم ساذج للنص القرآني، خالطته طبيعة بدوية نشأت على القسوة. أما داعش فهي قائمة على بنيان فقهي يستمد من المظلمة السياسية مبررا قويا لأفعاله، ولها هيئة شرعية فيها أشخاص يحملون درجات علمية عالية في الفقه وسواه من العلوم الإسلامية.

بذلك تبدو داعش مجرد استمرار لتراث سياسي إسلامي. فهي دولة خلافة لها خليفة وعملة وأنظمة ومؤسسات، ولا ترى نفسها على تناقض مع أشكال الخلافة القديمة؛ الأموية والعباسية. بل إنها

تتخذ من تلك الدول مثالا تحتذيه، وذلك ما يجعلها على تناقض تام مع الخوارج القدماء الذين ثاروا على تلك الدول، ورفضوها بخلفائها ومؤسساتها وكل شيء فيها....

وهذا يفسر اختلافات أخرى بين الفريقين؛ ففي الحين الذي جعل فيه الخوارج القدماء منصب الخلافة مفتوحا لأي مسلم عدل مهما كان أصله، جاءت داعش بأبي بكر البغدادي القرشي؛ أي أنها لم تخرج عن تنظيرات فقه أهل السنة والجماعة في هذه النقطة، وحصرت منصب الخلافة برجل من قريش، وقطعت حبلا آخر من الحبال التي قد تصلها بفكر الخوارج. ثم إن داعش استهدفت غير المسلمين ورحّلتهم من ديارهم أو ذبحتهم ذبح النعاج، بينما كان الخوارج القدماء متسامحين مع غير المسلمين. نعم كانوا متسامحين معهم؛ وكان تنكيلهم مقصورا على المسلمين. ولواصل بن عطاء قصة مشهورة؛ ذلك أنه وقع في أحد الأيام بيد الخوارج، ولم يكونوا يعرفونه، فلما سألوه عن دينه ادعى أنه مسيحي، فأطلقوه وأوصلوه إلى مأمنه عملا بالآية الكريمة "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون". فقد كان واصل يعرف أنهم يقفون عند ظاهر النصوص، ولو قال لهم أنه مسلم لاستحلوا دمه وقتلوه، فنجا من بين أيديهم بفطنته ومعرفته العميقة بهم.

إذن داعش ليست من الخوارج، ولا أشخاصا تعصبوا فوقفوا عند ظاهر النص. وهذا الكلام ليس مدحا للخوارج ولا إعجابا بمنهجهم الكارثي الذي كبد المسلمين في زمن قديم أنهارا من

الدماء. داعش حركة غارقة في وحل السياسة، ولها جذور عميقة ضاربة في أكثر نقاط تاريخنا سوادا. إنها ميراث سياسي يستخدم الفقه القديم نفسه كي يشرعن وجوده ويقيم دولة استبدادية جديدة. قد تكون شيئا مستقلا، وقد تكون أداة صنعتها جهات أخرى تفهمنا وتفهم تاريخنا. لكنها في النهاية لعبة سياسية، ومشكلة ينبغي أن يتنبه لها العقلاء والمثقفون المسلمون. ونقول "المسلمون" لأن المشكلة وحلها يكمنان داخلنا، ولا يمكن استيرادهما أبدا. ولا يمكن التغاضي عن حقيقة المشكلة والنوم على فراش وثير بعزوها إلى فكر الخوارج الذي انقرض منذ مئات السنين. إنهم شيء أعمق من ذلك، شيء ما يزال حيا، ولن نقضي عليه ما لم ينبعث الفقه الإسلامي انبعاثة جديدة، فيتنبه إلى غلطاته القديمة، وينجو من براثن السياسيين وألاعيبهم....

‘‘‘

#وجدانيات

الخيار لك

حين تكون إنسانا عاديا كما هو حالي وحالك فإن من حقك، بل هو واجب عليك، أن تتخذ موقفا من القضايا العامة. عندها سيكون أمامك واحد من أمرين: فإما أن تهرع إلى البديهيات التي تعارف عليها البشر فتجعلها ميزانا تزن به مواقفك، فترفض البطش والسرقة والقتل والطغيان، وتبجل قيم الحرية والنزاهة والعدالة والسلام.

وإما أن تنخرط في الزيف وتهرع إلى المبررات، أو تنالك حمية الجاهلية فينقلب الحق عندك باطلا والباطل حقا. ولن تعدم الحيل التي تزين لك وهمك؛ فتصدق نظريات المؤامرة، وترى الأعداء محيطين بك من كل جانب، وتتجرع سم القبيلة، وتسمح للدجالين أن يبولوا في داخل رأسك، وتظن أنك شيء وأنت في حقيقة أمرك صفر لا يُلتفَتُ إليه....

وستكون قذارة صغيرة في محيط ضخم من القذارات، وسترحل دون أن يدري بك أحد سوى ضميرٍ سبقك إلى قعر الجحيم.....

‘‘‘

#وجدانيات

حلب وطفل الركبان

أخشى أن عِشرة الظالمين في هذا العالم تصيبنا بالعدوى فنخسر، بهذه المعية، من إنسانيتنا شيئا كثيرا....

نبهتني حلب إلى تلك الخسارة التي تتسلل إلى نفسي. قبل ذلك سأخبركم أنني لا أستطيع منذ سنوات أن أنظر في شاشة التلفزيون، ولا أن أقرأ من الجرائد إلا عناوينها العريضة. أهرب في كل الأحيان لأحافظ على روحي حاضرة في هذا الوجود. صارت الأخبار حقولا مفخخة تقذف بك في لهيب مستعر ولا تخرجك منه. أن تعتاد الأشلاء، وجثث الأطفال، وفجيعة الأمهات والآباء،

يعني أنك فقدت عذرية روحك، وصار الإجرام حدثا من الأحداث التي تستطيع التعايش معها.

فأين يذهب غضبك؟ وما تفعل إنسانيتك التي ما زالت حاضرة بقوة؟ إنك تتوجه بلعناتك نحو المجرم؛ تصبها على رأسه في كل حرف تكتبه أو كلمة ينطق بها لسانك. لكنك تبقى مخلصا لوقارك الروحاني، وربما استمتعت بوجبة فاخرة، فاللهيب لا يقترب من روحك.

أنت في حقيقة الأمر تمارس حيلة نفسية اسمها الإقصاء. إنك تأخذ من رصيد التعاطف مع الضحية فتجعله غضبا على الظالم، وسينتهي بك الأمر لعانا وشتاما يستمتع بالوجبات الفاخرة....

لا أعرف أي تفاصيل عن الأشياء التي تتحدثون عنها، عرفت فقط أن حلب تحترق*، وأن هناك طفلا اسمه طفل الركبان**. أما لغتي فصارت فقيرة لأنني لم أعد أجيد شيئا إلا شتيمة المجرمين....

*خُصت مدينة حلب بالذات بظاهرة البراميل المتفجرة التي كانت تلقى من مروحيات النظام على المدينة محدثة دمارا قل شبيهه. هذه البراميل عبارة عن كتلة هائلة الحجم تتكون من حوالي ٣٠٠كغم من مادة تي إن تي شديدة الانفجار مضافا إليها عدد كبير جدا من الشظايا الصغيرة القادرة على التطاير إلى مسافات بعيدة عن مركز الانفجار. هذا السلاح البدائي الرخيص كان من أشد أدوات الفتك التي استخدمها النظام خلال الثورة السورية؛ إذ

كان كل برميل قادرا على حرق دائرة قطرها ٢٥٠مترا بالكامل بالإضافة إلى تأثير شظاياه المتطايرة خارج المساحة المحروقة. وتشير التقديرات إلى عدد هائل من الوفيات نتج عن هذه البراميل فخلال أسبوعين فقط من العام ألفين وأربعة عشر استُشهد حوالي سبعمائة مدني سوري، ثلثهم من الأطفال بسبب البراميل المتفجرة. علما بأن النظام دأب على استخدام هذا السلاح بدءا من العام ألفين وثلاثة عشر حتى العام ألفين وثمانية عشر بطلعات جوية تختلف كثافتها من شهر لآخر.

**مخيم الركبان هو أحد مخيمات اللجوء التي أقامتها الأمم المتحدة للاجئين السوريين الذين هُجّروا من ديارهم خلال أحداث الثورة. أما الطفل المذكور فاسمه إبراهيم لؤي الصالح، وكان عمره عامين حين ساءت حالته الصحية داخل المخيم، ما تطلّب تدخلا طبيا عاجلا لانقاذ حياته. غير أن محاولات إدخاله من المخيم إلى الأردن اصطدمت بحصار النظام السوري للمخيم، وبعض الإجراءات البيروقراطية من قبل الدولة الأردنية. آنذاك دشن النشطاء حملة شعبية سموها "ادخلوا طفل الركبان" فاستجابت الحكومة الأردنية للحملة وأدخلت الطفل مع والديه بعد أسبوع من الضغط المستمر. هذا وأشارت عدة مصادر إلى عدد كبير من حالات الوفاة بين الأطفال داخل المخيم حيث ذهبت بعض التقديرات إلى أن طفلا واحدا كان يموت كل خمسة أيام بسبب الظروف المناخية القاسية وعدم التوفر الرعاية الطبية اللازمة.

،،،

#إنسانيات

المتنبي وحِكَم أخرى

كلما حضرني بيت المتنبي الذي يقول فيه:

فتىً ما سرَيْنا في ظهورِ جدودِنا،،،، إلى عصرِهِ إلا نُرجّي التلاقيا

وقعت في حيرة من أمري بين طربي لبلاغته وغضبي من حجم نفاقه. فإن كذبة بهذا السفور، وهذا الجمال، يستحق صاحبها شيئين: الأول قطعة حلوى تكافئه على ما ابتكر من معنى وما أدلى به من بيان ساحر. أما الثاني فجبل من التراب يحشى به فمه بعد قطعة الحلوى، جزاء له على استهتاره الفانتازي بالممدوح والمستمعين والأجيال التي سترسم لها الفانتازيا تفاصيل حياتها حتى يومنا هذا....

مكتوب علينا أن نعيش في عالم خزعبلي تشطح فيه الأحلام بعيدا إلى حيث يطمح شاعر متملق مثل المتنبي، أو يهوى طاغية ساذج مثل كافور. والأدهى والأمر أنه لا المتنبي بقي ولا كافور أدرك زماننا، ولو أنك جلت ببصرك على طغاة هذا العصر ومنافقيه لتمنيت عودة القدماء حفاظا على مستوى الطغيان والأدب الذي يرافقه. فقد انحدرنا كثيرا حتى في مقاييس خيبتنا....

الحكم الأخرى:

- غاب عن كثير من الناس أن الجدلية تعني صراعا سلميا بين أفكار تفترق وتأتلف، وربما تمازجت بمقادير متفاوتة

لينتج عنها فكرة جديدة. أما أن يحتدم الصراع ليصل إلى حد الاحتراب وتدمير جوهر المخالف، فهذه سمة المجتمعات التي تمشي على طريق الانتحار. عندها يكون سيان أن تطلق الرصاصةَ الأخيرة يدُ داعشي وغد أو علماني منحرف لا يعرف الفرق بين النقد والنقض في كلامه أو في سبابه....

- الأخطر من تآكل الطبقة الوسطى بالمفهوم الاقتصادي هو أن تتآكل هذه الطبقة بالمفهوم الفكري الذي يشكَل الموقف من أي مخالف. يجنح الناس في هذه الحالة إلى التزمت في كل ما يعتقدونه، وينطلق القصف العشوائي، يحركه زناد التدين أو العلمانية أو القومية أو الوطنية. وكلها سواء في مجتمعات لا يدري المرء من أي داهية يأتيها العطب....

- تخيلوا كم هم البشر غاشمون؛ إذ لو لم يُكرهوا على أن يتناسلوا بما أودع فيهم من رغبة، وعلى أن يحفظوا نوعهم بما جُبلت عليه قلوبهم من حبهم أبناءهم، لو لم يحدث ذلك لفني وجودهم منذ جيلهم الأول....

- الحكمة أن تكون قادرا على إدارة الأزمات، وبما أن الحياة، شئنا أم أبينا، أزمة متصلة فإنَّ حكمة صاحب العقل الذي تكثفت خبراته تكمن في شيئين؛ إدارة يأسه وخفض سقف التوقعات....

- يتواصل البشر فيما بينهم عبر جسور من المصالح. إن قررت

أن تكون واحدا من هذه الجسور فوطن نفسك على أن تطأك خطى العابرين.

- لم ينجح البشر في امتحانهم الأخلاقي لكنهم نجحوا في شرعنة الجانب الحيواني منهم، وفي تمويهه، وفي الحفاظ عليه خالدا كما هو.
- تبدأ اللعبة باشتهاء صغير، وتنتهي بانغماس كامل في القذارة.
- المبتدئون يحلمون بحقوق صغيرة. على كل حال، ليس عيبا أن تشتهي الآن إن كنت قادرا على ضبط نفسك فيما بعد. لكن اعلم أن هذا الامتحان لم ينجح فيه أحد.
- لسنا ندافع عن أي فكرة حين نقول أنه لا توجد نسخة واحدة من أي فكرة؛ فهذا شأن الأفكار كلها، يستنبط العقل منها ما يشاء ويترك ما يشاء، وربما أضاف لها ودمج وحفّز إمكانياتها الداخلية نحو مزيد من التأويل وإثراء المعنى. غير أن هذا لا يلغي شخصية الفكرة؛ أي روحها التي تقيها من عواصف البهتان.

هذا ما يعرفه أصغر مستجد في صنعة الفكر، إن فكّرَ وإن عَقِل....

‘‘‘

#في_قراءة_الواقع

الحاضن الأخلاقي

كيف يمكن إخراج المثقفين العرب من سوداويتهم التي أصابتهم بعد فشل الثورة السورية وبقاء نظام الأسد في الحكم؟

الذي صار في سوريا يلخص ما صار في كل بلدان الربيع العربي؛ أي ثورات محكومة بالمنطق الذي ترضاه القوى العالمية المهيمنة. لم تعد الآليات الداخلية للمجتمع هي التي تقرر مآلات ثورته، بدلا من ذلك تحكمت عصابات رأس المال ومافيات الهيمنة العابرة للقارات بمسار الأحداث. لقد اختفى الكمبرادور وحلت محله الآليات. وعند كل مفصل هناك لاعبون كثر متنوعون في مقدار نفوذهم ودرجات ذكائهم. بعضهم يعلم ما يفعله، وبعضهم لا يعلم بعد.

منطق الثورة الجديد هو منطق عالمي، فلا يجوز أن تغزو العولمة مساحات السياسة والاقتصاد والإعلام والفن دون أن تنتج من رحمها هما واحدا معولما هو أيضا وتبدو آثاره في سوريا بذات الدرجة التي تبدو فيها في فنزويلا أو الصين أو جزر القمر.

والثورة الشاملة لا بد لها من شامل؛ أي من حاضن أخلاقي كبير..... "إن الدين عند الله الإسلام"

‘‘‘

#في_قراءة_الواقع

مواقف غير مكلفة

تلقى كل التبعات على تراث الإسلام لأن الموقف من الأموات موقف غير مكلف. دول في غاية التخلف، في ذيل الإحصائيات العالمية في مجال التعليم، وعلى قمة مؤشر الفساد، وتمارس أعتى أنواع الكبت، الكلام ممنوع والهمس مقموع، والشرفاء مطرودون أو مقتولون. ثم يأتيك من يخرج ابن تيمية والبخاري من قبريهما كي يضع على عاتق هذين المسكينين تبعات كل شيء؛ من أول بلاعة مسدودة إلى آخر انفجار وقع أينما اتُفق....

وحده الاستبداد مسؤول عن كل واحدة من هذه الجرائم. أعطني حريات سياسية وعدالة اجتماعية وموارد غير سائبة أضمن لك أن لا يبقى في بلادنا متطرف واحد.

‘‘‘

#شؤون_شخصية

دقة قلب

أما دقّة القلب فإنَّ لها شأنـًا لا يوصف، وإن لمح لك عنها عاشق فاعلم أنه صادق في ما جاد إليك به من سرِّ نفسه....

ولعل دقة القلب إشارة تنبئ عن جلل قد حل، كأنما هي نفخة إسرافيل تأخذنا إلى موعد المواعيد. أو هي شلال نور يهبط

من السماء فيخرجنا من عتمة أنفسنا إلى لقاء مهيب. إنها صفو المواعيد وطيب الذكريات وشهد المعرفة، وبها نهاية الاغتراب، وفيها أمل يأخذنا إلى حضن دافئ....

طوبى لكم إن دقت قلوبكم؛ فقد غنمتم سر الحياة وتباهى بكم الوجود. إن "المحبة أصل الموجودات" من أجلها جئنا، بنورها نحيا، وعلى شوقها نطمح إلى حيث لا يكون شيءٌ إلا أن نُحِبَّ ونُحَبَّ....

حدثوا الناس عن دقات قلوبكم، أعلنوها، إياكم أن تخجلوا من روح الإنسان فيكم....

‘‘‘

#شؤون_شخصية

أحلامي

أعترفُ أن حياتي ليست جدولا رقراقا، لكني أعرف كيف تنساب الجداول....

في رصيدي ألفُ حلم مكتملٍ من أحلام اليقظة، ولي أفلاكٌ بلغتُها على جناح فوتونٍ طائر. عقلتُ قبلَ سنِّ الرشدِ وجننتُ يومَ صادقتُ الحكَمة. لم يجرفْني تيارٌ سائدٌ لكنّي مارستُ هوايةَ التزلّج فوقَ بحورِ الأفكار. أعدائي كلُّهم حقيقيون، أمّا أصدقائي فنصفُهم ساكنٌ في الوهمِ، ونصفُهم لهُ حظٌ من الحقيقة....

في هذه اللحظة تدعوني زوجتي للتزلج فوق صحن فول أعدته بيديها الكريمتين..... سألبي نداء الحقيقة

‘‘‘

#شؤون_شخصية

شؤون متعردة

• أحاول منذ أيام أن أفضَّ اشتباكي مع هذا العالم. ثمة أشياء معقدة لن يفهمها أحد إلا بردها إلى أصولها البسيطة. على فكرة العلماء يقولون أن هذا العالم يتكون من جوهر بسيط، يمكن لنا إذا عرفناه أن نفسر كل شيء في الوجود.

إذن سأقوم بالتالي؛ سأحتفظ من عالمي بالبساطة وأترك للجهابذة حظهم من بحر الظلمات....

• يزعمُ بعض علماء الاجتماع أن التكنولوجيا "تُزيل المكان". لعل في الأمر وجاهة إذ يصدق هذا الوصف على بلاد الاغتراب؛ ذلك أن مبدأ العيش فيها قائم على الرفاهية. إنها ليست أمكنة، ولا المدن فيها ودودة. هل تعرفون خفة رواد الفضاء في مركباتهم؟ الروح في الاغتراب أخف.... لا شيء يحميها من التلاشي....

ما أحوجني إلى هواء نقي كالذي كان يتنفسه جدي، قتلتني الرفاهية....

• لا أحب الحديث في الأمور الشخصية، ولا مشاهد العنف، ولا مواقف الإحراج. المبالغات غالبا علامة على خلو الأشياء والأشخاص من المعنى.

• يميل المغتربون غالبا إلى تضخيم إنجازاتهم المادية. إنهم يشعرون بمرارة مزدوجة. حاولوا أن تشفقوا عليهم ما استطعتم إلى هذا الإشفاق سبيلا.

• بين الخرافة والعلم قرابة وثيقة؛ إنهما يصدران عن تجليات العالم وينفعلان بغموضه. ولا يخلوان، كلاهما، من الأغلال. والأغلال هنا وهناك منسوجة من سحر حلال....

• لستَ عالِمـًا ولا أديبـًا ولا واعظـًا ولا أيَّ شيءٍ من ذلك، حتّى أنَّك لا ينطبِقُ عليك وصفُ الكاتب. غنِّ على ليلاك إذن، واجعلْ من كلِّ جهلٍ تروُدُهُ سُلَّمـًا في مراقي اكتمالِك....

‘‘‘

#كلام_مُسَيَّس

الحالة الوطنية الصلبة

يُرجى تعريف مصطلح "الحالة الوطنية الصلبة"!! أصلا نحن لسنا بحاجة إلى حالة صلبة، قتلتنا الصلابة والتصلب وقصص عنترة بن شداد. ما نحتاجه هو حالة ديناميكية تعكس ثراء في تكوين الإنسان الذي يتشكل منه الوطن. الحالة الصلبة لا توجد

إلا في أوهام السذّج، أو المقالات الرخيصة التي يكتبها أشخاص مشبوهون، أو مصالح مسؤولي البيضة والحجر، أو اجترارات إسلامي يبحث عن دين الله في جزيرة مالطا....

‘‘‘

#كلام_مُسَيَّس

عن قيمة الكلام

حكوماتنا، تعرف الغث والسمين من كلامنا، لأنها تفهمنا جيدا وتستطيع الولوج إلى أسرارنا الدفينة. إن الأهم من الكلام سيرة صاحب الكلام، ومآلاته، وما قد يترتب على نصاعة قلبه إن وجد ذاك القلب من يستمع إليه بعناية....

ثمة كلام يزهر دحنونا أحمر، وآخر مثل الخماسين. وكلاهما غضب! الدحنون يبقى والخماسين يتبدد. العبرة في أن لا يتكاثر الدحنون عند نوافذنا اللصيقة بأحلامنا. تستطيع الزهرة أن تنمو في البرية أو في سفح خارج حدود السياج، هناك سيذهب إليها الحالمون فقط؛ الأنقياء الذين يستطيعون أن يتحملوا مشاق السفر إلى حيث تنبت الأحلام الجميلة. أما الآخرون، وأكثرنا آخرون فينفثون الغبار في وجوهكم، ويفضلون البقاء وسط الضوضاء، حيث تلوثت الضمائر، ونبت الغضب ميتا. ولأسباب موته تفاصيل في سجلات وفيات الحكومات....

حكوماتنا لا تصنع أبطالا؛ إن خنق زهرة يمنحها حياة أبدية في خيال المتعبين، ورعايتها تهدد بانسياب روحها في كل مكان. الحل إذن تركها وشأنها فهذا الإجراء كفيل بأخذها إلى مواسم فنائها. أما الجثث، فلها دية، ويمكن نفخ الروح فيها، ويمكن بعثها في أي اتجاه يوهمكم بالحياة ويساهم في بقاء الكذبة مستمرة....

‘‘‘

#كلام_مُسَيَّس

قُـــوَّتك

قوتك في وفرة اختياراتك. هذا ما كنت أناقشه قبل قليل مع أحد الأصدقاء. وكعادتي، جنحت بموضوع النقاش إلى جوانب سياسية، فأنا مسؤول عن تبعاتها، ولا علاقة لصديقي بهذه الخزعبلات التي أتفوه بها....

دولنا ضعيفة لأنها لا تملك، في أي شأن من شؤونها، إلا خيارا واحدا؛ هو أن تتبع ما يريده أسياد القرار في هذا العالم. وأسياد القرار في هذا العالم أعداء مجاهرون. من ينظر إلى شعبه وهو يُقتَل، وإلى حرمه وهو يُدنَّس، ثم ينحو منحى السياسة ناعما في أقواله وأفعاله مثل عذراء استسلمت لعريس غفلة يفتض بكارتها، هو شخص بلا خيارات. شخص لا يملك إلا أن يؤمَر فيطيع....

هؤلاء يلزمونك منطقهم؛ منطق "ماذا نفعل؟" وبهذا المنطق يحشرونك في زاوية حشروا أنفسهم فيها من زمان. نحن عبيد في

هذا الزمان المقحط. نحن لا نمارس السياسة وإنما نعد الجلدات التي نأكلها على قفانا وعلى هامة رجولتنا، إن كان يجري في شرايين هؤلاء دم رجولة.

"ماذا نفعل؟"، ذاك هو سؤال الإدانة لكم، فالقضية منتهية عند هذا الحد. دول وزعماء انتهوا إلى حائط مسدود. زعامات عاجزة، دول متآكلة. مزارع سموها دولا مستقلة. كيف تكون مستقلة وهي أعجز بمعيتكم من أن يلد قرن من أعمارها خيارا واحدا. كذب ودجل وشيطنة وولدنة حرام، تلك هي الخلاصة مجسدةً فوق كل بقعة من بقاع هذه الأرض المنكوبة...

زمان، قلت لصديقة: دعيني وزملائي من (الرجال) العرب نتجرع مرارة أن يكون المرء في هذا الزمن رجلا عربيا. وها نحن نتجرع المرارة مرارات، غير أن بعضنا لم تنضج أحاسيس الذوق في روحه كي يطفو طعم المرارة فوق مساحة متعه البهيمية الزائفة والزائلة...

يا عديمي الخيارات، ارحلوا أو موتوا، فإنكم ما تركتم لشبابنا شيئا يشبهكم إلا أنهم مثلكم أصحاب خيار واحد، هو أن يموتوا؛ شهداء في موقف، وانتحاريين في موقف آخر....

‘‘‘

#وجدانيات

كيف تحفظ عقلك

إذا أردت أن تحفظ عقلك فاهرع إلى ما لا يجلب الضرر العاجل لمن هم حولك.

اغرق مثلا في تفاصيل الليغا ولا تجاوزها إلى شيء آخر. هذا يضمن لك أن تعيش في عالم وردي قوامه مناكفات صغيرة تملأ حياتك. بل إنك ستحظى بأشخاص كثيرين يحبونك، لكنه حب من النوع الذي لا يقدم ولا يؤخر.

حل آخر، انظر إلى العالم من نافذة إمبريقية أنطولوجية فيليولوجية استاطيقية. هذا يجعلك كائنا هامشيا يفهم أشياء كثيرة لكنه لا يستطيع التأثير في أي منها. بهذا تضمن السلام مع الناس الآخرين لأنهم لن يفهموك ولن يعدوك خطرا قائما على حقهم في تلويث هذا الوجود الملوث بك وبدونك.

تبا لهكذا نصائح. إياكم أن تصدقوا شيئا منها

‘‘‘

#وجدانيات

سبحانه

يتجلى في ما كمل وفي ما نقص، فيهب لمن شاء ما شاء كيف شاء.....

صادفت اليوم شاباً كفيفاً. كانت المرة الأولى في حياتي التي أقترب فيها من شخص كفيف إلى هذا الحد فقد وقف أمامي مباشرة في الحافلة التي تقل الركاب من صالة المسافرين إلى الطائرة. اقتربت من عينيه إلى مسافة قريبة جدا، نظرت فيهما، وتخيلت أنه ينظر في عينيَّ كذلك. أشحت قليلا وقادني الخيال إلى الولوج إلى داخل عينيه، ظننت لوهلة أنني سأصادف عالما مظلما هناك، لكنني تذكرت شيئا مهما، فالظلام هو نقيض النور، ولن يشعر بالظلمة المادية من لم يجرب النور المادي الذي يمكننا جميعاً من الإبصار.

إذن هو لا يعاني من نقص ما. إنما النقص يحدث عند السلب بعد العطاء، لذلك أيقنت أن مفاهيمنا عن العميان بحاجة إلى تغيير. فالله يهب ما يشاء، ولعلها في حالة الشخص الكفيف أو الأصم أو ما يشبه ذلك حالة افتراضية لم تتحقق (الحالات الافتراضية مبحث وجودي مهم له علاقة بميكانيكا الكم، وربما أتحدث عنه في المستقبل إن شاء الله)

فكرة أخيرة خطرت كذلك ببالي؛ إذا كان مفهوما النور المادي والظلمة المادية لا ينطبقان على المكفوفين فربما يفسر هذا ذكاءهم

وإبداعهم في أغلب الحالات، فهم متحررون من سلطة الضوء؛ أي من ذلك الحد الذي يرسم لنا زماننا ويحبسنا في إطار المادة.

كلما تحررنا من المادة كان لنا نصيب أوفر من الطاقة. قد يكون هذا وجها من وجوه التفسير. من يدري؟ ربما.....

‘‘‘

#وجدانيات

ذنوب

هناك مرحلة دقيقة فيما يختص بعلاقة النفس البشرية بالذنوب. هذه المرحلة مختلفة عما نعرفه؛ نعرف مثلا من لا يتحاشى الذنوب ولا يندم عليها بعد فعلها. ونعرف من يفعلها ثم يندم عليها بعد فعلها، ونعرف كذلك من لا يقربها بتاتا بسبب الخوف من الله.

لكن المرحلة التي أقصدها مختلفة؛ إنها المرحلة التي يتحاشى فيها الإنسان الذنب تعظيما لنفسه وخجلا منها لأنه أدرك نفسه كجزء من حركة الوجود الواسع، وأن حبله حبل متين وثمين وعزيز. يترفع من حيث يتواضع، ويحتقر الذنب كطائر يحلق في السماء فتبدو له تفاصيل الأرض محض سفاسف.

أسأل الله أن يرزقني وإياكم هذا الشعور

ملاحظة: أرجو أن لا تقفوا كثيرا عند المعاني الدقيقة لكلمات مثل ذنوب أو خطايا أو حلال أو حرام. فما تحدثت عنه في الفقرتين السابقتين. أوسع من الحدود الضيقة للألفاظ.

‘‘‘

#مناجاة

وجلالك وجمالك

وجلالك وجمالك، لا ينكسرُ من كنتَ جبرَه، ولا يضلُّ من كنتَ شغلَه، ولا يذلُّ من كنتَ سؤلَه. وما عرفوكَ على وجهِ اليقين؛ فلا يُسعى إليك على آثارِهم وإنْ أطنبوا في العبارةِ. إنَّهمْ تاهوا رغَمَ حب؛ عَطِشوا فتوهَّموا، وآنَسوا فطمِعوا، ومِن فرطِ وجدِهم بك خَلَعوا عنهمْ حِشمةَ الفقراءِ في منازلِ الملوك.

وحينَ تفكَّرتُ فيك رأيتُك فيَّ وفي كلِّ ذي روحٍ ولبٍ. وعرفتُك في منازلِ العزةِ، ولم أجدْكَ في منازلِ الهوانِ، فكسرتُ قيودي وعَجِلْتُ إليكَ على جناحِ إنسانيَّتي. فهل رضيتَ إذْ خاطبتُك بشوقٍ وأجبتَني بهمسِ الهَمس: أنْ اسعَ إليَّ ما دمت. الطريقُ إليَّ حجبٌ لطيفةٌ؛ فيها مِنْ طمعِكَ، وفيها مِن هلعِكَ، وفيها مِن ضلالكَ. وكلُّها علائقُ لا تليقُ بك إنْ لزمتَ جانبَ حبّي. أنا هناك أحبُّكَ حيثُ تكونُ حراً، وسيِّداً، وتعرفُ أنَّ لعقلِك عليكَ حقـًا، ولقلبكَ عليكَ حقـًا. وأنا الحقُّ فاطلبْني باللمحاتِ كَما تطلبُني بالنتائجِ والأسبابِ. إنّي خفيٌّ ظاهرٌ فَلا تظلمْ نفْسَكَ بالمشيِ على قدمٍ واحدةٍ.

ولا تخشَ أحداً غيري، إذْ ليسَ ثمةَ غيري أيُّها اللبيب.....

،،،

#مناجاة

سبحانك ولك الحمد

سبحانك اللهم، من وجدك كنتَ له كافيا عن كل حاجة....

إن جفَّت فأنت الوهّابُ، تهب الحسنات في الدنيا والآخرة. وإن جَفَت فأنت الودود وُدَّ من لا تنقطع صلاته. وإن طغى فيها اللؤم والمكر فأنت الحفيظ الذي لا تخفى عليه خافية.

لا فقر ولا خوف في حماك، وكيف يفتقر من تعلق رجاؤه بالكريم، ومم يخاف من علم أنك القريب المجيب!؟

يا ربِّ أنت العليم بما في الصدور، غير أن دعاءنا لك فرار من أنفسنا إليك. أنت القريب لا قرب جهات ومواقيت بل قرب حبيب من حبيب؛ فلا حد يبعدك. وأنت الذي له كل الجهات سماوات، وقلوب المخلصين من عبادك مستقرات. سبوح قدوس خطا الزمان لك خطى أبدية؛ فهي فانية، وهي أبدية. وأنت المعجز الذي لا تحيط به الأفهام فإن طمحت إليه ارتدت خاوية. وإنه لا يُسعى إليك إلا على خطى الأشواق، والشوق نشاط، ولا بلاغ، بل بلاغ، فسبحانك ولك الحمد.....

‘‘‘

تم بحمد الله يوم الاثنين التاسع عشر من ذي القعدة عام ألف وأربعمائة وأربعين للهجرة النبوية الشريفة، الموافق الثاني والعشرين من تموز عام ألفين وتسعة عشر للميلاد.

الفهرس

تقديم/ الأستاذ إبراهيم العجلوني	٥
تمهيد	٧
ما الكتابة؟	١٣
الرومي	١٤
حقوق إنسان	١٥
أدونيس	١٦
إبراهيم الكوني	١٨
الكلمة المرأة	١٩
عقاب التوت	٢٠
الوردي	٢١
سر الإرادة	٢٤
احذروا	٢٦
الفرقان	٢٧
من سورة الأنعام	٢٨
أعوذ بك من ادّعاء وجحود	٢٩
مشكاة واحدة	٣٠
النفيس الغالي	٣٢
الخطر	٣٣
حسرة فوق الرفوف	٣٤
Black Friday	٣٧
أنتيكات	٤٠
سلطان الوعي	٤١
يستحقون الشفقة	٤٢
في فنون الحياة الرديئة	٤٣
خسر البيع	٤٥
مقبرة العقلاء	٤٦
مواقع إلكترونية	٤٨
الأمل الفسيح	٥٠
رحلات في الربيع العربي	٥١
عن الحرية	٥٣
الفقاعات	٥٤
نحس	٥٥
إنسان	٥٧
الكلام واللغة	٥٨
سَلَفيات	٥٩
القطب الواحد	٦٠
توافيق	٦١
رادوفان كراديتش	٦٢
لغة الحمقى	٦٣
إمعة	٦٤
اللذة لحظات فانية	٦٥
الموسيقى	٦٧
محمد الإنسان	٦٩
الدين عند الله الإسلام	٧١
الخلافة	٧٢
ما ينقال وما لا ينقال	٧٤
الفراغ	٧٦
طغيان	٧٩
الحرية الذاتية والحرية الموضوعية	٨٢
اللاعبون الوافدون	٨٣
مخرج من.....	٨٦
(ال) التعريف	٨٧
الرحمة	٨٩
كآبة بدوية	٨٩
هواجس	٩٣
بستان ورد	٩٤
لسانك	٩٥
الفيلسوف والعارف	٩٦
مستصغر الشرر	٩٧
أناس آخرون	١٠٠

فقر تواصلي ١٠٢
على آثارهم ١٠٣
ترف ١٠٥
استعراض ١٠٦
بلاء وابتلاء ١٠٧
رحماك ١٠٨
حظر ١٠٩
هوس ١١٠
تسلية ١١١
نماذج ١١٣
الأغاني ١١٥
درس في فنون النكد ١١٦
استحلاب القرف ١١٩
الكاتب المؤدلج ١٢٠
منهج ١٢١
أنت والوجود ١٢١
هل أنت مستمتع بالحياة؟ ١٢٢
العلم نور ولكن ١٢٤
جنون وداء ١٢٦
يد ظاهرة ١٢٧
إرهاب ١٢٨
اجتهادات فقهية ١٢٩
ثورة ١٣٠
لذة الكتابة ١٣٣
بخاخ للأسف ١٣٥
حظّي من عمان ١٣٧
فراق ١٣٩
تُقبّل وجنتيه ١٤٠
توازنات ١٤١
عن روسيا ١٤٢
الأتراك ١٤٥
إقليم كاتالونيا ١٤٦
آفات ١٥٠
الدين المذبوح ١٥١
العداء للدين ١٥٣
لعبة البوكيمون ١٥٤
الشرف ١٥٥
ليس من أجل زغلول النجار ١٥٦
مع عبد القادر الجيلاني ١٥٨
تجليات العشق ١٥٩
الأحداث العظيمة والحب ١٦١
منظومات القهر ١٦٢
سايكس بيكو ١٦٣
غايات الشريعة ١٦٥
فقط بالعكس ١٦٧
خوارج الثقافة ١٦٨
مناضلون ١٦٨
مواعظ ١٧٠
بدائل ١٧١
أعمدة بيتك ١٧٣
أمّهات ١٧٤
قريب ١٧٥
أعظم شهادة ١٧٦
مفاتح ١٧٧
بلاغة ١٧٩
حياة ١٨٠
الحداثة ١٨٢
الإعدام كرامة للقاتل والمقتول ١٨٥
المعرفة ١٨٨
علمانيون ١٩٠

كيف نقرأ التاريخ؟	١٩٢	مجرد رقم	٢١٩
فلسطين	١٩٣	جواد سابق	٢٢٠
فوضى	١٩٤	الاستعداد أخفى سؤال	٢٢٣
حدّث ولا حرج	١٩٥	سببية	٢٢٤
لكنهم عبادي	١٩٦	فيروز	٢٢٦
خطر	١٩٧	ليسوا خوارج	٢٢٨
اليقين	١٩٨	الخيار لك	٢٣١
الابتداء طاعة المحبين.... النفَّري	١٩٨	حلب وطفل الركبان	٢٣٢
قمر العشاق	٢٠٠	المتنبي وحكم أخرى	٢٣٥
المجد	٢٠١	الحاضن الأخلاقي	٢٣٨
نِعَم الله	٢٠٢	مواقف غير مكلفة	٢٣٩
عن عمّان وميلادي والهمج	٢٠٣	دقة قلب	٢٣٩
مائدة رحمن	٢٠٦	أحلامي	٢٤٠
الخطاب العلماني	٢٠٧	شؤون متعددة	٢٤١
اللوثة	٢٠٨	الحالة الوطنية الصلبة	٢٤٢
الشرطة التنويرية	٢١٠	عن قيمة الكلام	٢٤٣
لك الحمد	٢١٠	قُوَّتُك	٢٤٤
في صفة الإخلاص	٢١١	كيف تحفظ عقلك	٢٤٦
همُّ الكتابة	٢١٣	سبحانه	٢٤٧
سَفَه	٢١٥	ذنوب	٢٤٨
دهشة	٢١٦	وجلالك وجمالك	٢٤٩
زهد	٢١٦	سبحانك ولك الحمد	٢٥٠
أفكار غير مترابطة	٢١٧		

للتواصل مع الكاتب:

Facebook:https://www.facebook.com/samer.almajali.50
Twitter: @samer_almajali
Email: Samhm111@hotmail.com